ساهيد أديجوموبي

تاريخ إثيوبيا

ترجمة: مصطفى مجدى الجمال

المركز القومى للترجمة

2996



تاريخ إثيوبيا

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

- العدد: 2996
- تاريخ إثيوبيا
- ساهيد أديجوموبى
- مصطفى مجدى الجمال
- الطبعة الأولى 2018

هذه ترجمة كتاب:
Translated from the English language edition of
The History of Ethiopia
By: Saheed A. Adejumobi
Originally published by Greenwood an imprint of ABC-CLIO, LLC.,
Santa Barbara, CA, USA.

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
Tel: 27354524 Fax: 27354554
E-mail: nctegypt@nctegypt.org

تاريخ إثيوبيا

تأليف : ساهيد أديجوموبي

ترجمة : مصطفى مجدى الجمال

2018

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

أديجوموبـى، ساهيد.
تاريخ أثيوبيا / تأليف : ساهيد أديجوموبــى؛
ترجمة : مصطفى مجدى الجمال.
القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٨
٢٩٢ص ، ٢٤ سم
١ - أثيوبيا - تاريخ
(أ) الجمال ، مصطفى محمد (مترجم)
(ب) العنوان ٩٦٣

رقم الإيداع ١٧٨٣٢ / ٢٠١٦
الترقيم الدولى: 978-977-92-0785-8
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

المحتويات

كلمة المترجم

لا بد من الاعتراف بازدياد الاهتمام بأفريقيا فى المجالين الثقافى والأكاديمى المصرى، خاصة بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١. لكن أخشى ما نخشاه أن يكون هذا الاهتمام كسائر الموجات التى تعلو حينًا فى حياتنا السياسية والعامة، ثم تنحسر بفعل الوقت أو الظرف أو الإحباط المقيم.

ولا بد قبل أى محاولة للاقتراب من أفريقيا سياسيًّا واقتصاديًّا وثقافيًّا بعد طول غياب، أن تكون لدينا معرفة علمية بها.. وإذا كنا نعانى من ضعف واضح فى الثقافة السياسية وفى الإلمام بشئون العالم والإقليم من حولنا رغم الكم المهول من الثرثرة فى الفضائيات والمطبوعات.. فإن ثقافتنا السياسية ومعرفتنا العلمية عن أفريقيا تعانى من فقر ظاهر.

ولا شك أن كل نهضة وطنية تسبقها، وتصاحبها بالضرورة، نهضة فى حركة الترجمة.. هكذا كان دور رفاعة رافع الطهطاوى، وكذلك كان دور سلسلة الألف كتاب وجهود ثورة يوليو فى هذا المجال، وأخيرًا المركز القومى للترجمة والهيئة العامة للكتاب.

فماذا عن واقع الترجمة عن الأدبيات الأفريقية فى مصر اليوم.. يمكن القول أولاً: إن حجمها لا يتناسب حتى مع الادعاء بالاهتمام بها.. ولا يقبل عليها المترجمون الكبار.. كما لا يوجد لدينا مترجمون متخصصون فى المعارف الأفريقية.. وأهمية هذا تكمن فى أن دور المترجم لا يتوقف عند تحويل الكتابات بالإنجليزية أو الفرنسية إلى العربية، إنما نحن بحاجة إلى المترجم الشارح والباحث والمقارن، حتى يكتمل دوره فى الترجمة.

وإذا نظرنا إلى أهم ما يُترجَم عن أفريقيا اليوم سنجد أن معظمه منتج فى الغرب، أو لكُتَّاب أفارقة ولكن بانتقاءات غربية طبعًا. ثم سنلاحظ الاهتمام الزائد بالفولكلور

والغرائبيات والفن والنقد الأدبى، وربما الجغرافيا والأنهار فى أحسن الأحوال.. وكل هذا مهم طبعًا، لكننا نتحدث عن مراعاة الأوزان النسبية.

ويكاد ينفرد دارسو الشئون الأفريقية بقراءة مثل هذه المواد المترجمة.. وأزعم أن المتخصصين فى الشئون الأفريقية فى كثير من الدواوين الحكومية ذات الصلة بعيدون عن الاهتمام بدراسة المجتمعات والدول الأفريقية، حتى إن بعضهم يكاد يعتبر وجوده فى هذا الفرع مجرد "خدمة إجبارية" إلى أن يفتح الله عليه بالخدمة فى بلد أوروبى أو نفطى، أو بوصفه خبيرًا فى الفضائيات. والدليل على ما أقول أن الدوائر الأكاديمية قد أنتجت المئات والمئات من رسائل الماجستير والدكتوراه التى ركنت على الأرفف، ولم يهتم أحد من صناع السياسة بالاستفادة من آلاف طلاب الدراسات العليا الذين مروا على هذا الفرع العلمى، وكأن جل الهدف من الدراسة كان الحصول على الشهادة والدرجة وكفى.

إذا كانت أفريقيا تهمنا فعلينا أولاً أن نعرفها.. والترجمة هى أولى خطوات المعرفة، شرط أن تتم عملية الترجمة وفق خطط متناغمة وهادفة.

***

وبالنسبة للكتاب الذى بين يديك فهو يعرض صورة بانورامية سريعة- إلى حد ما- للتاريخ الإثيوبى الحديث، لكنها تفى بالغرض إلى حد كبير. ومن أولى مزايا هذا الكتاب أن كاتبه له مكانة محترمة فى الدراسات التاريخية خاصة التاريخ الأفريقى وتاريخ الأمريكيين من أصل أفريقى والتاريخ الفكرى والثقافى الحديث بالقارة، حصل على الماجستير من جامعة أوريجون عام ١٩٩٤ عن الفكر الوحدوى الأفريقى عند ديبوا ونكروما، والدكتوراه من جامعة تكساس عن جماعة اليوروبا فى غرب أفريقيا وسياسة التعليم والإصلاح الاجتماعى فى نيجيريا.

يشغل الكاتب حاليًا منصب مدير البرنامج العالمى للدراسات الأفريقية بجامعة سياتل بالولايات المتحدة، وهو أيضًا أستاذ مشارك بقسم التاريخ بالجامعة، وذلك بعد سيرة حافلة من الإنجازات الأكاديمية، من بينها عشرات المقالات الأكاديمية، وتحرير الكتب، فضلاً عن الاشتراك فى تحرير موسوعات مهمة مثل موسوعة الفولكلور الأفريقي- الأمريكى، موسوعة التاريخ الأفريقى، موسوعة دراسات ما بعد الاستعمار.

ولا يود المترجم أن يباغت القارئ بحكم مسبق على الكتاب، وإنما يتركه ليكتشفه بنفسه، وأتمنى أن يكون الكتاب دافعًا للبحث عن معارف أكثر عن هذا البلد الأفريقى المهم جدًا لمصر وأفريقيا. وإن كان المترجم يود أن يلفت نظر القارئ لبعض الملاحظات المهمة:

أولها : إن إثيوبيا بلد كبير يضم جماعة بشرية تضاهى سكان مصر، وهى عبارة عن موزاييك هائل من القوميات والأعراق والثقافات واللغات والأديان. ولعل هذا من أكثر ما جعل تاريخها حافلاً بالصراعات والتحالفات معًا.

ثانيًا : تحتل إثيوبيا موقعًا جغرافيًا خطيرًا فى القرن الأفريقى، ما جعلها تعرف امتدادات وتفاعلات تاريخية وآنية بصور مختلفة مع الثقافات فى جنوب القارة، وعن شمال القارة من خلال السودان، وحتى مع الجزيرة العربية من خلال اليمن.

ثالثًا : كان هذا الموقع الجغرافى الاستراتيجى الفريد باعثًا لاهتمام القوى الاستعمارية التقليدية، وأثناء الحرب الباردة وحتى الآن.. حيث جربت تلك القوى كل الوسائل الممكنة، بدءًا من الاحتلال العسكرى وانتهاءً بآليات العولمة للسيطرة الاقتصادية والثقافية.

رابعًا : الطبيعة الجغرافية الصعبة منحت إثيوبيا مَنَعَة حالت دون أن يخترقها مستعمر، إلا عبر حالات استثنائية وجيزة من جانب إيطاليا الفاشية وبريطانيا بدرجة أقل بكثير. وهو ما رسخ فى نفسية الإثيوبيين الشعور بأنهم البلد الأفريقى الوحيد الذى عجز الاستعمار الأوروبى التقليدى عن اجتياحه.

خامسًا : اعتمدت الدولة الإثيوبية طوال تاريخها العريق على دور حاسم لأسطورة أن الأسرة الإمبراطورية سليلة لزواج الملك سليمان من ملكة سبأ (شيبا)، ولعبت الكنيسة الأرثوذكسية دورًا حاسمًا فى معظم تاريخ إثيوبيا لصالح الدولة المركزية الإمبراطورية، لكن هذا انطوى دائمًا على مشكلات خطيرة تتعلق بوحدة الأمة.

سادسًا : كما اعتمدت الدولة الإثيوبية فى بقائها على المبالغة فى الأصالة كما تصورتها، تعبيرًا عن الرغبة فى صيانة الاستقلال. لكن بعض القادة الإمبراطوريين أنفسهم أدركوا أهمية الحداثة، خاصة عندما أخذ الاستعمار الغربى يقضم الأطراف فى السودان والصومال وجيبوتى وإريتريا، ما هدد إثيوبيا بالاستمرار فى وضعية الدولة الحبيسة المحرومة من السواحل.

سابعًا : سيجد القارئ فى الكتاب مناقشات ضمنية وأمثلة مهمة لتناقضات تطور المجتمع والدولة فى إثيوبيا، وأهمها:

الأصالة والحداثة.

المركزية أم الفيدرالية.

الدمقرطة أم "القيادة الحازمة".

التعددية والاعتراف بالتنوع أم سيطرة عرقية قائدة.

علمانية الدولة أم انبثاق مشروعيتها واستقلالها من ارتباطها بأيديولوجية ومؤسسة دينية.

التنمية والتطوير والإصلاح: كيف ولمصلحة من؟

* * *

أخيرًا .. أرجو أن يشبع هذا الكتاب بعض شغف القارئ، مثلما أتمنى أن يثر عنده مزيدًا من الأسئلة التى يجب أن يبحث عنها بنفسه، أو ينبه الآخرين لها.

مصطفى مجدى الجمال

إهــداء

مهدى بتحية حنين إلى أبى، كازيم أديجبينرو أديجوموبي الذى غادرنا مؤخرا والتحق بالأجداد.

تصدير وامتنان

فى أغلب الأحوال يجرى تطويب سرديات الحداثة وفق نماذج تتسم بالقصرية والهيمنتين الثقافية والسياسية. فلم يُسمَح للقارة الأفريقية حتى الآن بالدخول فى الوعى السياسى للعالم الحديث كند فى أسرة الأمم. ومع ذلك، كان لإثيوبيا تاريخ مسجل وحضارة مزدهرة لأكثر من ثلاثة آلاف عام، ولا يوجد بلد آخر فى القرن العشرين تم تعريفه تمامًا بهذا النطاق الضيق والخصوصيات فى وسائل الإعلام الحديثة والشعبية السائدة. فالشريط الإخبارى الذى يصور غزو الجيش الإيطالى فى إثيوبيا عام ١٩٣٥ كان مقدمة كارثية ذائعة، ولم يتم تقدير خطرها فى حينها، للحرب العالمية الثانية. كما عانت إثيوبيا أيضًا من نعتها كالذات الأخرى للحداثة الغربية فى السرديات والأدبيات الغربية المتجذرة فى النزعات الاستعمارية. وكان تحقيق إيفلين ووه **Evelyn Waugh** الشعبى من إثيوبيا قد لقى ثناءً على لطفه وملاحظاته الذكية ورواياته المرحة، على الرغم من أن الأيقونات الأدبية التى تركها لنا كانت مليئة أيضًا بالانحيازات والتنميطات. وقد قادته نظرته "الساذجة" على إثيوبيا إلى الانتهاء بالتعبير عن الإعجاب بالحداثة الفاشية عندما وصف الحرب بين إثيوبيا وإيطاليا كصراع بين البربرية والحضارة. وما زالت كتاباته عن إثيوبيا وأفريقيا يُعاد إنتاجها دون اعتبار لسياقها التاريخى، بل وأسوأ من هذا يتم الاقتباس منها للتدليل على التخلفين السياسى والاقتصادى فى أفريقيا المعاصرة.

كما كان لسياسة الحرب الباردة ووطأتها الثقافية أثرها هى الأخرى على إثيوبيا مثلما على العالم أجمع، بتهميش الأصوات التقدمية فى اليسار الأممى المناهض للفاشية مثل: سيلفيا بانكيرست **Sylvia Pankhurst**، جويل روجرز **Joel T. Rogers**، جورج ستير **George Steer**، ودوبوا **W.E.B. DuBois**. وقد تمكنت المنشورات الأكاديمية بعد الحرب العالمية الثانية من التقييم النقدى لدقائق وتعقيدات التنظيم السياسى الإثيوبى ونظم الحكم للسلالة السليمانية[١] وما بعد الإمبراطورية.

---

(١) سيتعرف القارئ فيما بعد على الأسطورة التاريخية المؤسسة للحكم الإمبراطورى بانحدار الأسرة المالكة من صلب الملك سليمان- المترجم.

كما تعرضت إثيوبيا للخذلان من داخلها أيضًا. فكثير من الزعماء الإثيوبيين قد حكموا البلاد مدعين بالحق المطلق على العلاقة مع البشر والمجتمع. فقد كانت اللا مساواة بِنْية ملكية فى إثيوبيا، واكتسبت مغزى جديًا أيضًا مع بدء الاستعمار الأوروبى فى أفريقيا. ومن ثم فإن الفشل فى إعطاء الأولوية لنوعية الحياة لكل الأفراد مكانة مركزية فى السياسات قد ولّد الوجود الدائم للاعبين الدوليين ومهندسى المجتمعات تحت شعار الأطر العالمية المغرية للإمبريالية الليبرالية، وسياسة الحرب الباردة، والتدخلات الإنسانية، والمساهمة فى الحضارة البشرية، والمسار الفريد نحو العصر الحديث، وترجع جذور صورها الأيقونية فى النصف الثانى من القرن العشرين فى المفهوم المكانى الجيو- سياسى لـ "أفريقيا جنوب الصحراء" وأمراضها: المجاعة، الحرب، الفقر، الاضطراب السياسي.

بيد أن تاريخ إثيوبيا كان مهمًا للفهم النقدى لعلاقات ونماذج العالم الحديث مثل تطور مفاهيم الضغط الدولى، إعادة البناء بعد الحروب، نزاعات الحدود، وإصلاحات الاشتراكية والليبرالية الدولية. ومما له أهمية أيضًا نشأة التقاليد الفكرية والسياسية الحديث للشتات الأفريقي.. فمع تضاؤل تأثير إثيوبيا فى المحاكم الأوروبية- حيث تقوّض استقلالها بفعل الحوافز السياسية والاقتصادية لدى لأخيرة- أجاب القانون الأسود العابر للقوميات بتحليل نقدى واسع النطاق للإمبريالية العنصرية والاقتصادية. واحتفى القوميون السود بالحضارة الإثيوبية واستقلالها، من منظور دينى أو منظور إنسانى علمانى، من خلال تكوينات جوهرية متعددة الأعراق، ومن أطر بنيوية وإنسانية. غير أن السرديات الاستعمارية المغرضة والكتابات التاريخية القومية أخفقت فى التقدير الصحيح لتعقيدات المشروع الحداثى الإثيوبى. وقد سجل الكثير من سرديات ما بعد الحرب العالمية الثانية هذه النقائص حتى عندما كانت تحمل وطأة النماذج التحليلية للحرب الباردة التى تفضل التحليل البنيوى، السلطة، سياسيات الهوية، عن التقييمات النقدية للذوات الأفريقية والعلاقة المتبادلة بين مفاهيم العدالة المحلية والعالمية.

يركز كتاب "تاريخ إثيوبيا" على ثلاثة موضوعات متداخلة: السياسة، الاقتصاد، والقوى الفكرية التى شكلت تاريخ إثيوبيا منذ أواخر القرن التاسع عشر. حيث أقوم باستكشاف تكوينات القوتين المحلية والعالمية من أواخر القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين، ونتائج ذلك ذات الصلة على إثيوبيا وإقليم القرن الأفريقي. وفى ضوء هذه

الخلفية يقيِّم الكتاب مدى توازن إثيوبيا الهش فى التمسك بمشروع حداثى مقيد بفكرة الألوهية المسيحية. فأقيِّم كيف تمكنت النظم الإثيوبية من إدارة الوقائع العلمانية لاستخدام الموارد، والتخطيط، والأولويات، مع انخراطها فى السياسة الدولية والإقليمية والمحلية. كما يستكشف الكتاب الجهود الإثيوبية لرسم مسار مستقل فى مواجهة الإمبريالية، الحرب العالمية الثانية، الحرب الباردة، والإصلاحات الاقتصادية الدولية. وأبحث أيضًا تعقيدات ومفارقات والتحديات العملية لإثيوبيا الإمبراطورية وما بعد الإمبراطورية، فيما يتعلق بالإصلاحات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وما له أهمية قصوى فى هذا موضوعات مثل: النهضة فى الداخل والخارج للفنون والآداب، المسرح، المسيحية القبطية الأرثوذكسية، الإسلام، والهويات العرقية القديمة. ويرسم الكتاب لوحة حية لبلد وإقليم يتسمان بالحيوية والجاذبية، لفائدة الباحثين وصناع السياسات والقراء العاديين الراغبين فى فهم السياق التاريخى للعلاقات العالمية عند مطلع القرن الحادى والعشرين. وأخيرًا يقدم الكتاب جدولاً زمنيًا لأهم الأحداث فى تاريخ إثيوبيا، مع سير ذاتية موجزة لشخصيات رئيسية، فضلاً عن الببليوجرافيا.

ولقد ساعدنى أناس كثيرون فى إتمام هذه المهمة. أود أن أشكر البروفيسور فرانك تشاكيراى والبروفيسور جون فيلدنج ، ومحررى سلسلة «تواريخ جرينوود للأمم الحديثة»: كيفن أوهى، ستيفن فيترانو، سارة كولويل وبقية الفريق على مساعدتهم القيمة. ومن مقرى بجامعة تكساس فى أوستن أشكر: د. توين فالولا، د. كريستوفر أديجومو، د. جون لامفير، د. برندت لندفورس، د. كيفن جينس، د. بينى فون إتشين، د. شيلا ووكر، بيتى نانلي.

كما تلقيت مساعدة هائلة فى جامعة وين ستيت بدترويت، ميتشجان، من د. مبيلا جويس بويد، د. بيث بيتس، د. أولى جونسون، د. إبوى هاتشفول، د. بيرى مارس. كما حصلت على دعم دافئ من مالام أولوفيمى تايو، د. جاسون وإليزابيث سايكس- ويرث، ود. والاس لوه، ومن سائر الأساتذة ببرنامج الدراسات الأفريقية العالمية وقسم التاريخ بجامعة سياتل.

وحصلت على راحة وطمأنينة لا تقدر من جانب أفراد أسرتي: زوجتى أليا أديجوموبى وطفليّ أدينكى وأديريمى. كما أدين بالامتنان لأمى أومولارا وأشقائى أبيودون، أديرونكى،

أديدابو، وأديسولا. وحظيت أيضًا بتشجيع جماعة ممتدة تشمل: د. كوينتارد تايلور، د. تشيدى نواوبانى، د. أونايوأوجبومو، د. جيرى ديبوا، د. حكيم تيجانى، كيفن واشنطون، سيمون أولوفيمى، رافيو لاوال، وولى أكاندى، إهيجى أيرى، جيدى جونسون، مارك راديرمتشر، توين ألادى، أوجستين أجويلى، ومارجو رامسنج.

وأنا منضم هنا للجالية الإثيوبية فى الشمال الشرقى وأجزاء أخرى من الشتات، آملين فى السلام الشامل والتقدم والرخاء والصحة الجيدة لكل الأمة الإثيوبية والقرن الأفريقى والقارة فى الألفية الجديدة.

والكتاب مُهدى إلى أبى، كازيم أديجبينرو أديجوموبى، الذى رحل عن دنيانا أثناء تأليف الكتاب. وربما كان مرضه والعام الذى قضاه معى وأسرتى فى ميتشجان، قد أخَّر المشروع إلى حد ما، لكن هذا أضاف إلىّ بالتأكيد المزيد من تفهم الكوزموبوليتانية والإنسانية والجَلَد المتأصلة فى الثقافات الأفريقية. وعلى الرغم من المرض الذى عصف به فقد كان يمدنا بتحليل منتظم للعولمة كما نظَّر لها بنفسه مع «جماعات التفكير» القاعدية الخاصة به فى الوطن بأفريقيا. وتدور إحدى سخرياته الأثيرة حول كيف أنه موَّل صلاة خاصة فى مسجده المحلى للرئيس السابق بيل كلينتون بسبب المتاعب التى كان يواجهها فى آخر ولايته بالبيت الأبيض. ولأننى كنت أحاول قمع شغفى بسؤال والدى عن السياسة الخاصة بأفريقيا التى تبرر عملاً من هذا النوع، والأهم سؤاله عما إذا كان المبلغ الذى أنفقه كان من الحوالات التى أرسلها إليه فى الوطن لدعم معاش تقاعده الزهيد، فقد كان تساؤلى الأكبر عما إذا كان أبى يوظف إطارًا عابرًا للقارات فى علاج الإحباطات الوطنية لما بعد الاستعمار. غير أنه فسر عمله هذا بأنه انبنى على اعتقاد بأن الرئيس المحاصَر كان رجلاً طيب القلب تمت ملاحقته دون إنصاف. وهو رغم كل شيء رئيس البلد الذى يعيش فيه ابنه (أنا). وبغض النظر عن جدارة ذلك العمل، فإن أبى الصحفى المتقاعد لم يكن متناقضًا بشأن روحانيته، ولا يشعر بالضِعَة من تهميشه المادى بوصفه أفريقيًا فى العالم الحديث المعولم. وإنما هو يمثل الجيل الراحل الذى يجمع بين التقدير القوى لسطوة الأفكار والطقوس الإيجابية، ويعترف بترابط الرفاه العالمى، ويؤمن بثبات بأن ما يذهب هناك يأتى هنا.

آمل أن يقدم «تاريخ إثيوبيا» بعض الدروس لعالمنا: تقدير تلك القوى التى تعيد تدوير اللا مساواة المحلية والعالمية، أهمية القوة وحريتها الطبيعية، الحاجة الملحة لعلاج الخسارة الكمية للإنسانية والذاتية الأفريقية، خاصة داخل دراما ظاهرة العولمة، وأهمية الخصوصيات التاريخية والثقافية فى تطبيق ما نعتبره عادةً سرديات عالمية للحداثة.

ساهيد أدينكا أديجوموبي

سياتل، واشنطن

جدول زمنى للتاريخ الاثيوبي

القرن الثانى الميلادى : شعب سامى من الجزيرة العربية يؤسس مملكة أكسيوم **Aksum**.

القرن الرابع الميلادى : دخول المسيحية القبطية إلى الإقليم عن طريق مصر.

١٥٣٠– ٣١ : الزعيم المسلم أحمد جران **Ahmad Gran** يغزو إثيوبيا ويسيطر على معظم أراضيها.

١٨١٨– ٦٨ : ليدج كاسا **Lij Kasa** يستولى على أمهره، جوجام، تيجرى، وشوا.

١٨٥٥ : تنصيب ليدج كاسا مثل الإمبراطور تيودروس الثانى **Tewodros II** .

١٨٦٨ : هزيمة الإمبراطور تيودروس الثانى علىْ أيدى الحملة البريطانية؛ فيقرر الانتحار بدلاً من الوقوع بالأسر.

١٨٧٢ : الزعيم القبلى التيجرانى يصبح يوحنا (يوحنس) الرابع **Yohannes IV**.

١٨٨٩ : مصرع الإمبراطور يوحنس الرابع فى القتال ضد القوات المهدية. ويخلفه ملك شوا الذى يصبح الإمبراطور منليك الثانى **Menelik II**.

١٨٨٩ : منليك الثانى يوقع معاهدة صداقة ثنائية مع إيطاليا فى ويتشالى، بمقتضاها أصبحت إيطاليا تعتبر إثيوبيا من محمياتها.

١٨٨٩ : اختيار أديس أبابا عاصمة لإثيوبيا.

١٨٩٥ : غزو الجيش الإيطالى لإثيوبيا.

١٨٩٦ : هزيمة القوات الإيطالية على أيدى الإثيوبيين فى عدوة، وإلغاء معاهدة ويتشالى، واعتراف إيطاليا باستقلال إثيوبيا، مع الاحتفاظ بالسيطرة على إريتريا.

١٩١٣ : وفاة منليك، ويخلفه حفيده ليدج ياسو **Lij Iyasu**.

١٩١٦ : إزاحة ليدج ياسو، لتخلفه زوديتو **Zauditu** ابنة منليك، والتى تحكم من خلال الوصى راس تافارى ماكونين **Ras Tafari Makonnen**.

١٩٣٠ : وفاة زوديتو، ويصبح خلفها راس تافارى ماكونين الإمبراطور هيلا سيلاسى الأول **Haile Selassie I**.

١٩٣٥ : إيطاليا تغزو إثيوبيا.

١٩٣٦ : الإيطاليون يستولون على أديس أبابا، وهروب هيلا سيلاسى. إعلان ملك إيطاليا إمبراطورًا على إثيوبيا. أصبحت إريتريا والصومال الإيطالى وإثيوبيا تشكل معًا شرق أفريقيا الإيطالي.

١٩٤١ : البريطانيون وجنود الكومنولث يهزمون الإيطاليين بمساعدة مقاتلى المقاومة الإثيوبية. هيلا سيلاسى يستعيد عرشه.

١٩٥٢ : الأمم المتحدة تضم إريتريا إلى إثيوبيا فيدراليًا.

١٩٦٢ : هيلا سيلاسى يضم إريتريا ويعلنها إقليم إثيوبي.

١٩٦٣ : أديس أبابا تشهد انعقاد المؤتمر الأول لمنظمة الوحدة الأفريقية **OAU**.

١٩٧٣-٧٤ : مجاعة إقليم والّو تقضى على ٢٠٠ ألف إنسان.

١٩٧٤ : الإطاحة بهيلا سيلاسى على يد تيفرى بينتى **Teferi Benti**.

١٩٧٥ : وفاة هيلا سيلاسى فى ظروف غامضة وهو رهن الاحتجاز.

١٩٧٧ : اغتيال تيفرى بينتى وحلول منجستو هيلا ماريام **Mengistu Haile Mariam** محله.

١٩٧٧ – ٧٩ : منجستو يصدر أوامره بقتل الآلاف من معارضى الحكومة. بدء التجميع الزراعى. الجبهة الشعبية لتحرير تيجرى تبدأ الحرب للحصول على الحكم الذاتى للإقليم.

١٩٧٧ : الصومال يغزو إقليم أوجادين. الاتحاد السوفيتى وكوبا يقدمان المساعدة لإثيوبيا فى هزيمة القوات الصومالية.

١٩٨٥ : البلدان الغربية ترسل المساعدات الغذائية لمواجهة المجاعة الأسوأ منذ عشر سنوات. إجبار الآلاف على إعادة التوطين من إريتريا وتيجري.

١٩٨٧ : بعد دستور جديد، الإثيوبيون ينتخبون منجستو هيلا ماريم رئيسًا.

١٩٨٨ : توقيع معاهدة سلام بين إثيوبيا والصومال.

١٩٩١ : الجبهة الديمقراطية الثورية لشعوب إثيوبيا تستولى على أديس أبابا، وهروب منجستو هيلا ماريام إلى الخارج. إريتريا المنتظرة لاستقلالها تشكل حكومة مؤقتة.

١٩٩٢ : العثور على رفات هيلا سيلاسى أسفل مرحاض بالقصر.

١٩٩٣ : إريتريا تنال استقلالها.

١٩٩٤ : دستور جديد لإثيوبيا يقسم البلد إلى أقاليم على أساس عرقي.

١٩٩٥ : تعيين تامرات لاينى **Tamrat Layne** رئيسًا للوزراء، وميليس زيناوى **Meles Zenawi** يصبح رئيسًا.

١٩٩٨ : النزاع الحدودى بين إثيوبيا وإريتريا يؤدى إلى صدامات مسلحة. إعلان الحرب فى السنة التالية.

أبريل ٢٠٠٠ : ثلاثة أعوام من الجفاف تجعل ثمانية ملايين إثيوبى يعانون المجاعة.

مايو ٢٠٠٠ : إثيوبيا تحكم السيطرة على بلدة بارينتو الإريترية.

يونيو ٢٠٠٠ : إثيوبيا وإريتريا توقعان اتفاقية لوقف إطلاق النار. الأمم المتحدة تراقب انسحاب القوات الإثيوبية من إريتريا.

نوفمبر ٢٠٠٠ : إعادة دفن جثمان هيلا سيلاسى فى مقبرة رسمية بكاتدرائية ترينتى فى أديس أبابا.

ديسمبر : إثيوبيا وإريتريا تنهيان عامين من الصراع بتوقيع اتفاقية سلام فى الجزائر. الاتفاقية تشكل لجانًا منظمة لتحديد الحدود محل النزاع. السماح للأسرى والنازحين بالعودة إلى الوطن.

٢٤ فبراير ٢٠٠١ : اكتمال الانسحاب الإثيوبى رسميًا وفق اتفاقية رعتها الأمم المتحدة.

مارس ٢٠٠١ : ميليس زيناوى يزعم أنه قد أحبط انقلابًا محتملاً من جانب مجموعة فى الجبهة الشعبية لتحرير تيجري.

أبريل ٢٠٠١ : صدام بين آلاف المتظاهرين والشرطة فى أديس أبابا، احتجاجًا على وحشية الشرطة وتأييدًا لدعوات الحرية السياسية والأكاديمية.

١٢ مايو ٢٠٠١ : اغتيال كينفى جبري- ميدهن Kinfe Gebre- Medhin قائد المخابرات والأمن والحليف الرئيسى للرئيس ميليس زيناوى، عند دخوله ناديًا لضباط القوات المسلحة فى أديس أبابا.

٢١ مايو ٢٠٠١ : إثيوبيا وإريتريا توافقان على تخويل لجنة الأمم المتحدة المستقلة رسم الحدود المتنازع عليها.

أبريل ٢٠٠٢ : بعد عام تقريبًا، قبول إثيوبيا وإريتريا بالحدود المشتركة الجديدة. استمرار الخلاف بين البلدين بشأن ادعاء كل منهما تبعية بلدة بادمى له.

أبريل ٢٠٠٣ : لجنة الحدود المستقلة تقرر أن البلدة المتنازع عليها جزء من إريتريا. وإثيوبيا تقبل بالحكم.

يناير- فبراير ٢٠٠٤ : اندلاع الصدامات العرقية فى مقاطعة جامبيلا النائية فى الغرب. وفاة ٢٠٠ شخص وفرار الآلاف من أعمال العنف.

مارس ٢٠٠٤ : إعادة العمل ببرنامج إعادة التوطين لترحيل أكثر من مليونى إنسان من المرتفعات الإثيوبية التى تعانى من الجفاف.

نوفمبر ٢٠٠٤ : إثيوبيا تقول إنها تقبل "من حيث المبدأ" حكم لجنة الحدود بشأن الحدود مع إريتريا.

مارس ٢٠٠٥ : منظمة هيومان رايتس واتش الأمريكية تتهم الجيش الإثيوبى بارتكاب جرائم "قتل واغتصاب وتعذيب واسعة النطاق" ضد شعب الأنواك فى مقاطعة جامبيلا. إثيوبيا ترفض الاتهام.

أبريل ٢٠٠٥ : الجزء الأول من مسلة أكسيوم، التى نهبتها إيطاليا عام ١٩٣٧، تعود من روما إلى إثيوبيا.

مايو- يونيو ٢٠٠٥ : إجراء الدورة الثالثة من الانتخابات متعددة الأحزاب، والنتائج الأولية تشير إلى أن الحزب الحاكم وحلفاءه قد فازوا بالأغلبية البرلمانية.

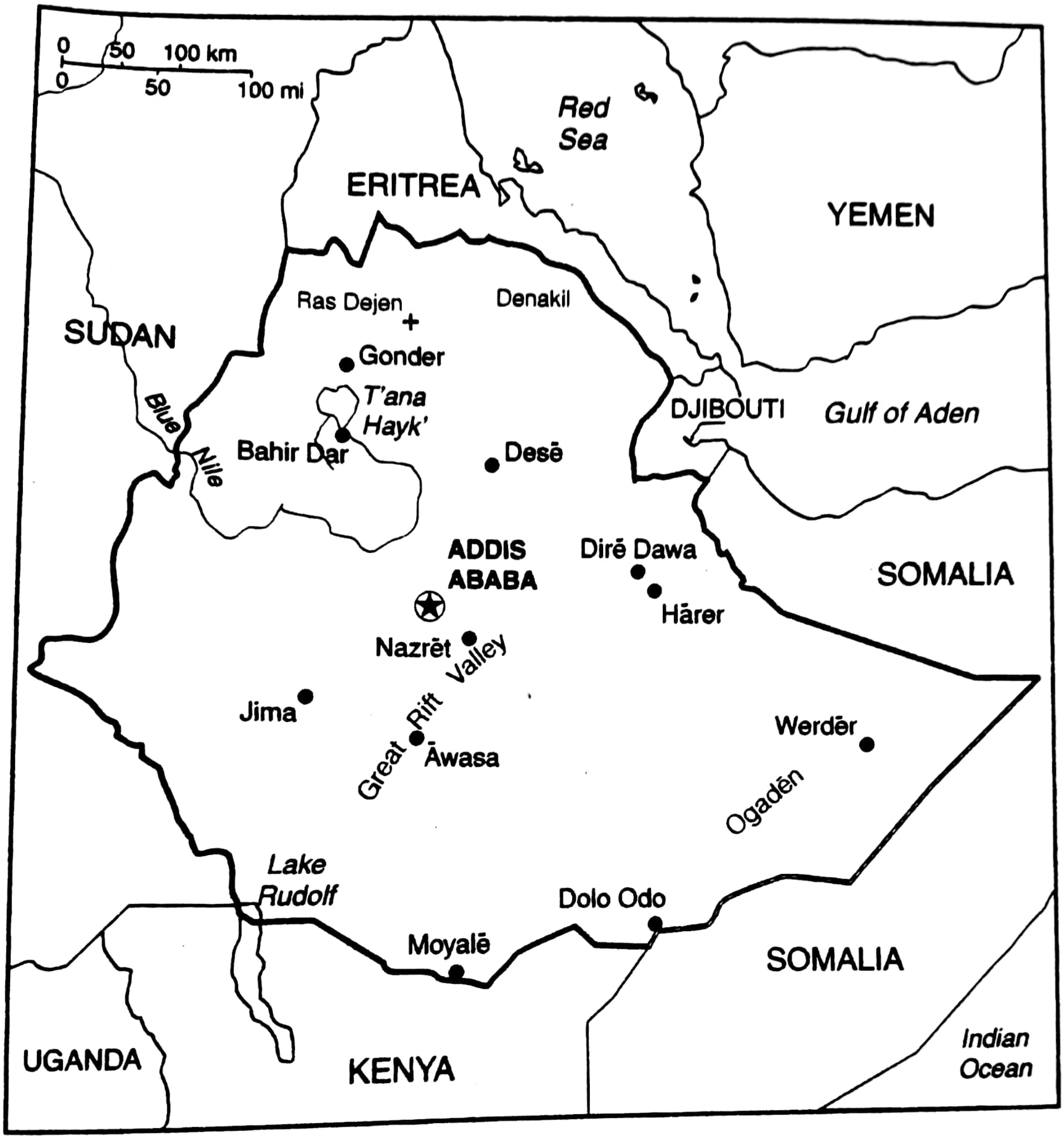
يونيو ٢٠٠٥ : محتجون يتهمون الحزب الحاكم بتزوير الانتخابات. مقتل ٣٦ شخصًا بالرصاص فى الصدامات مع الشرطة فى العاصمة.

أغسطس- سبتمبر ٢٠٠٥ : النظر فى طعون تزوير الانتخابات يؤدى إلى الإعادة على أكثر من ٣٠ مقعدًا. السلطات الانتخابية تعطى الحزب الحاكم عددًا من المقاعد يكفى لتشكيل الحكومة.

نوفمبر ٢٠٠٥ : مصرع ٤٦ محتجًا أثناء تجدد الصدامات بين قوات الأمن ومؤيدى المعارضة بسبب نتائج انتخابات مايو. اعتقال الآلاف ومن بينهم سياسيون فى المعارضة. وسط تقارير عن الحشود العسكرية على الحدود الإثيوبية- الإريترية المتنازع عليها، مجلس الأمن الدولى ينذر البلدين بعقوبات ما لم يعودا إلى خطة السلام المتفق عليها عام ٢٠٠٠.

ديسمبر ٢٠٠٥ : لجنة دولية فى لاهاى تقضى بمخالفة إريتريا للقانون الدولى حينما هاجما إثيوبيا عام ١٩٩٨. اللجنة تقول إن الهجوم لا يمكن تبريره بالدفاع عن النفس. محاكمة أكثر من ٨٠ شخصًا، من بينهم صحفيون وقادة سياسيون، بتهم الخيانة والإبادة الجماعية أثناء صدامات الشوارع الدامية فى نوفمبر.

مايو ٢٠٠٦ : ستة أحزاب سياسية وجماعات مسلحة تشكل، فى اجتماع بهولندا، تحالفًا معارضًا باسم "التحالف من أجل الحرية والديمقراطية".



خريطة إثيوبيا

الفصل الأول

إثيوبيا
خلفية فكرية وثقافية

مقدمة

إثيوبيا.. نظرة عامة

إن سرد تاريخ إثيوبيا الحديث لقارئ القرن الحادى والعشرين يجب أن يعود إلى الحوادث الرئيسية لحضارة أفريقية فى انخراطها مع المجتمع العالمى، وحيث ساعدت قوى ثقافية وسياسية ودينية كبيرة فى تشكيل التطور الذى جرى لدولة- أمة مهمة وحيوية جدًا، وتتأهب لمواجهة مشكلات مهمة بالقدر ذاته وترتبط بالعصر الحديث. ولا شك أن فهم القارئ المعاصر لإثيوبيا قد تكون بفعل قصص الحروب والكوارث الطبيعية بما فيها أزمة مجاعة العصر. ويمتد تاريخ إثيوبيا فى الحقيقة إلى العصور القديمة، حيث وردت إشارات لها فى الكتاب المقدس والأدب الإغريقى الكلاسيكى.

وفيما بعد، فى الفترة بين ١٨٥٥ و١٩٧٤، شهدت الدولة حوادث بلغت ذروتها بنشأة دولة مركزية بيروقراطية حديثة. وقد حصلت إثيوبيا على مكانتها كواحدة من ثلاث أمم سوداء مستقلة تاريخيًا (إلى جانب هايتى وليبيريا) باستثناء احتلال إيطالى لمدة خمس سنوات فى عهد بنيتو موسولينى، حيث نجحت فى الدفاع عن نفسها ضد الاستعمار الأوروبى لأفريقيا. ويزودنا تاريخ إثيوبيا الحديث بلمحة عن التاريخ الثقافى والفكرى والسياسى الأفريقى العام. فقد برزت إثيوبيا فى أيقونات التطور الثقافى

والدينى والسياسى لكل من العصرين القديم والحديث، ومن ثم هى أرض خصبة لكل مهتم بأفريقيا القديمة والحديثة.

فلقد كان لإثيوبيا أهمية ثقافية عميقة عند شتات السود باعتبارها أحد أقدم البلاد المستقلة فى العالم (أو فى أفريقيا على الأقل) الأمر الذى زود بإلهام- نعترف بكونه مثاليًا- لحلم استقلال السود فى كل أرجاء العالم. وفى الحقيقة أن اسم إثيوبيا قد نشأ فى السرديات الغربية (بما فيها مسرحيات شيكسبير) كتعريف شامل لعالم السود. وزعم بعض الدارسين أن الهوية الإثيوبية كانت فرضًا غربيًا على المسيحيين الأفارقة. ونظر العبيد الأفارقة فى العالم الجديد إلى "إثيوبيا" كعلامة لهوية دينية- ثقافية، بسبب مداومة الأوروبيين على استخدام هذا المصطلح فى وصف أفريقيا السوداء. وبالمثل دخل هذا المفهوم إلى مفردات الشعوب الأفريقية فى القارة مع الاتصال البرتغالى بأجزاء فى "إثيوبيا".

وفى قرون لاحقة جرى استخدام النبوءة التوراتية لكيف ستبسط إثيوبيا يديها للرب طلبًا للغوث.. استخدامها كشعار لحركة التبشير الأوروبية لحفز الجهود لتنصير أفريقيا. ونتيجة لهذا كان من الطبيعى تمامًا أن ينظر المسيحيون الأفارقة إلى إثيوبيا كرمز للهوية، وأن يحتضنوا الإثيوبية كحركة فكرية للقومية الدينية والنشاط القاعدى. ولهذه الأسباب يجسد إرث إثيوبيا الثقافى مفاهيم الحرية للسود والأمة السوداء المستقلة، وأثر- كما سنرى- فى أجيال المفكرين السود البارزين فى العالم الجديد.

الإثيوبية وتأثيرها فى الشتات الأفريقى

وصف بعض المراقبين، قبل القرن العشرين، إثيوبيا بـ "الإمبراطورية الخفية" بسبب عزلتها النسبية والاستبداد الفردى الإقطاعى. وأضفى آخرون طابعًا أسطوريًا على الدولة الإثيوبية كمثال للاستقلال الأفريقى وتقرير المصير نتيجة للنجاح فى هزيمة القوات الإيطالية الغازية فى عدوة عام ١٨٩٦. وقد عبَّر المفكر والناشط الشهير دى بوا عن هذا الشعور المعادى للاستعمار حينما قال عام ١٩٣٥ إن "إثيوبيا، على عكس أجزاء أخرى من أفريقيا المستعمرة... قد حافظت على حريتها- مقارنةً بالآخرين- من الديون، وعلى

استقلالها السياسى، وبدأت فى إعادة تنظيم سياستها القديمة، وكانت- بطرق كثيرة- مثالاً ووعدًا بما يمكن أن يضطلع به سكان أصليون لم يمسهم الاستغلال الحديث وظلم أجناس أخرى"[١].

ولم يكن هذا الاسترجاع من جانب ديبوا انعكاسًا فحسب للنزعة "الإثيوبية" التى نشأت كتقليد أدبي- دينى أفرو أطلنطى مشترك فى العالم الناطق بالإنجليزية، إنما انبثق أيضًا من التجارب السياسية والدينية المشتركة أواخر القرن ١٨ وأوائل القرن ١٩. كما وجدت النزعة الإثيوبية تعبيرًا عنها فى روايات الرقيق، ومواعظ رجال الدين الساخطين، وأغانى وفولكلور عبيد وفلاحى "الجنوب الجديد". وأصبح هذا التقليد الأدبى جزءًا من خطب وكتابات النخبة الحضرية الراقية. ووجد أصحاب النزعة الإثيوبية إلهامهم فى الكتاب المقدس، حيث ورد فى المزامير: "يأتى شرفاء من مصر. كوش تسرع بيديها إلى الله" (Psalms 68:31). ورأى أولئك الذين ربطوا الحداثة بالتقاليد الغربية فى هذه الآية: نبوءة بأن أفريقيا ستدخل فى المسيحية "حالما" يتم إنقاذها من "الوثنية"، وأن هذا شرط مسبق لحدوث نهضة سياسية وصناعية واقتصادية درامية. إلا أن النص نفسه كان بالنسبة للقوميين الثقافيين نبوءة بأن الرجل الأسود سوف يحكم العالم يومًا ما. وغالبًا ما تزعم التقاليد "الإثيوبية" بوجود العبقرية الأفريقية، وهو الطموح الذى يدعون تعرضه للهدم بسبب التبعية الثقافية التى أتى بها الاسترقاق والاستعمار. ويخلص أنصار هذه النزعة إلى أن التجربة العنصرية المأساوية قد حملت معها قيمة تاريخية عميقة منحت الأفارقة تفوقًا أخلاقيًا مفترضًا.

يضاف إلى هذا أن نهضة الأممية السوداء الحديثة- بجمعها بين الاحتجاجات وحشد الضغوط الفكرية والسياسية- قد انبعثت من تناقض مواقف القوى العالمية إزاء المحنة الأفريقية فى مواجهة العدوان الإيطالى على إقليم يعتبر آخر حصون الرجل الأسود. هكذا أصبحت إثيوبيا الباعث لتقليد سياسى أسود حديث، جمع بين الحركية السياسية والنقابية والنضال ضد الاستعمار مع مبادرات مبكرة لحقوق الإنسان.

---

(1) W.E.B. DuBois, "Inter-racial Implications of the Ethiopian Crisis. A Negro View," Foreign Arfiars 4, no. 1 (October 1935): 85–86.

ترجع الأهمية الإقليمية لإثيوبيا إلى موقعها فى إقليم شمال شرقى أفريقيا المعروف بـ "القرن" - حيث يتخذ طرف القارة هنا هذا الشكل الذى يفصل البحر الأحمر عن المحيط الهندى، كما يشكل نافذة على التطور الاقتصادى والسياسى والثقافى لمجتمعات أفريقيا الحديثة فى القرن العشرين. ويحد السودان إثيوبيا من الغرب، جيبوتى من الشرق، إريتريا من الشمال والشمال الشرقى، والصومال من الجنوب الغربى، وكينيا من الجنوب. ويقدر تعداد سكان إثيوبيا بـ ٧٦ مليون نسمة، ما يجعلها ثالث أكبر بلدان أفريقيا سكانًا بعد نيجيريا ومصر. ويتضمن تركيبها العرقى الحديث عددًا من الجماعات: الأورومو ويشكلون ٤٠٪ من السكان، الأمهرة والتيجرى ٣٢٪، السيدامو ٩٪، الشانقيلا ٦٪، الصوماليون ٦٪، عفر ٤٪، الجوراج ٢٪، وغيرها ١٪.

وهناك ظاهرتان مهمتان ساعدتا فى تشكيل تاريخ إثيوبيا الحديثة. فقد مرت الدولة بسلسلة من التغيرات، من وضعيتها كدولة قوية فى العصور الوسطى إلى تدهورها الاجتماعى والسياسى أواسط القرن الثامن عشر. وعانت إثيوبيا محليًا التمزق السياسى السريع بسبب تفسخ السلطات المدنية والسياسية والصراعات الصفرية بين الملوك والطبقة الناشئة للسادة الإقطاعيين. وتداعت الحكومة المركزية لتحل محلها السيادة المناطقية لحكام كان بين الكثيرين منهم علاقات اجتماعية وسياسية واقتصادية، لكنهم كانوا أيضًا متحاربين فيما بينهم فى أغلب الأحوال. وبالنسبة لعلاقات إثيوبيا الحديثة بالخارج منذ أواخر القرن ١٩ حتى القرن ٢٠ فقد كانت فريدة ولكن ذات مغزى رمزى لتاريخ أفريقيا السياسى والاقتصادى الحديث، حيث كان يتم استيعاب القارة وفق التحولات فى تشكل القوى العالمية. كانت أهمية البحر الأحمر فى الشئون العالمية آخذة فى التزايد، وحسب الأهمية الثلاثية التكاملية للأنشطة الثقافية والسياسية والاقتصادية.

كذلك كان لتأثير أيديولوجيات الاستعمار والحرب الباردة الغربية منذ أواخر القرن ١٩ حتى النصف الثانى من القرن ٢٠ تداعياته على التشكلات الإقليمية والأوضاع الاجتماعية والسياسية والعسكرية والاقتصادية فى إقليم شمال شرقى أفريقيا. ففى أعقاب الإطاحة بالاستعمار فى مختلف أرجاء القارة، عبَّر الوطنيون الأفارقة عن آمال شعوبهم فى النهوض الاقتصادى والاجتماعى والثقافى بخلق حركة للدول المستقلة أطلق عليها منظمة الوحدة الأفريقية. فعقد مؤتمرها الأول عام ١٩٦٣ فى أديس أبابا، عاصمة إثيوبيا الحديثة التى أصبحت أيضًا مقرًا للمنظمة.

ومن الموضوعات الأخرى وثيقة الصلة بتاريخ إثيوبيا الحديث: إصلاحات التحديث فى المجالات التعليمية والعسكرية والسياسية، والدستورية أيضًا. واعتبر مجموع هذه المفاهيم رمزيًا بالنسبة لانتقال أفريقيا إلى العصر الحديث. ولكن مما يؤسف له أن تزامن تطور إثيوبيا من أجل الاستقلال مع الارتقاء الثقافى والفكرى، لم تصحبه التنمية الاقتصادية اللازمة، أو نهوض يعتد به فى أوضاع الطبقة الفلاحية، وهو موضوع سوف نبحثه بتفصيل أكبر فيما بعد.

كما سنحلل الجهود الموجهة لإدارة الكوارث الطبيعية عن طريق خلق بيروقراطيات الدولة، وتنمية الفاعلين خارج أجهزتها فيما يختص بالكوارث الطبيعية والتمرد السياسى والتنمية الاقتصادية. كذلك سنتناول ما وصفه البعض بالنهضة الإثيوبية التى تغذيها الإنتلجنسيا[١] الإثيوبية والثقافة الشعبية التى راكمتها المجتمعات الإثيوبية التقليدية والعائدون إليها من الشتات. فالنهضة الأدبية للنصوص الإثيوبية القديمة، مثل "كتاب مجد الملوك" **Kebra Negast** الذى وصفه البعض بالكتاب المقدس المفقود للحكمة الراستافرانية، والحنين الشعبى لمخطوطات قديمة مماثلة حُبِست فى المتاحف الأوروبية.. لم تخدم فقط كشهادة على التجربة المشتركة مع الاستعمار، وإنما كدليل أيضًا على إعادة توجيه الوثائق القديمة فى خدمة عملية بناء الدولة الحديثة. ويصبح لهذا مغزى أكبر فيما يتعلق بإعادة توليد معاصرة للدولة الإثيوبية بالمعنيين السياسى والثقافى، وبالنسبة لهذا العدد الهائل من السكان بالدولة ككيان حديث.

الجغرافيا والثقافة والخلفية السياسية:

وصف الإخباريون القدماء إثيوبيا بأنها أرض الجبال الباعثة على الرعب، والوديان السحيقة، وقد منح الإغريق للبلد اسمه هذا والذى يُقصد به السكان السود القاطنون جنوب مصر. ولجغرافية إثيوبيا تاريخ طويل وحيوى، مثل تاريخ شعبها، وذلك جراء مناظرها الخلابة بتنوعها وعظمتها والتى تعتبر فريدة فى أفريقيا كلها. فمرتفعات إثيوبيا ذات جبال

---

(١) Intelligentsia نخبة المتعلمين والمثقفين فى المجتمع - المترجم.

شاهقة وأودية سحيقة بانخفاض ألف قدم، لعل وادى أباى هو أكثرها إدهاشًا. وفيما عدا السلاسل الجبلية الشاهقة التى كوّنتها الحمم البركانية، نجد المناطق المتخللة متخذة شكل هضاب مسطحة يسميها الإثيوبيون "أمباس". ويبقى كثير من هذه الهضاب منعزلاً تمامًا عن بعضه البعض، وإن اتصل بعضه بممرات بالغة الضيق بين المنحدرات الكبيرة.

وقد لعبت الطبيعة المتقطعة للمرتفعات الإثيوبية دورًا مهمًا فى تاريخها السياسى والثقافى. إذ برهنت هذه الكتل الجبلية العملاقة على كونها عقبات لا يمكن قهرها تقريبًا أمام القادة السياسيين الطامحين فى توحيد البلاد، وأمام الغزاة الراغبين فى فتحها، وأمام من حاولوا محاولات متقطعة تنمية مواردها الاقتصادية.

تنقسم إثيوبيا طبوغرافيًا إلى ثلاث مناطق رئيسية: الداجا (المرتفعات الباردة التى يبلغ متوسط حرارتها السنوية ١٦ درجة مئوية)، الواينا داجا (المنطقة المتوسطة حيث يعيش معظم السكان)، والقوللا (الوديان والسهول الحارة التى تتوقف درجة حرارتها على الشروط الصحراوية للطرف الشمالى الشرقى من "الوادى المتصدع"). وقد كان للقسمات المناخية أثرها المحقق عبر الزمن فى اختلاف طرق الحياة والثقافة وسبل العيش والميول الاجتماعية.

يوجد فى إثيوبيا أربع مجموعات أنهار رئيسية. وتضم الأولى: نهر تكازى (المعروف أيضًا باسم عطبرة)، عباى (النيل الأزرق)، وبارو (السوباط)، وكلها تتدفق غربًا باتجاه النيل فى السودان. وأشهرها نهر عطبرة الذى يستمد مياهه من بحيرة تانا. وتضم المجموعة الثانية نهر جانالى (جوبا) ونهر وابى شابالى، وكلاهما يصب مياهه فى المحيط الهندى. أما نهر جيبى (ويعرف أيضًا باسم أومو فى مساره المنخفض) فيتدفق من المرتفعات الجنوبية الشرقية، مع بحيرة توركانا (تعرف أيضًا باسم بحيرة رودلف) ليصل إلى منتهاه عند الحدود مع كينيا. ويتدفق نهر عواش من المرتفعات غرب أديس أبابا مارًا بالوادى المتصدع، ثم يتبدد فى الرمال الشمالية الشرقية. كما يوجد بالوادى المذكور سلسلة رئيسية من البحيرات تشمل بحيرات: زواى، لانجانو عباياتا، شالا، وأواسا فى الشمال، وبحيرتي: عبايا وتشامو فى الوسط، وبحيرة رودلف فى الطرف الجنوبى. كما توجد سلسلة من البحيرات ذات الفوهات البركانية حول بلدة دابرا زيت (بيشوفتو سابقًا) على بعد ٣١ ميلاً من أديس أبابا.

يعرف موسم النمو الرئيسى فى إثيوبيا بـ "كيرمات" ("الأمطار الغزيرة") ويقع فى الفترة بين يونيو وسبتمبر. أما أمطار الـ "بلج" ("المطر الخفيف") فتسقط بين مارس ومايو. وتسقط هذه الأمطار بفعل الرياح الموسمية التى تهب من المحيط الهندى على منطقة الضغط المنخفض فى الصحارى الأفريقية وشبه الجزيرة العربية.

وتسمح درجات الحرارة فى المرتفعات الشمالية والوسطى بإنتاجية زراعية وفيرة. وأهم المحاصيل هو التيف (أثيب تيفي) وهو نوع محلى من الحبوب الصغيرة ويصنع منه خبز الإنجارا وهو الغذاء الرئيسى لقطاع واسع من السكان. أما المحصول الغذائى الرئيسى فى الجنوب فهو الإنسات، وهو نوع من الخضروات الجذرية.

ولقد خلقت العزلة الجغرافية فى كثير من المناطق روحًا من الاستقلال النسبى، حيث لم يتغير نمط الحياة منذ مئات السنين، وحيث ما زال نفوذ الحكومة المركزية محدودًا. ونجد اختلافًا فى العادات وسبل العيش باختلاف المشهد بين الرعاة فى صحراء الدناكل، الفلاحين فى الجبال الباردة بشيوا وجوجام وتيجرى، صيادى الأسماك على ساحل إريتريا، جامعى البن فى جيما، وصائدى الحيوانات فى الغابات الاستوائية الرطبة فى أقصى الجنوب الغربى. ولا توجد اختلافات بشرية أو فى المشاهد الطبيعية مثل تلك الموجودة على حواف منحدرات الوادى المتصدع. إذ يتسع هذا الوادى باتجاه الشمال الشرقى مثل القُمْع ليصل إلى البحر الأحمر، ويقع جزء من هذه المنطقة (صحراء الدناكل) تحت مستوى سطح البحر. وتفصل صحراء الدناكل، أو صحراء عفار، إثيوبيا عن صحارى وجبال مشابهة فى شبه الجزيرة العربية، لكن هذا لم يحُلْ - كما سنرى - دون الصلات الثقافية المبكرة مع العالم الإسلامي.

كما تتجلى مساهمة إثيوبيا فى تطور الديانات العالمية، فى تطور التقاليد المسيحية الأولى. ففى القرن الرابع الميلادى أنشأت الكنيسة المسيحية، متأثرة بأكاديميات الشرق الأوسط الكبرى، مدرستين للفكر فى طبيعة المسيح. إذ رأت الكنائس اليونانية والرومانية اجتماع وانصهار ذات إلهية وروح إنسانية معًا فى جسد المسيح. لكن الكثير من ممثلى الكنائس السورية والمصرية اعتقدوا فى الطبيعة الواحدة الإلهية للمسيح. وقد أُطلق على الأخيرين الوحدانيين، اليعقوبيين، أو الأقباط. وتشدد هذه الكنيسة على أن كل ما يتعلق بالمسيح يجب أن يُنظر إليه وفق منظور الشخصية الكلية بوصفه إلهًا

واحدًا. وتعتبر الأسرار السبعة من أهم تعاليم كنيسة التوحيد الأرثوذكسية الإثيوبية، وهى: سر المعمودية، سر التثبيت (مسحة زيت الميرون)، الأفخارستيا (القربان)، سر الاعتراف والتوبة، سر مسحة المرضى، سر الزواج، سر الكهنوت. وهى طقوس مقدسة ينال المؤمن من خلالها نعمة غير مرئية فى شكل علامة خارجية، وحيث تحضر الذات المقدسة أداء كل سر من هذه الأسرار. كما تُعلِّم الكنيسة خمسة أركان أخرى من الأسرار: سر الثالوث، التجسد، المعمودية، القربان المقدس، وقيامة الأموات. وتنظر الكنيسة لهذه الأسرار كمعرفة أساسية لجميع المؤمنين، ويجب أن يعلم هذا كل مسيحى. ويجب على كل المعمَّدين فوق سن السابعة الحفاظ الدقيق على الصيام. ويحظر تناول اللحوم ومنتجاتها أثناء الصوم الكبير.

وقد تمت ترجمة العهدين القديم والجديد إلى اللغة الجعزية[1] عام ٥١٦، وجرى التركيز على أهمية إثيوبيا فى الرواية التوراتية عن خلق الإنسان. ولكن على الرغم من أن إثيوبيا أصبحت تغص بالكنائس المسيحية، فإنها تظل أيضًا موطنًا لتعداد كبير من المسلمين.

الشعب

يوجد فى إثيوبيا موزاييك من القوميات التى تتحدث العديد من اللغات، ويمكن تقسيمها إلى أربع مجموعات لغوية رئيسية. وتعود ثلاث منها إلى أصل مشترك سماه اللغويون: اللغات الأفروآسيوية[2] البدائية، وهى تعرف بالكوشية، وتتضمن: أجوا، بجا، صومالية، عفار، ساهو، هاديا، كامباتا، جيديو، وأورومو (ويشكل الناطقون بها أكبر مجموعة سكانية). أما المجموعة الثانية فهى لغات الأومو، وقد حصلت على هذا الاسم من تواجدها على جانبى نهر أومو، وتشمل: دورزى، جانجارو، كافا، والإيتا، ديزى أو جيميرا، وماجى. وبينما تعتبر اللغات الكوشية والأوموية هى الأقدم فى إثيوبيا، فإن

(١) لغة سامية جنوبية فى منطقة القرن الأفريقى، وكانت اللغة الرسمية لملكة أكسيوم- المترجم.

(٢) هى اللغات الحامية والسامية التى انتشرت فى الشرق الأوسط وشمال وشرق أفريقيا، ومن أهمها اللغات السامية والقبطية القديمة والأمازيغية والتشادية والكوشية - المترجم .

اللغات السامية هى الأحدث وجودًا ولعبت الدور الأبرز فى تاريخ البلد. والجعزية هى أقدم اللغات السامية، ويقتصر استخدامها الآن على الطقوس الكنسية. ومن اللغات السامية الأخرى: تيجرا، أمهرية، جوراج، وهررى. وتعتبر اللغة النيلو- صحراوية سلالة لغوية مستقلة توجد فى الأطراف الغربية من إثيوبيا، وتشمل: كوناما فى جنوب غربى إريتريا، جوموز فى ماتكال غرب جوجام، مانجانجير، أوك، نوير.

وبالإضافة إلى الأدلة اللغوية تفترض البحوث الأثرية أن بداية التاريخ الإثيوبى ترجع إلى حقبة ما قبل التاريخ. وقد عُثِر بالفعل على بعض الأدلة على الوجود الإنسانى المبكر، ومن بينها مجموعة واسعة من الأدوات الحجرية والأدوات الفنية والتحف الأخرى التى وجدت فى جميع أنحاء أثيوبيا، مثل جبل واتشاتشا البركانى فى منطقة البحيرة. كما استوطن الإنسان القديم على حواف الفوهات البركانية فى مناطق عديدة لا تبعد كثيرًا عن جنوب العاصمة، واستُخدم الزجاج البركانى الأسود لصنع أدوات حادة حينما قطن بحيرات الوادى المتصدع. وعُثر فى جنوب غربى إثيوبيا على خزفيات مزينة وأدوات معدنية إلى جانب الأدوات الحجرية. ووجدت براهين أخرى على وجود الصناعات الحجرية فى جبل الجن فى القرن الأفريقى. وفى عام ١٩٧٤ عثر فى هدار بصحراء عفار على واحدة من أقدم هياكل القردة العليا، وأطلق عليها الأجانب "لوسي" والإثيوبيون "دينقيناش"، وقدّر الأثريون أن هذه الأنثى السلف للجنس البشرى قد عاشت قبل ثلاثة ملايين ونصف مليون عام.

وقد نشأت المجتمعات الزراعية القروية فى إثيوبيا أثناء العصر الحجرى الحديث. وفى الألف الرابعة قبل الميلاد امتدت الزراعة (التى نشأت بشكل مستقل فى أماكن متعددة فى العالم) إلى إثيوبيا آتية من غرب السودان، وربما كان هذا جزءًا من انتشار المعرفة من مصر إلى إقليم شمال شرقى أفريقيا. وهناك احتمال أيضًا لأن يكون سكان غرب هذه المنطقة قد انتقلوا فى الألف الثالث قبل الميلاد إلى ما يعرف الآن باسم ويلّيجا، ومن ثم إلى الهضبة، ومعهم الزراعة. وهناك وفير من الأدلة على الآماد المختلفة لثقافات العصر الحجرى الإثيوبية. فمثلاً كانت جماعة واتّا فى إثيوبيا مرتبطة بجماعات الصيد فى شمال وشمال شرقى أفريقيا. ويعتبر الأجوا مثالاً على السكان الأوَل الموجودين الآن فى المناطق الشمالية والوسطى من الهضبة الحبشية العليا. وقد عُرِف الأجوا باكتشافاتهم الرائدة وتنمية أنواع جديدة من النباتات واستئناس الحمار وتربية البغال.

وقد تنوع سكان الهضبة إلى ثلاث مجموعات رئيسية، والتى يشير إليها الأنثروبولوجيون اللغويون وغيرهم بأجوا الوسط والكوشيين فى الغرب والشرق. وقد عرفت إثيوبيا انفجارًا سكانيًا حتى نهاية الألف الثانية، نتيجة إدخال تقنيات جديدة للتغلب على المشكلات ذات الصلة بالبيئة الطبيعية المتغيرة. وكان من نتائج هذا تمدد وانتشار السكان الكوشيين المستقرين فى الأطراف الجنوبية عبر أوغندا وكينيا وتنجانيقا وما وراءها. تلت هذا هجرات للشعوب الناطقة بالبانتو، وهو ما غيَّر أيضًا الديناميات السكانية فى إثيوبيا وسائر المجتمعات الأفريقية الأخرى إلى الجنوب. وزعم بعض العلماء أن الشعب الكوشى هو من صنع القضبان الحجرية التى وجدت فى المنطقة بين جنوب إثيوبيا والأراضى الساحلية فى شمال شرقى وشرق أفريقيا. وقد خدمت هذه التطورات كأساس لنشأة الدول فى الإقليم الإثيوبي.

الأورومـــــو:

عاش أورومو إثيوبيا فى مرتفعات بالى، وعلى الأرجح فى المناطق الموجودة الآن داخل الحدود الصومالية. وتؤكد التقاليد الشفاهية عند الأورومو أنهم جاءوا من منطقة بورانا جنوب غربى إثيوبيا، والكثيرون منهم كانوا يحجون إلى أرض "أبا مودا" موطن زعيمهم الروحى فى منطقة بورانا الشمالية الكائنة بجنوب شرقى إثيوبيا. كما تشهد تقاليد أورومو بحدوث انتقالات سكانية إلى الأجزاء الجنوبية فى إثيوبيا. من ثم يعتقد أن أورومو أزيبو ورايا قد تحركوا باتجاه الغرب من ساحل خليج عدن إلى موطنهم الحالى. وخلال القرنين ١٤ و١٥ ضغط ملوك الأحباش الأقوياء على الأورومو كى يرحلوا باتجاه مناطق غير مواتية نسبيًا للعيش فى الغرب والجنوب الغربى حيث الأراضى المالحة نتيجة البحيرات الضحلة المتبخرة والصحراء المليئة بالصخور البركانية قرب بحيرة رودلف.

وهاجرت مجموعة أخرى من الأورومو جنوبًا، تاركة أحفادها الذين يعيشون الآن على نهر تانا فى كينيا الحالية. إلا أن بعض جماعات أورومو تطورت إلى دول ملكية قوية. وقد ظل الأورومو مشهورين بفروسيتهم التى استخدمت أيضًا فى الأدب والروايات العسكرية والسياسية الشفاهية الإثيوبية. وقد كانت العلاقات بالغة التعقيد بين شعوب أورومو أو

جالاّ المختلفة، إلى حد زعم البعض بأنه على الرغم من أوجه التشابه الكثيرة كان هناك أيضًا كم كبير من الخلافات بين والّيجا جالاّ، "إيتو" جالاّ فى أروسى، والـ "كوتّو" جالاّ فى هرر. وتجمع جالاّ من حيث الجوهر شعوبًا عديدة مختلفة. وقد عمل الكثير منها إما بشكل مستقل وإما بالتحالف مع النبلاء الإثيوبيين المحليين- وكانوا غالبًا فى خدمة العرش المهتز لبعض الوقت- على تعزيز الاتجاهات الإقليمية الاستقلالية والصراعات الضروس. وتسبب غياب السلطة المركزية فى جعل هذه المجتمعات مكشوفة أمام القوى الغازية، وهو ما كان يؤدى فى النهاية إلى المزيد من تشتت السكان.

وقد اندلعت حرب أهلية عام ١٧٦٦ نتيجة بداية "عصر الأمراء" الذى استمر حتى عام ١٨٥٥. وتحللت الدولة خلال هذه الحرب إلى مكوناتها المناطقية. وبدورها انغمست هذه الكيانات فى صراع لا ينتهى وغير حاسم من أجل السيادة. وتبع هذه الفترة صعود العديد من السلالات المناطقية التى تنافست بشراسة حتى منتصف القرن ١٩ من أجل الصعود على المستوى القومى. وفى هذه الفترة كان لكل منطقة ملكها، ودان الناس بالولاء لمنطقتهم الخاصة وليس لبلد اسمه إثيوبيا.

وكان لانهيار مملكة جوندار (التى اشتهرت بتأسيس المدينة التى مثلت فصلاً جديدًا فى الثقافة الحضرية الإثيوبية، وبخاصة بناء الحصون والكنائس الهائلة) أن أدى بدوره إلى زيادة نفوذ جالاّ وسيطرتها. ولما كانت جوندار أكبر المدن ومركز الدين والفن، فقد ظلت عاصمة لإثيوبيا فى الفترة ١٦٣٥- ١٨٦٧. وفى مسعى من الأسرة الحاكمة لتعزيز تحالفها مع جماعات جالاّ معينة لجأت إلى أسلوب المصاهرات السياسية. وإذا كانت شرعية جوندار قد ضعفت جراء ارتداد بعض أباطرتها السابقين، فإنها قد تعرضت للتآكل الفعلى بسبب الصلات بين جالاّ والإسلام. وكان بعض الأمراء الإثيوبيين الذين جلسوا على عرشهم السليمانى المسيحى.. كانوا غير سعداء بالانتساب إلى جالاّ التى أصبحت مسلمة بشكل ساحق. وحينما بات واضحًا أن العرش صار مجرد أداة لسلطة جالاّ، أضحى وضع الحكم الملكى لا يمكن الدفاع عنه. وكان إيواس هو (١٧٥٥- ١٧٦٩) هو آخر الأباطرة الذين يملكون مظاهر السلطة، وقد كان نصف جالاّ ومعتمدًا بالكامل على دعمها.

الـ "شـــوا":

ظلت إحدى المناطق بعيدة عن الحرب الضروس التى سادت هذه الفترة، ومن ثم استفادت سياسيًا، حيث استطاعت إنتاج سلالة ملكية ادعت أحقيتها بالعرش السليمانى، ألا وهى مقاطعة شوا، وتنطق "شيوا" أيضًا. وتوجد معظم هذه المقاطعة جنوبى إثيوبيا، وكانت أكثر مقاطعات إثيوبيا القديمة من حيث عدم التجانس، حيث وُجدت بها جماعات عرقية ودينية عديدة جاهدت جميعًا من أجل الحفاظ على التوازن السياسى الدقيق. وقد تحقق توحيد المقاطعة على أيدى سلالة ملكية مسيحية سبق لها أن شنت حربًا من أجل الهيمنة حتى نهاية القرن ١٨. واستطاعت شوا أثناء حكم ساهلى سيلاسى (١٨١٣-١٨٤٧) من ضم مناطق واسعة شرقًا وغربًا وجنوبًا، وأطلق الحاكم على نفسه مسمى "ملك شوا وجالاّ". وفى إطار جهود حكام شوا المسيحيين لتقليل المقاومة حرصوا على الابتعاد عن سياسة الترحيل العقابى، واعتمدوا على الإغراءات الهادفة إلى جعل الرؤساء المحليين يتقبلون المسيحية، فقد كان من يتحول منهم إلى المسيحية يحصل على مكافآت سخية وهدايا واعتراف بمكانته المحلية. ومن ناحية أخرى، وأينما كان للإسلام جذور عميقة، سُمِح للرؤساء المحليين المسلمين بالاحتفاظ بمكانتهم ما داموا اعترفوا بالسيادة التامة لحكام شوا المسيحيين.

وقد بلغ "عصر أمراء شوا" نهايته فى منتصف القرن ١٩، حين تحمل إمبراطور جديد، تيودروس، مسئولية إنهاء الصراعات الضروس واستعادة سلطة العرش السليمانى على كل السلالات الحاكمة فى المناطق، ومن ثم صعد نجمه بوصفه حاكم إثيوبيا الذى لا يمكن تحديه. ونجح تيودروس فى تحطيم التقسيمات التقليدية لإثيوبيا والتحول إلى وحدات إدارية أصغر يحكمها مسئولون هو من يختارهم. كما أدرك أن قوة الأمراء تكمن فى تحكمهم فى وحدات عسكرية محلية، فعمل على بناء جيش إثيوبى قومى. وتكونت وحدات من جنود ينتمون إلى مناطق مختلفة، ودانوا بالولاء للعرش حيث تلقوا الرواتب من الخزانة الإمبراطورية.

وعلى الرغم من أن تيودروس كان مسيحيًا متدينًا، فقد اصطدم كثيرًا مع القوى المحافظة، بما فيها الكنيسة والإكليروس. ولما كان تيودروس واقعًا تحت ضغط مالى شديد من أجل الاحتفاظ بجيشه الكبير، فقد قلّص الإعفاءات الضريبية التى تتمتع بها

الكنيسة. كما واجه تحديات جديدة من الجالاّ الذين استأنفوا غاراتهم لفرض سيطرتهم على الريف الإثيوبى. وبعد تنافس إقليمى قصير، ادعى حاكم تيجرى أحقيته بالعرش السليمانى عام ١٨٧٢ ولُقِّب بملك الملوك يوحنا (يوحنس) الرابع، وحكم يوحنس مقاطعتى شوا وجوجام. وأثناء ما وصفها البعض بالعصور المظلمة فى إثيوبيا، اغتصبت أميرة غير مسيحية تدعى يوديت ("جوديت") العرش الملكى الإثيوبى عام ٩٦٠، وحكمت لمدة أربعين عامًا وحولت العرش إلى سلالتها. وفى القرن التالى تمت الإطاحة بآخر من حكم من هذه السلالة على يدى مارا تاكلا هايمانوت، وهو كبير سادة أجوا الذى أسس سلالة زغيوى (الزغاوة) وتزوج امرأة تنحدر من ملوك أكسيوم ("بنوة بالقانون") أو حاكم سابق. وكان من أبرزهم جيبرى ميسقيل لاليبيلا الذى نُحِتت فى عهده كنائس لاليبيلا الصخرية. وصارت روها عاصمة لسلالة زغيوى، ويشار لها أيضًا بـ "لاليبيلا" تكريمًا لها باعتبارها المدينة ذات أشهر الملوك والقديسين. وتظل لاليبيلا على أهميتها فى تاريخ إثيوبيا بسبب إسهاماتها الدينية والمعمارية.

نُحِتت كنائس لاليبيلا من كتل صخرية تفصلها خنادق محيطة. تم البناء عام ١٢٥٠ وهى تضم ١١ كنيسة تختلف كثيرًا فيما بينها من حيث الحجم ولون الصخور والنمط المعمارى، ويمكن الوصول إليها فى عصرنا من خلال الجسور والأنفاق. ويؤمن الإثيوبيون بأن هذا المعمار الصعب والمعقد ما كان ليتم دون عون من الملائكة.

ولقد أوضحت الاكتشافات والمعالم الأثرية وبعض الكتابات الموجزة من القرنين السادس والخامس قبل الميلاد تعاقبًا للحضارات فى شمال إثيوبيا حتى قبل صعود الحضارة الأكسيومية الشهيرة. وتعتبر يِيها فى شمال تيجرى وماتارا مثالين لمواقع مهمة كثيرة وُجدت بها معالم وكتابات وأوانٍ خزفية وأدوات برونزية. وقد تمت الأعمال الحرفية فى يِيها، مثلما أكسيوم، وغيرها من الملامح الثقافية لإثيوبيا القديمة ككنائس لاليبيلا وحصون جوندار، بأيدى الحرفيين المحليين.

التأثيرات الثقافية العربية

تأثر الموروث الثقافى والنقوش واللغات الإثيوبية بالهجرات و"الغزوات" من جنوب شبه الجزيرة العربية، رغم أنها تعتبر ثانوية بالنسبة لهجرات البانتو من الجنوب. وقد بدأت تحركات العرب من شبه الجزيرة فى الألف الأول قبل الميلاد. وقد سبق هذه الهجرات مجيء التجار والفلاحين من سبأ عبر البحر الأحمر إلى شمال إثيوبيا، أو ما يسمى اليوم إريتريا. وقد تناثرت أطلال المدن القديمة والممرات التجارية فى إريتريا وشمال تيجرى المتماثلة ثقافيًا.

وبعد صعود الإسلام فى شبه الجزيرة العربية اتسعت سطوة المسلمين عبر ساحل البحر الأحمر والأراضى المنخفضة، ما اضطر الأكسيوميون معه إلى الاعتصام بالحصون فى الجبال. ومع انتشار الإسلام فى مصر أصبحت الإمبراطورية المسيحية الإثيوبية معزولة سياسيًا بشكل متزايد، إن لم يكن ثقافيًا وتجاريًا أيضًا، عن العالم الخارجى.

ومن الأمثلة الأخرى على التأثير الثقافى ما وُجد فى يِيها من تأكيدات على التأثير السكندرى. وتشير الأدبيات المصرية والإغريقية إلى إثيوبيا بأرض بونت، والمَصدر شبه الأسطورى للذهب والثروات فى مكان ما أو بالقرب من القرن الأفريقى. كما أن الأدبيات والأشغال الفنية والنقوش الموجودة فى بلدان الشرق الأوسط تزيل أى شك فى أهمية إثيوبيا لجيرانها. وكذلك كشفت دراسات حديثة عن وجود تجارة كبيرة مع شبه الجزيرة العربية والنيل الأعلى.

كما تعتبر أسطورة ملكة سبأ ذات أهمية كبيرة فى تاريخ إثيوبيا. وجرى تبجيلها فى إثيوبيا بوفها ملكة إثيوبية تُدعى ماكيدا **Makeda**، أما فى فلسطين وشبه الجزيرة العربية القديمة والقرون الوسطى فقد ساد اعتقاد واسع بأن ملكة سبأ الشهيرة كانت فى الحقيقة ملكة عربية اسمها بلقيس، وأن مُلْكها الموروث عن أسلافها كان على مملكة حِمْيَر اليمنية. إلا أن الأساطير الإثيوبية والاكتشافات الأثرية[1] والكتابات التاريخية تترك قليلاً من الشك

---

(١) هناك عدد كبير من الروايات التاريخية والدينية المتناقضة فى هذا الشأن. والموضوع غير محسوم. وما يعنينا هنا أن هذه هى الروايه السائدة وسط جمهرة الإثيوبيين المسيحيين – المترجم.

فى حقيقة أن إثيوبيا كانت موطن ملكة سبأ التى تُعد من أشهر الشخصيات فى التاريخ، وأساس السلالة التى حكمت إثيوبيا وقتذاك. وسنتطرق فيما بعد لإرثها كظاهرة تاريخية، ولا توجد مبالغة فى أهميتها لإثيوبيا الحديثة.

جاء فى كتاب مجد الملوك كيف تم الإتيان بتابوت العهد إلى إثيوبيا، وكيف ذهبت الملكة ماكيدا إلى سليمان وتمت بينهما علاقة أثمرت ولدًا هو منليك الأول. كما أن منليك نفسه قد ذهب إلى القدس مرتين حينما بلغ فمسحه سليمان وعينه ملكًا على إثيوبيا. وبسبب تلك الحوادث أصبح الإثيوبيون "الشعب المختار"، وهو الشرف الذى تعزز باعتناقهم للمسيحية.

أسس منليك الأول، ابن سليمان وملكة سبأ الحضارة الأكسيومية. وبدأت السلالة السليمانية المستعادة عام ١٢٧٠ مع إعلان الإمبراطور يكونو **Yekuno** نسبه المباشر لمنليك الأول، ابن الملك سليمان والملكة ماكيدا (ملكة شيبا أو سبأ). وقد حرص كل حكام إثيوبيا بعد ذلك على تأكيد امتلاكهم كل الحقوق الناجمة عن انحدارهم من يكونو أملاك، ومن ثم من الملك سليمان والملكة ماكيدا. وأثناء ذروة حكم السلالة السليمانية المستعاد فُرضت تنظيمات صارمة كل القِسم المسيحى من المملكة والمناطق المحيطة به. وبعد سلسلة من العمليات العسكرية الناجحة ضد مناطق المسلمين أصبح للعائلة الملكية السلطة على طرق التجارة إلى البحر الأحمر. وتواصلت الإنجازات السياسية والاقتصادية للعائلة الملكية حتى العصر الحديث. ويجب ملاحظة أن هيلا سيلاسى، إمبراطور إثيوبيا الأخير، قد نسب نفسه بالطبع لمنليك الأول.

تأثير المسيحية وأكسيوم القديمة:

تَركز جوهر الدولة الإثيوبية التقليدية منذ نشأتها حول دولة- مدينة أكسيوم التى توجد اليوم فى إقليم تيجرى. وفى وقت ما بين القرنين الأول والثالث الميلاديين تقدم مخطوطة "الطواف فى البحر الإريترى" (كتابة قديمة ذات أهمية عالمية، تتكون من ٦٦ فصلاً كتبها بحار يونانى كان رعية رومانيًا يعيش فى مصر) تصويرًا مهمًا للإرث الغنى للتجارة الأفريقية، وفى أزانيا تحديدا. وقد أورد فى النص تسجيلاً لرحلات سفينته.

ومذكرات عن التجارة، وغيرها من صور الوصف المباشر بما فى ذلك وصفًا حيًا لميناء أدوليس فى أكسيوم. وذكر كاتب "الطواف" واردات كثيرة تضمنت ألواح النحاس اللين وفئوسًا قصيرة وأنبذة خفيفة من إيطاليا، وصفائح ذهب وفضة للملوك، عباءات عسكرية، حديدًا وصلبًا وأقمشة قطنية من الهند. ووصف النص طواطم الأسود والمظلات الاحتفالية كرموز سياسية مهمة. وقد استطاعت أكسيوم عندما بلغت أعلى درجات قوتها توحيد إمارات شمال تيجرى، كما ظلت ثلاثة أقاليم غرب شبه الجزيرة العربية تحت سيطرة أكسيوم حتى نهاية القرن الثالث الميلادى. كذلك تحكمت الإمبراطورية فى الملاحة بالبحر الأحمر، خاصة بعد تدمير مملكة مِروى فى غربه، والتى كانت مزدهرة قبل أكسيوم لكنها لم تتعاف بشكل كامل.

وقد احتل عيزانا Ezana ملك أكسيوم مكانة مهمة فى تاريخ إثيوبيا. فقرب نهاية عهده تحول إلى المسيحية، ليكون أول ملك أفريقى يعتنق هذه الديانة ويجعلها الدين الرسمى لإمبراطوريته. وتعود هذه إلى الملك إيلا أميدا والد عيزانا الذى صنع رمزه الطوطمى من صلب البازلت الأسود فى عاصمة مروى القديمة. وصك ملوك أكسيوم عملات من البرونز والفضة والذهب. وحُفظت التيجان الذهبية للأباطرة السابقين فى الكنيسة الكاتدرائية لسانت مارى صهيون، وقد قدم معظمها الإمبراطور يوحنس فى القرن ١٩. وتعرضت هذه الكنيسة للتدمير أثناء غارات المسلمين فى القرن ١٦، ولم يُعَد بناؤها فى القرنين ١٧ و١٨. ومن المعالم الأخرى للحضارة الأكسيومية خزان الرى الكبير فى ماي- شوم المسمى محليًا ببركة ملكة سبأ. وتوجد أيضًا المدافن التى يقع أحدها غرب أكسيوم ويُنسب إلى الملك الأسطورى منليك الأول.

وقد انهارت أكسيوم فعليًا لكن الكنيسة المسيحية بقيت. وكانت الصلات مع بقية العالم تتم فى أوائل عهدها من خلال الممرات التجارية. ولما كانت هذه الممرات دومًا هى مسارات للتقدم، فإن غياب التبادل الحر للأفكار يدفع الأمم صوب الجمود وتوقف التطور. وقد تراجعت السوق التجارية مع توسع النفوذ الفارسى فى البحر الأحمر. كما كان من نتائج صعود الإسلام، وجهاد الفتح الذى رافقه، انهيار أكسيوم. وكانت أكسيوم، السلف المتصل لإثيوبيا الحديثة، قد قامت على التجارة والغزو، وصعدت إلى الصدارة خلال القرنين أو الثلاثة الأولى للميلاد مثلما كانت فى بؤرة التركيز فى القرن السادس قبل

الميلاد، وشهدت الحقبة بين القرنين الأول والثامن الميلادى ازدهارها، لكنها هلكت أخيرًا عام ٩٧٠ ميلادى على أيدى جماعات الجيران المعادين.

وقد بدأ سكان الدولة فى العهد الأكسيومى يصفون أنفسهم بالأحباش Abyssinians، ويلقبون حكامهم البارزين بملك الملوك أو الإمبراطور. وقد ضم الأكسيوميون مزيجًا من السكان الكوشيين فى شمال إثيوبيا، والمستوطنين "الساميين" الذين عبروا البحر الأحمر من جنوب شبه الجزيرة العربية للإقامة فى المنطقة. وحافظ الأحباش على روابط تجارية وثيقة نسبيًا مع الإمبراطورية الرومانية، ومن ثم ربما أسهموا فى تبنيها المسيحية كالدين الرسمى فى القرن الرابع.

ومنذ هذه الفترة فصاعدًا أصبحت الديانة المسيحية واللغة الجعزية (لغة الكنيسة) أداتين لانتشار الثقافة الحبشية وسط الشعوب المغلوبة فى الجنوب، ومركز الهضبة حيث جرى انصهار السكان الأكسيوميين والكوشيين، إلى جانب عدد كبير من السكان الناطقين بالأجوا. لكن المجتمع الناشئ كان يشار إليه عامةً بالحبشى. ومن ثم فإن الجعزية، اللغة السابقة على اللغات السامية الرئيسية الثلاث واللغة الطقسية للكنيسة، لم تعد مستخدمة شعبيًا. وتعتبر علاقة اللغة الجعزية بالأمهرية- لغة التواصل الحديثة- قريبة الشبه من علاقة اللاتينية باللغات الرومانية.

مرت الإمبراطورية المسيحية فى إثيوبيا بأوقات عصيبة فى الفترة من عام ٩٧٠ إلى عام ١١٣٥. فقد جاء تهديد جديد من الشمال من العرب المسلمين، وهددها الصوماليون المسلمون من الجنوب الشرقى، كما تهددت الدولة المسيحية الإثيوبية من حضارات أخرى تدافع عن عبادة الأرباب التقليديين. ومع مجيء عام ١١٣٥ كانت الدولة تزاح إلى الجنوب والغرب، لكنها ظلت قادرة على إعادة تكوين نفسها وإن بصورة أضعف. وفى الفترة من أوائل القرن ١٤ إلى القرن ١٥ أصبحت الدولة قوية مرة أخرى وبما يكفى للشروع فى التوسعين السياسى والثقافى. ففى هذه الفترة التى سادها الملوك الأمهرة، انتشرت الثقافة الأمهرية- المسيحية فى كل أقاليم الدولة، حيث تمت "أمهرة" المغلوبين وأجبروا على هجر المعتقدات الوثنية واعتناق المسيحية القبطية. وظلت الأمهرية اللغة الرسمية الإثيوبية حتى اليوم (والإنجليزية لغة ثانية). وبقيت الدولة الإثيوبية فى الإقليم الشمالى الشرقى الأفريقى المكان الوحيد فى القارة الذى نشأت وبقيت فيه المسيحية

كمعتقد محلى حقًا. بينما عرفت الأجزاء الأخرى فى القارة المسيحية عن طريق إرساليات التبشير الأوروبية.

دخل المجتمع الحبشى بؤرة التاريخ من خلال كتابات كهنته حتى نهاية القرن ١٣. حينئذٍ كان اندماج الأجوا قد تقدم بما يكفى لخلق سلالة سياسية منهم، أطلق عليها الزغوى (الزغاوة)، واستطاعت حكم المملكة الجبلية فى الفترة من منتصف القرن ١١ حتى عام ١٢٧٠. ووُجدت سلالة حاكمة أخرى فى إقليمِ أمهرة ادعت التحدر من الملك سليمان وحاولت السيطرة من جديد على أكسيوم. وقد أُطيح بالزغوى عام ١٢٧٠ وبدأ حكم السلالة الملكية السليمانية. وخلال قرون أثبت هذا الحكم قدرة السلطة الإثيوبية فى التصدى للهجمات على أراضيها. بل كانت من وقت لآخر تضم إلى العرش السليمانى أجزاءً من جنوب وجنوب غربى الهضبة. غير أن هذا النفوذ ظل غير مباشر فى حالات عديدة، ولم يستمر لفترات طويلة.

خريطة الثقافة الإثيوبية :

الأيقونات، الأدب، الفن، الموسيقى

ظل الفن التقليدى لإثيوبيا المسيحية مجهولاً خارج حدودها حتى زمن قريب. وكان أول ما عرف من الفن التشكيلى هو المنحوتات الصخرية للحيوانات والموجودة فى بعض مناطق شمال البلاد، مثل جوبيدرا وكوهايتو. وقد أنتج الفنانون الإثيوبيون كمًا هائلاً وفريدًا من الجداريات الكنسية والمخطوطات والمنمنمات والرسوم على الخشب. وتصور الأيقونات الإثيوبية طيفًا واسعًا من الصور المقدسة التى تستخدم فى أغراض إيمانية سواء كتعويذة لها قوة درء الشرور أو جلب الحظ، أم كجزء مهم من الوفاء بالنذور تعبيرًا عن الرغبة فى الولاء لقديس معين أو العذراء مريم. كما تُرتدى الشرائح المطوية أو المزدوجة من القماش أو الجلد، معلقةً فى الرقبة للحماية من القوى الشريرة. ومنذ القرن ١٧ أصبح من الممارسات الشائعة أداء قَسَم ما أمام إحدى الأيقونات. وفى القرنين ١٧ و١٨ انتشرت القلائد ذات الوجهين، المرسومة أو المحفورة.

وبدءًا من دخول المسيحية فى القرن الرابع كانت الكنيسة هى الموجه لتطور الفن المسيحى الإثيوبى، حيث استخدمت الرسامين الذين كان الكثيرون منهم من الإكليروس. ومنذ القرن السابع كانت الرسومات الجدارية والروايات المقدسة المرسومة تصور فى الغالب العذراء مريم والقديسين فى أوضاع حية كأن ترى وتتكلم وتعمل مثل شفاء المرضى وحماية الضعيف. وبفضل النجاح فى صد كل محاولات القوى الخارجية لغزو إثيوبيا، استمر إبداعها فى الازدهار رغم كل المعوقات، وقدمت أشكالاً أفريقية متفردة حتى أثناء الاستجابة للتأثيرات المختلفة الآتية من الخارج.

كما يكشف الفن الإثيوبى عن أدلة على التأثر بالعالمين الشرقى والغربى، بما فيهما: الثقافات البيزنطة، اليونانية، القبطية، النوبية، والأرمينية. وعلى الرغم من أن الصور التوضيحية للمخطوطات قد بدأت فى الظهور منذ القرن ١٤، فإن التطورات التى حدثت بين القرنين ١٥ و١٨- بما فيها وصول الجيزويت واكتشاف طرق بحرية جديدة- قد ساعدت فى نمو الفن الإثيوبى مع دخول المؤثرات الثقافية وفنون الأيقونات الأوروبية الغربية. وقد أظهر بعض الأيقونات الإثيوبية الرسوم والشروح المقدسة تعبيرًا عن تمسك وطيد بالإيمان المسيحى. كما أدى صد هجمات المسلمين إلى مشروع لإعادة بناء الكنائس والأديرة، وتجدد الحماس للمخطوطات المصحوبة برسومات توضيحية انسيابية وملونة. ويملك بعض الكنائس الكبيرة والأديرة تيجانًا ثمينة للاحتفالات، وصلبانًا عملاقة، وعصيًا للصلاة ذات مقابض دقيقة النقوش، ومباخر رائعة مزخرفة، وأدوات الصك المصاحبة للترانيم وأغلفة الكتب المعدنية.

والفن الإثيوبى من النوع التعليمى الذى تحدوه الرغبة فى أن ينقل للمؤمنين دراما وسرديات الكتب المقدسة وأعمال الشخصيات المقدسة، وينتقل هذا الفن من جيل من الفنانين لجيل آخر من خلال التدريب، حيث يُضاف إليه ويتوسع عبر التقاليد الشفاهية. وأنتج مُرَكَّب الاستمرار والمرونة هذا نهضة ثقافية أو ترسيخًا للطابع الإثيوبى. وفى منتصف القرن ١٥ أسهمت ترجمة العظات تمجيدًا للقديسين والبطاركة الذين تبجلهم الكنيسة القبطية، مع مجاميع معجزات القديسين، والسير الذاتية العديدة لملوك الزغاوة، أسهمت بشكل كبير فى ازدهار الأدب الإثيوبى. وقد صاحب هذه المخطوطات فى أغلب الأحيان رسوم ملونة بديعة. وتوصف أواخر القرن ١٩ وأوائل القرن ٢٠ غالبًا بالحقبة

الأخيرة من تطور الفن الإثيوبى التقليدى، والتى شهدت ازدهار المخطوطات المصورة، والكتب ذات الرسوم التوضيحية على الرقاق المصنوعة من جلد الحيوانات، وهو التقليد الذى استمر لقرون.

وقد هيمن رجال الدين على الأدب والفن ومعظم أوجه التعبير المنظم، حيث كان دين الدولة هو الذى يحدد بشكل كبير نطاق الإبداع الفنى، فكانت الترانيم الممجدة للمسيح والعذراء والقديسين والملائكة. كما وُجد أيضًا الكثير من الأشعار والأغانى العلمانية وغيرها من أشكال التقاليد الشفاهية، والتى افتقرت نسبيًا إلى التقييم النقدى نتيجة لهيمنة الأدب المسيحى المكتوب. ويقع فى هذه الفئة: المواعظ والمدائح والأغانى والقصائد الممجدة للحكام الإمبراطوريين فضلاً عن التعليق وغيرها من أشكال التأثير. وعلى الرغم من المسيحية لم تكن المصدر الوحيد للفن البيزنطى والإثيوبى، فإنها لم تعمل فقط على قولبته وإنما تحديد رسالته والغرض منه.

وتوحى شعبية أجناس موسيقية مثل موسيقى أو أغانى ديجوا ***deggwa*** الكنسية والجانهوى ***janhoy*** أو الأناشيد الملكية، بالحاجة إلى المزيد من الدراسة من أجل تقييم أفضل للموسيقى والتراتيل الكنسية وتأليفها. ومن بين الآلات الموسيقية الإثيوبية الكِرار (القيثارة) ذات الستة أوتار. وهناك الماسانكو أحادية الوتر، كما كان الكابارو أو الدُّف الصغير أحد أقدم الآلات وأكثرها انتشارًا. ولا تكتمل مناسبة موسيقية إثيوبية دون "عصا الصلاة" أو المكواميا التى تلعب دورًا مهمًا فى القرع إلى جانب التصفيق الإيقاعي.

وبالنسبة للتعليم الرسمى، فقد ظل حتى أوائل القرن العشرين مقصورًا على التعليم الدينى الذى ينظَّم ويقدَّم تحت إشراف كنيسة التوحيد الأرثوذكسية الإثيوبية. كما كانت هذه المدارس مسئولة عن إعداد الأفراد للكهنوت وغيره من الواجبات والمواقع الدينية. وفى المراكز الكبرى فى أمهرة وتيجرى، قدمت المدارس التعليم الدينى لأبناء النبلاء وكذا أبناء الفلاحين المرتبطين بعائلات النخبة. بيد أن المدارس الإسلامية وفرت التعليم لبعض أبناء السكان المسلمين. وتأسس عدد قليل من مدارس الإرساليات أواخر القرن ١٩، وكان دخولها متاحًا فى الغالب أمام أبناء المجتمعات ذات الطوائف المتداخلة والمتعددة.

الأدب :

بدأت الكتب والآداب باللغة الأمهرية تخرج من المطابع للمرة الأولى فى القرن ١٩، وقبلها كان مصطلح "الأدب" محجوزًا للإنتاج الأدبى باللغة الجعزية فقط. وكان البحر الأحمر هو قناة التأثير المصرى والهيلينى والبيزنطى على بدايات الأدب الإثيوبى. وبدخول المسيحية إلى إثيوبيا صارت بؤرة الإبداع الأدبى، كما باتت المسيحية كذلك المصفاة التى يمر من خلالها أو ينال القبول كل أوجه الفكر القديمة والجديدة. وتضمن إضفاء الطابع الإثيوبى على الأدب: الترجمات، التكييفات والتحويرات بما يتناسب وروح وأجواء الحبشى المسيحى. ويعتبر "تشريع الملوك" (فيثا نجاست" **Fetha Nagast**) من الوثائق التى خضعت لمستوى عالٍ من إعادة التفكير والتعديل، وحافظت حتى اليوم على قيمتها وأهميتها العملية فى إثيوبيا. إذ تشكل الفيثا أساس القانون العرفى فى بعض المقاطعات، فضلاً عن تأثيرها فى بعض مواد القانونين المدنى والجنائى، المعمول بها عبر السنين. وقد ظلت الفيثا نجاست القانون الأعلى رسميًا فى إثيوبيا حتى ١٩٣١ عندما عمل الإمبراطور هيبلا سيلاسى الأول على وضع دستور حديث.

وعلى الرغم من الاعتراف الواسع بالأدب المكتوب باللغة الأمهرية فى القرن ١٧، فإنه لم يحقق الخلاص التام إلا فى القرن ١٩ حينما منحه الملك تيودور أقوى دفعة تشجيع لإنتاجه. وقد برز هذا التطور كعنصر فى برنامج التوحيد الإمبراطورى، واستمر يؤثر فى السياسات الحكومية لوقت طويل. ومع اتساع نفوذ اللغة الأمهرية انحسرت فى مجال الطقس الكنسى. وبإنشاء الإمبراطور منليك الثانى لمطبعة رئيسية، فإنه فتح الباب أمام انتشار المنشآت الطباعية فى المدن الرئيسية مثل أديس وأسمرة، والتى أخذت تخرج الكتب والكراسات والدوريات والصحف.

ومن بين أوائل الكُتَّاب المشهورين فى ذلك العصر يُذكر أتو كبّيدى ميكايل **Ato Kebbede Mikael** وأتو منجستو ليمّا **Ato Mangestu Lemma** اللذين ألفا فى التعليم والصحة وغيرهما من الأمور الاجتماعية والسياسية وقتها، وألفَّ أليكا تاييه **Aleka Tayye** الذى ألفَّ الكتاب الذائع "تاريخ شعب إثيوبيا"، وكتب أفيورك **Afework** "حياة منليك الثاني"، وألفَّ ليبْ وَلَد طارق **Lebb Walad Tarik** رواية رائدة بالأمهرية، وكتب هيروى والدا سيلاسى **Heruy Walda Sellasie** دراسة عن حكم الملك جون الرابع تضمنت أيضًا

سيرًا ذاتية موجزة وانطباعات سياسية عن بعض النبلاء، وكتب بلاتّا مارسئى هازان Blatta Mars'e Hazan سلسلة فى قواعد اللغة الأمهرية، وأتو بأمنال جيبري- أملك Ato Ba'emnal Gebre-Amlak عن أصول اللغة الأمهرية وتطورها. كما كانت هناك إضافات قيمة من راس بيتوديد ماكونن إندالكاتشيو Ras Bitwodded Makonnen Endalkatchew رئيس الوزراء السابق. وكرّس كل من جيرماتشيو تكلا- هواريات Germatchew Tekla-Hawaryat وكبّيدى ميكائيل Kebbede Mika'el مواهبهما للمسرح والرواية. كما كان لأتو منجستو ليمًا مساهمة مهمة فى الشعر الإثيوبي.

اطلع الإثيوبيون بحماس على أفضل الآداب والتقاليد الفكرية الأوروبية. فقد تُرجمت إلى الأمهرية أعمال أشهر الكُتّاب مثل وليام شكسبير وجوته، وأعمال أخرى مثل: حكايات إيسوب، ألف ليلة وليلة، رحلة الحاج.. كما أتيحت للأغراض التعليمية. وكان من المنشورات الشعبية وقتها الكتابات الأدبية عن شخصيات عالمية مثل المهاتما غاندى. ومن الموضوعات الشعبية الأخرى التى اهتمت بها دوائر النشر الإثيوبية وقتها: الأجناس، الهوية، علاقات السلطة، الحقوق المدنية، التاريخ الدبلوماسى، ومكانة إثيوبيا فى الواقع الأفريقى والعالمى الحديث. ومن بين الصحف والدوريات الأمهرية: أميرو، بيرهانينو، وسلام. وكانت نيجاريت جازيتا هى المجلة الرسمية الأولى للدولة. ومن صحف أديس أبابا: أديس زمان ويا- إيتيوبيا ديمس.

وقد عُرفت إثيوبيا أيضًا بتميزها المعمارى، مثل المسلة التى تصنف كأعلى الفنون المعمارية المحلية. كما تعتبر المبانى الشاهقة متعددة الطوابق من عصر ما قبل المسيحية بمثابة شواهد ونصب تذكارية. وقد تطلبْ العمل والنقل وإنشاء هذه الأبنية رائعة النحت والغنية بنقوشها، مهارات فنية كبيرة. ويبلغ ارتفاع مسلة أكسيوم قرابة ٧٠ قدمًا، بينما يبلغ أعلى مسلات العالم ١١٠ أقدام، ومن ثم فإن مسلة أكسيوم تُعد من أكبر الأحجار المنفردة المنصوبة.

وقد حدث أن استولت روما عام ١٩٣٧ على مسلة أكسيوم ذات الـ ٢٤ مترًا ونصبتها فى ساحة ديبورتا كابينا، حيث قام الديكتاتور الفاشى بنيتو موسوليني- ضمن مساعيه لبناء إمبراطورية رومانية جديدة- باقتلاع أكبر وأشهر مسلات أكسيوم التاريخية ليضعها قبالة ما أطلق عليها وزارة المناطق الأفريقية- الإيطالية. وقد كانت المسلة من أعز ملامح

التاريخ الإثيوبى المسجل فى المتاحف والمكتبات والمجموعات الفنية الأوروبية. وكوَّن مواطنون وعلماء وأصدقاء لإثيوبيا معاصرون جماعات ضغط من أجل إعادة هذا الإرث وأيقونة جذور الحضارة الإثيوبية. وبالفعل استعيدت المسلة عام ٢٠٠٥ بعدما ظلت فى إيطاليا أكثر من سبعين عامًا.

كان المعمار المتقن لمبانى وكنائس أكسيوم الحجرية مقتصرًا على المقار الكنسية والملكية المهيبة. أما أفراد الشعب فى القرى فكانوا يعيشون فى أكواخ متواضعة من الأخشاب والقش والطين وذات سقف مخروطى يطلق عليها توكول أو جادو. أما الأغنى نسبيًا فكان لديهم توكولات أيضًا مبنية بالأخشاب ومدعومة بالأحجار. وعُرِف عن الرؤساء القرويين والنخب السياسية حبهم لإقامة مساكن ذات طوابق علوية. وبالنسبة للمدن الرئيسية فقد استثمر المسئولون والوزراء والنبلاء فى إقامة الأبنية الحديثة على الطراز الأوروبى.

وتعد الشامّا البيضاء هى الزى الوطنى الإثيوبى، وهى عبارة عن رداء قطنى مستطيل يبلغ عرضه عادةً أكثر من ثلاثة أقدام. ويرتديه الرجال والنساء على السواء. بينما يرتدى الرجال سراويل تضيق فى المسافة من الركبة إلى كاحل القدم. أما المرأة فترتدى جلبابًا واسعًا يشبه القميص مع تنورة واسعة حتى الكاحلين. وغالبًا ما تصنع هذه الملابس من أقمشة جميلة الألوان. وفى الأعياد يرتدون الملابس نفسها مع وضع وشاح أحمر عريض يسمى جانو. ويرتدى المميزون سترة حريرية مطرزة تحت الشما. ويضع كل من الرجال والنساء عباءة أو بُرنس على الأكتاف، خاصة عندما يكون الجو باردًا.

والطعام الوطنى الإثيوبى هو الإنجيرا (خبز محلي) والوات أوت زيجينى، وهو نوع من الحساء بالكارى مع لحم البقر أو الضأن أو الدجاج، مع إضافة بيض مسلوق، ويُتبَّل بالفلفل الأحمر أو البربرى وغيره من التوابل.

ويُطهى الحساء بالكارى من لحم البقر، لحم الضأن، أو الدجاج الذى تمت إضافة بعض البيض المسلوق والذى يُتبَّل مع الفلفل الأحمر أو بربرية وغيرهما من التوابل. ويقدم فى بعض الأحيان مع التيدجى (شراب العسل المخمر) أو التال (نوع شعبى من الجعة الإثيوبية).

تعتبر الأسماء أو احتفالات التسمية مهمة جدًا للتقاليد الإثيوبية. فالأطفال فى المناطق الناطقة بالتيجرانية يحصلون غالبًا على أسماء معمودية. ويحمل أطفال المهرة فى الغالب أسماء آبائهم كمكون ثانٍ. كما يحصلون أيضًا على اسم علمانى واسم معمودى. وإذا مات طفل أو وقعت كارثة للأسرة يسمى الوليد الجديد كاسًا (أي: عوض). ومن الأسماء الشائعة للرجال: هاجوس (فرح)، ديستا (سرور)، ميبراهتو (نور)، تيسفاى (أملي). ومن الأسماء المفضلة للإناث: أبابا (زهرة)، تيرونيش (أنتِ نقية)، هاجوسا (فرحة)، زاوديتو (تاج)، بالينش (أنتِ أسمى). أما الأسماء المسيحية فعادة تكون مركبة مع لفظ: "جِبري-.." (بمعنى: خادم)، والدا (ابن)، أميتى (خادمة)، والاتّا (ابنة)، تيفا (أمل)، تيكلام (نبتة)، هايلى (قوة)، هابتى (هدية). ومن الأسماء المشهورة التى نوردها كأمثلة: جيبري- يِسوس (خادم يسوع)، أميتي- ماريام (خادمة مريم)، والأتا- سيون (ابنه صهيون)، هابتي- ميكايل (هدية ميخائيل)، والدا- آب- سون (ابن آب- سون).

الفصل الثانى

العولمة والتحديث
حتى أواخر القرن التاسع عشر

منذ القرن السابع الميلادى تدهورت أكسيوم جراء الصعود الإسلامى وما يلى ذلك من انقطاع التجارة عبر البحر الأحمر. واستمر الصعود الإسلامى فى اختراق الجنوب الشرقى فى صورة شريط من الإمارات الإسلامية منذ القرن التاسع فصاعدا. وكانت سلسلة الصدامات الحربية بين إثيوبيا المسيحية وقوات المسلمين من أهم العوامل المؤثرة فى تاريخ إثيوبيا قبل القرن ١٥. فمع نهاية ذلك القرن استطاعت المملكة المسيحية فرض إرادتها على أعدائها فيما يتعلق بجميع أغراضها العملية. وفى الوقت نفسه تقريبًا تزايد المسعى الدولى للتواصل مع ملك مسيحى أسطورى يتمتع بثروة وقوة فائقتين، ويوجد فى مكان ما وراء الهلال الإسلامى الذى أغلق طريق أوروبا إلى آسيا. وقد أسهمت أسطورة الملك بريستر جون (الكاهن يوحنا)[١] فى بناء صورة قومية لإثيوبيا فى الساحة الدولية بتوفير دفعة للقوى الصليبية للتدخل ضد انتشار ونفوذ الإسلام، بدعوى الوصول إلى الثروات الهائلة للملكة المجهولة. وقد قاد هذا التدخل العديد من المراقبين الأوروبيين إلى لعب دور فى تاريخ إثيوبيا فى تلك الفترة، من خلال المراسلات الدبلوماسية والكنسية وكذلك تبادل الرسل بين إثيوبيا وأوروبا. وبالإضافة إلى الطابع

---

(١) شخصية أسطورية لكاهن وملك نسطورى حقق نجاحات ضد الحكام المسلمين فى فارس وكان فى طريقه للقدس لولا مصاعب واجهته عند نهر دجلة. بالإضافة إلى روايات أخرى عنه عديدة ولكنها غير مؤكدة. إلا أنه كان من مزاعم الحرب الصليبية البحث عنه للتحالف معه فى مواجهة المسلمين. وفى منتصف القرن الـ ١٤ انتقلت الرواية إلى إثيوبيا حيث أشاع الصليبيون البحث عنه هناك. رغم أن الأسطورة الأصلية تقول بوجوده فى المناطق النسطورية بآسيا- المترجم.

التوحيدى للملكية الإثيوبية، والتى عززها الإيمان المسيحى، كان هناك شعور طاغ بهوية أظهرت نفسها فى شكل وحدة عامة مستمرة، وفى القتال من أجل استقلال إثيوبيا. وقد ساد هذا الموقف فى إثيوبيا طوال عصر الاستعمار فى أفريقيا، باستثناء الغزو والاحتلال الإيطالى فى الفترة ١٩٣٦- ١٩٤٠.

وكان تجار فينسيا من بين التُجار الكثيرين الذين زاروا إثيوبيا فى القرنين ١٤ و١٥، وكان لهم دور فى توفير المعلومات الجغرافية عن شمال شرقى أفريقيا. وذاعت عام ١٤٥٧ وثيقة جغرافية عرفت بخريطة فرامورو **Fra Mauro**، وتلتها كتابات عن العصر الكلاسيكى، وقد حملت جميعها شواهد على السمعة السياسية والتجارية "السيئة" لإثيوبيا. وحاول المقر البابوى عقد الصلات مع الرهبان الأحباش فى القدس. وكتب ملك إسبانى إلى الإمبراطور زرء يعقوب **Zara Yakob** (١٤٣٤- ١٤٦٨) الذى يوصف بمسيحى متشدد لم يشجع فقط على تأليف الكتب وبناء الكنائس وإعلام العامة بالتعاليم، وإنما ساعد أيضًا فى بناء قومية دينية وهوية إثيوبية. وكان ياكوب نفسه مؤلفًا غزير الإنتاج له عدد كبير من الكتب اللاهوتية والفلسفية. كما عرف عنه إعادة تنظيم الحكومة، وقمع التمردات الإقليمية، وتشكيل جيش من الجواسيس المستخدمين فى البحث عن المعارضين لأحكامه. وقد امتد نفوذه إلى أبعد أقاليم إثيوبيا وأكثرها استقلالية، واضطر الرؤساء القبليون والملوك إلى الاعتراف به ودفعوا الضرائب له.

البرتغاليون ودور الجيزويت:

أثارت أسطورة الملك الكاهن جون اهتمامًا كبيرًا عند ملوك البرتغال منذ عهد الأمير هنرى الملاح **Henry the Navigator**، وسرعان ما أقاموا علاقات دبلوماسية مع إثيوبيا. فوصل السفير بيروس دا كوفيلها **Peros da Covilha** إلى شوا عام ١٤٩٣. وفى عام ١٥٠٩ أرسلت الإمبراطورة هيلينا **Helena** أرمينيًا يُدعى "ماتيو" **Matthew** ليكون سفيرًا لها فى البرتغال. بيد أن الرغبة فى تعزيز العمليات الحربية المشتركة ضد الإسلام أخلت الطريق أمام تصورات خاطئة فى لشبونة وروما بأن الكنيسة الإثيوبية تتطلع إلى القبول بالمبادئ البابوية، وهو ما أدى إلى حقبة كارثية فى العلاقات الإثيوبية- الأوروبية، حيث تَشَكّل إرث

من انعدام الثقة بين الإثيوبيين والأجانب لفترة طويلة. وتجلى الشك بأوضح صوره عند تدافع القوى الأوروبية على أفريقيا فى القرن ١٩ خاصة سلسلة الغزوات الإيطالية وفترة قصيرة من الإدارة العسكرية البريطانية تبعها على الفور انهيار الاحتلال الإيطالى.

وكانت الفترة من ١٥٢٩ إلى ١٦٣٢ فترة مضطربة للغاية بالنسبة للدولة "السليمانية" فى إثيوبيا. ففى عام ١٥٥٧ استولى الأتراك على ميناء مصوع الإريترى واخترقوا حدود مرتفعات تيجرى. كما زودوا جماعات مثل عفار والصوماليين بالأسلحة ما منحهم القدرة فى الضغط على الحبشة من الشرق. كما تمكن الأورومو الكوشيون الشرقيون من التغلغل شمالاً حتى شوا وبجيمدر وجوجام. وقد دخلت الأسلحة النارية إلى إثيوبيا للمرة الأولى فى عهد الإمبراطور ليبنا دينجل Lebna Dengel (١٥٠٨- ١٥٤٠) لتلعب دورًا مهمًا فى اندلاع القتال بالقرن السادس عشر.

ففى النصف الأول من هذا القرن واجهت إثيوبيا غزوًا إسلاميًا بقيادة أحمد ابن إبراهيم الغازى Ahmad Ibn Ghazi (١٥٠٦- ١٥٤٣) والذى عُرف أيضًا بأحمد جران (أو جوري)[١] ("أحمد الأعسر") وأعلن الجهاد ضد الأحباش. وطلب الإثيوبيون العون من البرتغال لصد الغزاة، لكن الأخيرة سعت فيما بعد لفرض الكاثوليكية على إثيوبيا. ففى العام ١٥٤١ وصلت قوة برتغالية من أربعمائة جندى بقيادة كريستوفر داجاما (ابن فاسكو داجاما مكتشف الطريق إلى الهند عبر رأس الرجاء الصالح جنوب القارة الأفريقية) ونجحت فى صد أحمد جران. وعلى أمل بناء عاصمة دينية دخلت إرساليات الجيزويت إلى إثيوبيا، حيث استقبلهم بحرارة حكامها الممتنون، لكنهم تورطوا فيما بعد فى الصراعات الاجتماعية والسياسية فى الفترة ١٦٠٧- ١٦٣٢. وقد تحول إلى الكاثوليكية سرًا الإمبراطور زا دينجل Za Dengel (أصناف ساجاد الثانى Asnaf Sagad II ١٦٠٣- ١٦٠٤) والإمبراطور سوسنيوس Susenyos (١٦٠٧- ١٦٣٢). ولكن الجيزويت لم تعد لهم حظوة فى عهد الإمبراطور فاسيلاداس Fasiladas (١٦٣٢- ١٦٦٧) وتم طردهم.

وعلى الرغم من أن مستقبل الولاء للإسكندرية كان مضمونًا، فقد استمرت فترة الجيزويت (١٥٠٠- ١٦٣٣) مؤثرة فى مسار التاريخ الإثيوبى. فمثلاً كان بيدرو بايز

---

(١) الأعسر باللغة الأمهرية، لأنه كان يستخدم السيف بيده اليسرى - المترجم.

Pedro Pa´ez المبشر الموصوف بـ "المهذب، المتعلم، المحترم"، كان ذا تأثير كبير فى تيسير الانخراط الروحى والفكرى للحكام الإثيوبيين مع التقاليد الكاثوليكية. وما زالت بعض الكنائس الكاثوليكية الذى صممه قائمًا، وكان له تأثيره فى المعمار الإثيوبى. لكن ألفونسو مينديز Alfonso Mendez الذى وصل فى يناير ١٦٢٤ ليحل محله كان أقل تسامحًا مع الممارسات التقليدية الإثيوبية، وسرعان ما أدان الممارسات المحلية وأعلن السيادة لروما.

وطوال الفترة بين القرن ١٧ وأواسط القرن ٢٠ سادت الخلافات الإقليمية بشأن التعدى الكاثوليكى على التقاليد الأرثوذكسية الإثيوبية، والأهم من ذلك على المذاهب المختلفة فيما يتعلق بطبيعة المسيح. وتضمن تقليدان أدخلتهما إرسالية الجيزويت البرتغاليين: الكيبات Qebat (المسح) الذى يقرر أن يسوع أصبح إنسانًا تامًا وربًا تامًا بمسح الروح القدس فى نهر الأردن وليس بالتجسد. ومن ناحية أخرى فإن التسيجّا Tsegga (ابن النعمة) عبَّرت عن الرؤية القائلة بأن المسيح قد مر بثلاث ولادات: الولادة الأبدية (ولادة الابن من الأب)، الولادة الطبيعية (ولادة الابن من مريم العذراء)، والولادة من الروح القدس أثناء المعمودية.

استمر هذا الانقسام الخلافى حتى عهد الإمبراطور تيودروس الثانى Tewodros II (١٨٥٥– ١٨٦٨) الذى حاول تمتين الوحدة الإثيوبية بمرسوم يحظر الاستخدام السياسى فى الأزمة المذهبية. وجاء القرار النهائى فى هذا النزاع اللاهوتى فى عهد الإمبراطور يوحنس الرابع (١٨٧٢– ١٨٨٩). وقد تأسست تعاليم الكنيسة الإثيوبية– مثل غيرها من الكنائس الأرثوذكسية الشرقية– على أن الرب يسوع المسيح هو خالق العالم ومخلصه.

وعلى الرغم من تمكن إثيوبيا من صد سلسلة من الهجمات الإسلامية عام ١٨٤٣ فإن ذلك قد فتح الطريق أمام هجرة كبيرة لشعب الجالاّ الذين كان ولاؤهم صوريًا سواء للمسيحية أم الإسلام، وحيث استمر ضغطهم على الدولة الإثيوبية لعقود طويلة. واستوطن الجالا فى مناطق واسعة من الإمبراطورية، بما فيها موطن الأمهرة، الجماعة العرقية السائدة فى العصور السليمانية. وقد مثلت فترة حكم فاسيلادس Fasiladas (١٦٣٢– ١٦٦٧) تحولاً مهمًا عن تقاليد الملكية الإثيوبية، حيث تم التخلى عن نمط الحياة شبه الرعوى الذى يقوده الأباطرة الإثيوبيون عرفيًا. فأصبح البلاط الملكى مستقرًا فى موقع ثابت، هو مدينة جوندار.

وازدهرت الدولة بشكل واضح حتى أوائل القرن ١٨. بيد أن الفترة من ١٧٠٦ حتى العقد السابع من هذا القرن اتسمت بالتدهور والانهيار الفعلى. وكان فاسيلادس قد بدأ أيضًا عمليات تنموية استهدفت جعل جوندار المدينة الأهم فى إثيوبيا، والتى استمرت كذلك حتى تأسيس أديس أبابا أواخر القرن ١٩. وكانت أشكال حكمه بمثابة المقدمة لتاريخ إثيوبيا الحديث. ويقول المؤرخ باهرو زِوْدى Bahru Zewde إن الثورة الصناعية التى حولت المجتمع الأوروبى، بدءًا من نهاية القرن ١٨، قد دشنت نمط علاقات جديد بين أوروبا وأفريقيا. وشرح هذا بأنه بوجود أربعة جوانب متداخلة للاهتمام الأوروبى بإثيوبيا: تجارى، رسمى، تبشيرى، وعلمى. ومع بروز إمبريالية القرن ١٩ تطورت الاهتمامات الأوروبية لتتبنى منطق السلوك الاستعمارى تحت غطاء الداروينية الاجتماعية. وكان للتطبيق الناجم عن هذا الغطاء للقوة العسكرية والعلمية غير المتكافئة نتائجه على بنية الأجناس والتجارة والدبلوماسية الدولية فى سائر أنحاء أفريقيا. ووفقًا لتلك النظرية تتوقف قدرة الدولة- الأمة على المنافسة فى العالم الحديث.. على "اللياقة" التطورية و"تنمية" مواردها البشرية والتقنية، وهو ما جعل إثيوبيا حالة خاصة فى عالم يُعرِّف أفريقيا، والأفارقة، كمواقع تحت وصاية القوى الأوروبية العظمى.

وتعرف الفترة من ١٧٦٩ إلى ١٨٥٥ فى التاريخ الإثيوبى بـ "عصر الأمراء"، حيث اتسمت بالتأزم السياسى والنزعة الاستقلالية فى المقاطعات. وشهدت لا مركزية السلطة السياسية تحولاً حاسمًا فى السلطة من حكم الملك إلى سلطات إقطاعية إقليمية لأمراء حرب وأشراف محليين تنافسوا على السيادة. ووصف بعض الدارسين دور الإمبراطور فى منتصف القرن ١٩ بالدُمية. حيث توزعت السلطة السياسية بين النبلاء، وعلى رأسهم حكام بيجميدر وجوجام وسيمين الذين سعوا إلى توسيع المناطق الخاضعة لسلطتهم. وارتفع مستوى الصراع الأهلى مع تحلل الإمبراطورية إلى سلسلة من الإقطاعيين لم يكن ولاؤهم الأساسى للمَلكية وإنما للكنيسة المسيحية.

ونتيجة لهذه التطورات الثقافية والسياسية والحربية، دخلت إثيوبيا القرن ١٩ ككيان سياسى بالغ الانقسام يواجه تحديات منافية للقيم الحبشية التقليدية، وذات ارتباطات بمؤسسات سياسية- دينية خاصة. وعلى الرغم من أن الكنيسة الأرثوذكسية

كانت قوة مسيطرة وسط الطبقة الحاكمة، فقد سادت وسط الجماهير معتقدات تقديس الأرواح، والتى تجرى طقوسها برعاية الرئيس الروحى الأعلى **ibede gudo**. فى الوقت نفسه استمر الإسلام فى الانتشار بالمناطق الواقعة تحت نفوذ الجالاّ. وعلى الرغم من هذه التغيرات العنيفة، فقد كان التطور الأهم البادى فى الأفق هو توسع النفوذ المصرى والقوى الأوروبية الغربية بدءًا من عشرينيات القرن ١٩ خاصة على الحدود الغربية والشمالية. كذلك أسست إرساليات البروتستانت ومن بعدها الكاثوليك روابط جديدة بين إثيوبيا وأوروبا فى الفترة من ١٨٣٠ إلى ١٩٠٠.

كانت المؤسسات الرئيسية الإثيوبية قد انهارت بدءًا من سبعينيات القرن ١٨. وقد استمدت هذه المؤسسات جذورها من الفترة الكلاسيكية المرتبطة بإمبراطورية أكسيوم فى القرون الميلادية الأولى. فقد تطورت خلال فترة غامضة من أواخر القرن الأول الميلادى وأوائل القرن الثانى، حتى صعدت تحت حكم الأسرة السليمانية أواخر القرن ١٣. وقد حكم ملوك هذه الأسرة إمبراطورية متسعة ومزدهرة حتى القرن ١٦، وهى الفترة التى تركت تأثيرًا عميقًا فى الدولة والكنيسة الإثيوبية.

وقد حدث عام ١٨٥٥ أن انتصر حاكم يي- مارو- كميس: على راس على زعيم الشوا، مما كان بمثابة البداية لنهاية قرن من الصراع المهلك بين الأشقاء فى القلب الحبشى. وكرَّس كاسا **Kasa** نفسه لسحق ملوك تيجرى، ليتم تتويجه «ملك الملوك» على النحو التقليدى، وحصل على لقب الإمبراطور تيودور، بدعوى أنه- طبقًا لإحدى الوثائق الدينية التى تشكل أساس الخرافة والعادة الإثيوبية المسماة تأويل يسوع **Fikkere Iyesus**- كان ملكًا تقيًا وعادلاً ومحبوبًا، جاء إلى العرش بعد حقبة من العقاب الإلهى الذى نزل على الأحباش جراء أفعالهم الشريرة. وأكدت النبوءة أن هذا الملك سيسمى تيودور وأنه سيحكم أربعين عامًا، وسيعيد للحبشة وحدتها وعظمتها. وكانت هذه هى بداية الإمبراطورية الإثيوبية الحديثة. فقد بدأ تيودور، أو تيودروس، عملية إعادة بناء الإمبراطورية التى لم تكتمل مرحلتها الأولى حتى عام ١٨٧٨.

تيودروس الثانى (١٨٥٥- ١٨٦٨) :

بدأ تيودروس الثانى إعادة توحيد البلد وتنميته باستعادة وحدة الحكم فى مرتفعات إثيوبيا القديمة. كما أقام علاقة وثيقة مع الكنيسة المسيحية بهدف ضمان السيطرة على الحكم الملكى والمجتمع المدنى والثروات الوطنية. غير أن حكم تيودوروس شهد توترًا بين الدولة والكنيسة على توزيع خراج الأرض الزراعية، وهو التطور الذى اتسع فيما بعد ليتحول إلى نزاع حول طبيعة ونطاق السلطات الملكية.

أدخل الإمبراطور إجراءين لتقوية سيادته. الأول: تفكيك التقسيمات الإدارية التقليدية بما يحرم الكثير من الأمراء والملوك المحليين من قواعد سطوتهم. كما اختار القائمين على إدارة الوحدات الإدارية المعاد تشكيلها من بين ضباط جيشه الموثوق فيهم أو من أعضاء الأسرة المالكة. الإجراء الثاني: أنشأ تيودوروس جيشًا للدولة يتسم بالمهنية والانضباط وسلّحه بالأسلحة النارية والمدفعية الحديثة، وحصل أفراده للمرة الأولى على رواتب منتظمة وملابس وتجهيزات. كما وظف خبراء عسكريين أوروبيين وأتراكًا لتدريب رجاله. وقد عُرف حكم تيودوروس الناجح فى النهاية بإنجازات كبرى، مثل إدخال الإصلاحات الإدارية والسيطرة الفعالة على النبلاء الإقطاعيين. كما بادر بتشييد الطرق، واعتُبِر فاعلاً بارعًا فى السياسة الخارجية. وكان من جهوده فى هذا الصدد محاولة درء اتساع نطاق النفوذ الاستعمارى البريطانى فى القرن الأفريقى، والأهم أنه استطاع إنهاء السيطرة المصرية على ميناء مصوع الحيوى اقتصاديًا، والذى كان الميناء الأساسى للعصر الأكسيومى على البحر الأحمر.

ولما كان متطلعًا لجلب التكنولوجيا الأوروبية إلى بلده، فقد بادر بإجراء سلسلة من الاتصالات الدبلوماسية مع أوروبا، وبخاصة الملكة فيكتوريا فى إنجلترا. واستغل تاريخ الكنيسة الإثيوبية ليناشد المسيحية الأوروبية إرسال بعثات التبشير البروتستانتينية. ولكن زيادة مخاوفه من أن يتسبب النفوذ الكاثوليكى فى تآكل سلطته فى الأطراف الشمالية لإثيوبيا، جعلته يطرد أعضاء هذه الطائفة المسيحية الأخيرة وحلفائها الرئيسيين من الفرنسيين. وعلى الرغم من أن العلاقة مع البروتستانت كانت ودية أكثر، فإن نواياه لم تكن خالصة تمامًا؛ فقد وظفهم فى تصنيع الأسلحة وحصر أنشطتهم التبشيرية وسط الفلاشا غير المسيحيين.

لم يعمل بعض الإرساليات على التودد للملك، إما بسبب تحيزاته الثقافية وإما عدم الحساسية. وعندما أدرك تيودوروس عدم قدرته على تفعيل دفعته التحديثية، إلى جانب انحسار فرصه سياسيًا وشعبيًا، كشف عن إحباطه هذا عندما أسر المبشرين والدبلوماسيين في مجدالا. فأرسل البريطانيون حملة من ٣٢ ألف جندي بقيادة الجنرال نابير Napier لتصطدم بجيش تيودوروس تحت قيادة جنرال، دجزمتش Dejazmatch. وعلى الرغم من أن الجيش الإثيوبي المكون من ثلاثة آلاف جندي كان مسلحًا ببنادق القدح والفتيل قد خاض قتالاً عظيمًا أسفل صخرة أمبا مجدالا، لكن لم يكن بإمكانه الصمود أمام قذائف البريطانيين وبنادق سنيدر التي تُعَمَّر من الخلف. كما حصل البريطانيون على تأييد قيم من كاسا ميرتشا Kasa Mercha حاكم تيجري (الإمبراطور يوحنس الرابع Yohannes IV فيما بعد) الذي أمد الحملة بالطعام والدواب. وبعدما حقق البريطانيون النصر في المعركة حملوا معهم ٢٠٠ بغل و١٥ فيلاً إلى جانب تيجان ذهبية وسيوف وألواح مذبح وأكثر من ٤٠٠ مخطوطة قبل أن يحرقوا مجدالا.

غير أن تيودوروس حرم البريطانيين من أسره بأن انتحر. ويزعم بعض الدارسين أن تيودوروس لم يخسر أمام الجنرال نابير، وإنما من هزمه هو البلد الشاسع صعب الترويض، حيث لم يتحقق له النفوذ المناسب على ضباطه ورجاله في المقاطعات. ولعل النتيجة الأهم لحملة نابير والنصر البريطاني في معركة أمبا مجدالا هي بدء عصر جديد للحضور الاستعماري في شمال شرقي أفريقيا. وفي مواجهة هذه التعديات بقي تنوع إثيوبيا واتساع أراضيها جانبًا حيًا في تاريخها الوطني.

لقد اتسم عهد تيودوروس الثاني- الذي لا يزال محل اعتراف واسع بأنه من مهد لتأسيس إثيوبيا الحديثة- بالجهود الواعية لتدعيم القوة النارية للجيش. فبدأ الإمبراطور إنتاج الأسلحة لاستكمال ما تنقصه ترسانته المخزونة. وقد تسببت الهزيمة على أيدي القوات البريطانية في ١٧ أبريل ١٨٦٨ في تدمير الترسانة الإثيوبية، ومن ثم اتساع التوغل الاستعماري الأوروبي في شمال شرقي أفريقيا. وبعد هزيمة تيودوروس عام ١٨٦٨ تم تتويج راس كاسا باسم الإمبراطور يوحنس الرابع في عام ١٨٧٢.

كما برز أيضًا راس ألولا Ras Alula أهم جنرالات يوحنس، والذي أصبح حاكمًا لمقاطعة هماسين، وأميرًا لاريتريا، برز بوصفه شخصية مهمة جدًا في تاريخ إثيوبيا

وإريتريا الحديث بسبب دوره فى تقويض جيش المهدى ذى التهديد المستمر. وسنتطرق فيما بعد لدوره فى المقاومة الإثيوبية الناجحة ضد الإمبريالية الأوروبية. باختصار، لم ينجح تيودروس فى ضمان الحصول على الاعتراف الدبلوماسى من الدول الأوروبية، والتى كانت وقتها قد أخذت توسع اهتماماته بإقليم شمال شرقى القارة المعروف الآن باسم القرن الأفريقي.

يوحنس الرابع:

استمر يوحنس الرابع (١٨٧٢- ١٨٨٩) فى تنفيذ ذات سياسات تيودروس المركزية، وازدادت فى عهده إمدادات إثيوبيا من الأسلحة والذخائر زيادة هائلة، حيث اشترى السلاح من الوكلاء الأوروبيين الحكوميين والخواص على السواء. وتفيد التقارير بأنه حصل على هدية من الدول الأوروبية عبارة عن ٦ مدافع هاون و٦ مدافع هاوتزر مع ٤٠٠ طلقة من ذخائر الفتيل، ٨٥٠ من البنادق القصيرة والحراب، ٤٠٠٠٠ طلقة ذخيرة للأسلحة الصغيرة، و ٢٨ برميلا من البارود، وذلك مكافأة على توقيعه معاهدات بالحياد والصداقة. وقد مكنته هذه الزيادة فى القوة النيرانية من تحقيق انتصارات كبيرة فى العديد من المواجهات الحربية. وقد توجه معظم جهوده نحو التوسع الإقليمى، وحيث دفع نطاق سيطرته إلى غرب عاصمته فى إقليم تيجرى. وتمكن من هزيمة الجيش المصرى فى جوندت فى نوفمبر عام ١٨٧٥ وجورا فى مارس عام ١٨٧٦. وحينما جاءت قوة أخرى قوامها ١٥ ألف جندى مدعومة بالبريطانيين، تصدت لهم قوة إثيوبية من ٦٠ ألف رجل كان معظمهم مسلحين بالبنادق هذه المرة. وغنم الإمبراطور نحو ٢٠ ألف بندقية ريمنجتون، البندقية الأحدث وقتذاك، إلى جانب عدد كبير من المدافع والأحصنة والبغال والجمال وإمدادات الطعام.

وعلى الرغم من أن يوحنس استطاع فرض هيمنته على الكثير من أرض المملكة بفضل جيشه القوى الحديث، فإن أبرز إنجازاته كان فى ميدان السياسة الخارجية. حيث استطاع فى نهاية الأمر عقد معاهدة سلام مع مصر، واتفاقيات تجارية مع بريطانيا التى كانت سطوتها الاستعمارية هى السائدة فى الإقليم. كما أصبح يوحنس قوة مهمة معترفًا

بها فى القرن الأفريقى، بعدما ردع المغامرات الأوروبية لغزو إثيوبيا فى القرن الـ ١٩ الذى اتسم بالتنافس الأوروبى على القارة.

وقد أدى افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ إلى اندلاع النزاع من أجل السيطرة على البحر الأحمر بين السلطات المحلية فى منطقة القناة والمصالح الأجنبية. فادعى الأتراك والمصريون والبريطانيون وأخيرًا الطليان سيادتهم على أجزاء من إثيوبيا. وعلى الرغم من هذا الاختراق الخارجى فى شمال شرقى أفريقيا، لم تتوقف الصراعات المحلية بين مختلف الأسر الملكية والمقاطعات فى إثيوبيا. وبينما كان الإمبراطور وجنراله راس علولا يواجهون القوات المسلمة والأوروبية والأجنبية الأخرى، فإن منليك حاكم مقاطعة شوا الذى وقع معاهدة صداقة مع الطليان وتلقى منهم شحنة كبيرة من البنادق، كان يترقب اللحظة المواتية. واستمرت فى التصاعد التكاليف الباهظة لمواجهة الحملات العسكرية المهدية، وحيث أصيب الإمبراطور نفسه بطلقة قناص فى إحدى المواجهات عام ١٨٩٩ وتوفى فيما بعد. وذهب العرش إلى أقوى حكام المقاطعات: منليك الثانى حاكم شوا، وحسب تزكية الحاكم السابق قبل موته.

حاول يوحنس خلال فترة حكمه إقامة مملكة مركزية تمامًا، لكنه أخفق فى هذا. ومن خلال قاعدته القوية فى مقاطعة تيجرى استطاع استيراد الأسلحة النارية مستفيدًا من القرب من البحر الأحمر. ومن المفارقة أن هذا الموقع نفسه كان سببًا للتعرض للنفوذ الخارجى، خاصة مع تصاعد المصالح الإمبريالية الأوروبية فى أفريقيا خلال النصف الثانى من القرن ١٩.

منليك الثانى:

تعتبر فترة حكم منليك الثانى (١٨٨٩- ١٩١٤) علامة مهمة فى تاريخ إثيوبيا الحديث. فهى لم تترافق فقط مع استمرار صعود النظريات الأوروبية عن الإمبريالية والتدافع على المناطق الأفريقية وفق التقسيم الذى أقره مؤتمر برلين، ولكن عهد منليك الثانى اتسم أيضًا- للمفارقة- بالتوحيد واسع النطاق للأراضى الإثيوبية. ففى الفترة من ١٨٧٢ إلى ١٨٩٦ استطاع مضاعفة المناطق الواقع تحت سلطته، واحتل الكثير من

المناطق التى سبق أن استولت عليها القوى الأوروبية فى الإقليم الشمال شرقى. ومن خلال الجمع بين الحملات العسكرية والوسائل الدبلوماسية فى كل من: جالاً، سلطنة هرر، ويلليجا، ويللامو، جيمّا، كافّا، وجومّا.. استطاع إلحاقها واستعادة ولائها كجزء من إثيوبيا المسيحية.

كان منليك شوا (المعروف سابقًا بالأمير ساهلى ماريام Prince Sahle Mariam) أحد أقوى تابعى الإمبراطور وأقلهم انقيادًا. ثم عُرفت فترة حكمه ببناء جيش قوى مجهز بأسلحة مشتراة من العديد من الوكلاء المنخرطين فى تجارة الأسلحة الواسعة وقتذاك. وقد بدأ منليك مبكرًا فى استيراد الأسلحة منذ أن كان حاكمًا لشوا، وبلغت هذه التجارة مستويات مرتفعة بالحصول على الأسلحة من الإيطاليين ثم الفرنسيين. ثم بدأ التوسع فى أراضى جالاً شرق وغرب وجنوب شوا. وقد اعترضت بريطانيا على تجارة الأسلحة بين أوروبا وإثيوبيا، لأنها تتعارض مع الطموحات الإمبريالية للعرش البريطانى فى شمال شرقى أفريقيا. كما اختلفت الدول الأوروبية فيما بينها حول تجارة السلاح والرقيق عبر الساحل الصومالى.

وبرز الإيطاليون كالقوة الإمبريالية الأكثر عدوانية والطامعة فى إثيوبيا كقاعدة أمامية ممكنة لطموحاتها. وعلى الرغم من أن إيطاليا قد عقدت معاهدات عديدة "للصداقة والتجارة" مع منليك ملك شوا فى الفترة ١٨٨٣- ١٨٨٧ فقد وقع خلاف حول النتائج المنتظرة من الاتفاقات. فقد نظرت إليها إيطاليا كوسيلة لاستخدام قوة حبشية ضد أخرى، بينما نظر إليها منليك كوسيلة للحصول على الأسلحة والذخائر التى يريدها. وفى عام ١٨٨٩ عقد منليك معاهدة أوتشيالى مع إيطاليا التى اعترفت به رسميًا إمبراطورًا على الحبشة ومنحت بلاده إعفاءات جمركية على أى سلعة تمر عبر ميناء مصوع، إلى جانب قرض كبير ووعد بالإمداد بالسلاح والعتاد مستقبلاً. ومقابل هذه المساعدات المالية والتنموية لإثيوبيا قبلت الأخيرة بالأنشطة الإيطالية فى أجزاء إثيوبية (بوجوس، هماسين، أكالي- جوزاى، أجزاء من تيجري).

وعلى الرغم من أن معاهدة أوتشيالى بدت مفيدة للطرفين، فقد بدأت إيطاليا التغلغل فى المناطق الحبشية انطلاقًا من قاعدتها فى إريتريا. وقد اكتشف منليك فيما بعد وجود اختلاف بين نسختى الاتفاقية بالأمهرية والإيطالية فيما يختص بالعلاقات الدبلوماسية.

فبينما نصت النسخة الأمهرية على أن بإمكان الحبشة استخدام إيطاليا كوكيل لها فى علاقاتها الدولية، ورد بالنسخة الإيطالية التزام الحبشة بممارسة علاقاتها الخارجية من خلال إيطاليا. وهكذا مورس الخداع لجعل إثيوبيا محمية إيطالية. فما كان من منليك إلا أن أبلغ الدول الأوروبية بتاريخ ٢٧ فبراير ١٨٩٣ قراره برفض الإعلان الإيطالى، وقال: "إن إثيوبيا ليست بحاجة لأحد، ولا تمد يديها سوى للرب". وحينما بدت الحرب وشيكة مع إيطاليا، أصدر منليك إعلان تعبئة معتمدًا، حسب كلماته، على التضامن الدينى من الكنيسة الإثيوبية وسائر المجتمع فى مواجهة العدوان الإيطالي:

"لقد جاء الأعداء الآن ليدمروا بلدنا ويغيروا ديننا... أعداؤنا بدءوا يزحفون ويحفرون مثل حيوان الخلد[١]... وبمساعدة الرب لن أسلمهم بلدى أبدا... أنتم أيها الأقوياء اليوم، امنحونى قوتكم، وأنتم أيها الضعفاء ساعدونى بالدعاء"[٢].

واستجابة للنداء أرسل كل كوخ وكل قرية منعزلة بإثيوبيا مقاتليه. ووقعت المناوشات الأولى فى ديسمبر ١٨٩٥، ثم كانت معركة عدوة التى حشد فيها الإثيوبيون ما لا يقل عن ٧٠ ألف بندقية و٤٢ مدفعًا. واعتبرت هذه المعركة الكارثة الأسوأ للاستعمار فى التاريخ الحديث، حيث هُزِم الجيش الإيطالى المكون من ٢٥ ألف جندى على أيدى القوات الإثيوبية المتماسكة رغم تنوعها والتى بلغت ١٠٠ ألف من المحاربين الأقوياء.

أكسب انتصار إثيوبيا فى عدوة منليك مكانة محلية ودولية، كما اكتسبت الدولة حلفاء ومعجبين جدًا. وبعث هذا النصر موجات من الصدمة فى جنبات أوروبا، وتسبب فى سقوط الحكومة الإيطالية. كما أعفت هذه المعركة ونتائجها إثيوبيا من التعرض للحروب الاستعمارية التى سادت كل أفريقيا فى القرن الـ ١٩. كما عقد منليك تحالفًا مع فرنسا، وهى الخطوة الدبلوماسية التى أعقبها الحصول على هدايا أكبر من السلاح الفرنسى. وعند نهاية القرن ١٩ لم يكن الجيش النظامى وحده المسلح، وإنما أصبح الفلاحون فى شمال إثيوبيا مسلحين أيضًا بالبنادق الحديثة والذخائر، ويمكن تعبئتهم بسرعة.

---

(١) ثدييات صحراوية تعيش على الحشرات، ذات جلد سميك وتعيش معظم الوقت فى جحور تحت الأرض- المترجم.

(2) H. G. Marcus, "The Black Men Who Turned White: European Attitudes Towards Ethiopians, 1850–1900," Archiv Orientalni 39 (1971): 160.

هكذا شهدت إثيوبيا ذروة ورسوخ إقليمها الأرضى الشاسع لتصبح إمبراطورية، وتعزيز سمعتها التقليدية الواردة فى الروايات المقدسة وغيرها من المأثورات القديمة. وأصبحت إثيوبيا القوة المحلية الأقوى فى أفريقيا، وهو ما انطوى على اضطراب فى موازين القوى الإقليمية، وشكل عبئًا باهظًا على الموارد البشرية والمالية التى يجب على حكومات المراكز الاستعمارية تكبدها لممارسة حملاتها.

يرى البعض أنه يمكن فهم السياسة الخارجية الإثيوبية على نحو أفضل كحملة إمبراطورية أو عدوانية لاكتساب أراضٍ على الحدود الغربية لإثيوبيا. ويشيرون فى هذا إلى معاهدة أوتشيالى (أو: ويتشالي) التى بمقتضاها قبل الإمبراطور منليك بالاستعمار الإيطالى لإريتريا، لكنه التحق بالقوى العظمى (بريطانيا، فرنسا، إيطاليا) من حيث توسيع السيطرة على الأراضى. فقد بلغ نفوذ الإمبراطور إلى ما وراء جوندار وشوا ليشمل أوجادين. ويرى آخرون أن طموح منليك كان ضمان ثقة شعبه والحفاظ على الذات الإثيوبية من ناحية، والحصول على التأييد الدبلوماسى من الدول الأوروبية من ناحية أخرى. بيد أن منليك أخضع طموحاته الإقليمية فى وادى النيل لصالح تعزيز العلاقات الطيبة مع الخليفة الإسلامى، ومن ثم إحباط المخططات الاستعمارية الأوروبية لحوض النيل.

وتقترح رؤية أخرى معارضة لفكرة التشابه بين الإمبريالية الأوروبية والإثيوبية أن الكنيسة القبطية– ككيان مسيحى عابر للقوميات تستند السلطات الإثيوبية إلى هيمنته الدينية– لم تعبئ جيشًا قط لفرض المسيحية خارج نطاقها. والأهم أن إقليم جنوب شرقى القارة، الذى كان محلاً لتقاطع الحضارات الدينية والثقافية الأفريقية القديمة والإسلامية والمسيحية، قد شهد منازعات ومساومات إقليمية وسياسية مستمرة. ومن المؤكد أن أى محاولة لاستخلاص تعريف أساسى "الإمبريالية" من هذه المشابهات، ستنتهى إلى استنتاجات بائسة. وبالنسبة لدراستنا "الوطنية" هذه سيكون من الصعب جدًا تبرير تعريف كهذا بمثل هذا الاختزال.

مع ذلك يوجد بعض السمات المشتركة الذى يدخل تحت عنوان "الإمبريالية" لغرض تحليلى لفهم علاقات القوة والعلاقات الثقافية فى الإقليم. ومن أمثلتها: الدمار الاجتماعى الاقتصادى الذى أحدثته تحركات الجيوش الإثيوبية على المجتمعات المدنية فى القرن

١٩. فقد نهب الجنود النظاميون وغير النظاميين الكثير من المجتمعات المحيطة واستولوا على الأراضي الجديدة والممتلكات في المناطق الموالية والمتمردة على السواء. واعتادت الجيوش تجميع الديرجو (الإمدادات الغذائية وخلافه) المجانية باستخدام تدابير إجبارية. وقد احتج بعض الفلاحين على فرض الضرائب والإمدادات الإلزامية للحملات العسكرية. بل إن سكان الجبال في سيمين وفلاحي ديمبيا في جوندير أبدوا مقاومة محلية للانتهاكات العسكرية. وقد وضعت هذه الأنشطة على السواء أسس الحركات التوحيدية الحديثة والصراعات الأهلية التي ابتليت بها العلاقات الإثيوبية- الصومالية- الإريترية في القرن الأفريقي.

جدير بالملاحظة أن إيطاليا بتوقيعها معاهدة أديس أبابا للسلام قد ألغت معاهدة أوتشيالي، واعترفت باستقلال إثيوبيا المطلق والكامل. وعلى الرغم من الضربة المزدوجة للانتصارات العسكرية والانقلابات الدبلوماسية، لم يرَ منليك في نفسه القدرة على الإصرار على انسحاب إيطاليا من إريتريا، رغم أنه عبر كثيرًا عن رغبته في الحصول على منفذ إلى البحر عبر هذا الإقليم. وفي الشهور التالية لتوقيع المعاهدة، أرسلت الحكومتان الفرنسية والبريطانية وفودًا دبلوماسية لتوقيع معاهدتي صداقة مع منليك. وجاءت طلبات دبلوماسية مماثلة أخرى من المهديين في السودان، والسلطان العثماني، وقيصر روسيا.

وهكذا برزت أديس أبابا كمركز دبلوماسي توجد به ممثليات للعديد من الدول الأجنبية المهمة. كما أدى النجاحين العسكري والسياسي النسبي لإثيوبيا إلى التوسع في اللجوء للمستشارين الأجانب، وتفهم الكثيرون منهم فكرة استقلال إثيوبيا واستوعبوا إنجازاتها. وقد جرى إضفاء الطابع "الآري"[1] على التاريخ الإثيوبي لتمييزه عن باقي القارة الأفريقية، بدعوى أن الإنجازات الباهرة لهذه الإمبراطورية لا يمكن تصورها إلا لشعب متفوق على بقية الأفارقة، حتى لو لم يكن بمستوى الأوروبيين. وذهب بعض المسئولين الإثيوبيين إلى التحدث عن الاستثنائية الإثيوبية، ولكنها تقوم هنا على أسس دينية لا جنسية.

---

(١) "Aryanized" نسبة إلى الجنس الآري المتفوق حسب الأيديولوجية النازية- المترجم

ولقد برز الجيش الإثيوبى أواخر القرن ١٩ كإحدى المهن القليلة المفتوحة أمام الشباب، وأصبح الكثيرون ذوو الأصول المتواضعة جدًا شخصيات سياسية مهمة، بعدما أتاحت لهم الحياة العسكرية مكانًا وسط المميزين، وأضحت وسيلة جديدة للكسب والسلطة. إلا أن حياة الجندى البسيط كانت بالغة الصعوبة، من حيث التعرض للأمراض ونقص سبل الحماية المناسبة من مخاطر تضاريس الحرب فى شمال شرقى أفريقيا.

كما ساعد الجيش، إلى جانب الموروث الدينى، فى البناء الجيو- سياسى والنفسى للقومية الإثيوبية الحديثة، حيث توحدت جماعات عرقية مختلفة تحت مظلة الأمة الواحدة. كذلك ساعدت السياسة الواقعية للأباطرة الإثيوبيين فى وضع الأسس لمستقبل إثيوبيا السياسى الإشكالى، وهى الحقيقة التى تجلت فى تطور جماعة أورومو الثقافية لتصبح ذراع الإمبراطور المفضلة ضد الأمراء المتمردين. وبالنسبة للجماعات العرقية الأصغر (عدا الأمهرة والتيجرانيين) كانت فرصها ضئيلة فى الجيوش المسيحية. كما أدت الأنشطة الحربية إلى تطور إثنوجرافيا إثيوبية حديثة. ويشار إلى القادة العسكريين والرجال الأقوياء الذين حصلوا على حق استخدام الأرض وفرض الخدمة العسكرية على الرعايا المحليين.. يشار إليهم عادة بـ "الأمهرة" أو "سيداما" والتى يمكن أن تعني: "مسيحي" أو "غريب". ولم تكن هذه التسميات متجانسة ولا مميزة بما يكفى للتفرقة دائمًا بين المنتهكين والمقهورين.

وكان من الديناميات المهمة الأخرى فى هذا العهد فرض الإدماج القسرى على الجماعات الاجتماعية الجديدة، مثلما حدث من عملية "أمهرة" المهاجرين الأورومو إلى مناطق الأمهرة الأصلية. وقد استمر الدين فى القرن ١٩ يلعب دورًا رئيسيًا فى إضفاء الشرعية على التحولين السياسى والاقتصادى مع الانتشار التدريجى لنفوذ الرأسمالية الاستعمارية من مجتمع لآخر. وكانت إثيوبيا البلد الوحيد الذى حافظ على استقلاله طوال حقبة التدافع الأوروبى على أفريقيا واقتسامها. ومن العوامل المهمة التى ساعدت إثيوبيا فى هذا: امتلاك الأسلحة والذخائر، امتلاك جيش محترف، والمؤسسات الدينية والسياسية العريقة القوية. ومن ثم نظر الأفارقة المستعمَرون والمهمَّشون فى القرن ١٩ إلى إثيوبيا نظرتهم إلى المحرِّر، والشاهد، والدليل الحى والنصير للحرية السياسية الأفريقية.

كما نجح منليك فى إرساء حضور إدارى دائم كان مصدًا أمام العدوان الأجنبى. فقد عيَّن أخلص جنرالاته حكامًا للمقاطعات التى شكلت التقسيم الإدارى الأكبر فى الإمبراطورية. وتحت حاكم المقاطعة كان هناك حكام المراكز الذين كان الإمبراطور هو من يعينهم أيضًا. وكان حكام المراكز يعينون رؤساء الوحدات الإدارية الأدنى المسماة "شوم" والتى تتكون من قرية كبيرة واحدة، أو من مجموعة قرى صغيرة فى منطقة واحدة. أما الحاميات (كتيما) فقد أصبحت مراكز إدارية مهمة أيضًا للحصول على أراضٍ جديدة خاصة فى المناطق الصومالية والأورومية. وقد انحدر أغلب مندوبى العرش من أصول الأمهرة- التيجرى، والذين أدمجوا بالقوة أحيانًا رعايا الشعوب الأخرى فى المنظومة السياسية المتسعة للكنيسة القبطية فى إطار عملية بناء الهوية الوطنية الإثيوبية. كما كان منليك هو أول حاكم إثيوبى يدخل نظام دفع الضرائب للخزينة الإمبراطورية على كل المستويات الإدارية.

مشروعات التحديث:

أصبحت إثيوبيا فى عهد منليك، وبعد معركة عدوة، مقبولة من جانب الدول الأوروبية كقوة سياسية واقعية. وقد استغل منليك هذا فى العقود الأخيرة من حكمه للشروع فى إصلاحات التحديث التى تأخرت لأسباب عديدة، من أهمها المرور بقرن كامل تقريبًا من الحروب الداخلية والخارجية. وقد تزايدت الصلات الأجنبية بفضل فترة غير مسبوقة من السلم أعقبت معركة عدوة. وقد أدت زيادة أعداد أصحاب الحرف الأجانب إلى خلق مناخ جديد تمامًا للتنمية الاقتصادية والتكنولوجية. وأنشئت مقار إدارية جديدة فى أديس أبابا، حتى بدت عاصمة جديدة تمامًا فى غضون خمس سنوات. وأصبحت المدينة موقعًا لكثير من التجديدات الأساسية، وبسبب حجم سكانها الكبير تحققت درجة من التخصص فى العمل نادرًا ما عرف مثلها سابقًا. كما أنشئت الجسور الحديثة فى أديس أبابا، أواش، وجوجام. كذلك شهدت هذه الفترة تطورات ثورية فى التعليم، حيث تأسست المدرسة الأولى الحديثة، مدرسة منليك الثانى. عام ١٩٠٨، وأعقبها فتح مؤسسات تعليمية جديدة

فى هارا وديرى داوا. وأخذ الطلاب يتعلمون الأمهرية واللغات الإثيوبية المختلفة، القراءة والكتابة، العلوم وغيرها من المواد الدراسية.

وفى سياق مساعى منليك لتوطيد أركان حكمه، شجع بناء نخبة متعلمة جديدة على أساس القيم الغربية والرؤية التقدمية. فقد أرسل مبكرًا منذ ١٨٩٠ شبانًا إلى أوروبا وروسيا والسودان، ليشكلوا مع المتخرجين فى المدارس المحلية نخبًا جديدة صارت حجر الزاوية فى الأوتوقراطية التحديثية. وتَدين بيروقراطية الدولة والسلك الدبلوماسى وإدارة الاقتصاد بالكثير لتحديث التعليم الإثيوبى وعلمنة المؤسسات الإدارية. وفى محاولة للتعامل مع معارضة الكنيسة المتكررة للأفكار الغربية الجديدة، أُسندت إدارة مدرسة منليك وثلاث أخرى فى هارا وأنكوبار وداسى لمعلمين ورجال دين أقباط.

كما كان من بين تجديدات القرن ١٩ فى إثيوبيا إنشاء شبكات الهاتف والتلغراف، وخطوط المياه، والمستشفيات الحديثة، والاستعانة بالأمصال الجديدة لمساعدة قطاع الصحة المتخلف لسكان يتزايد عددهم. وبسبب التهديد الإيطالى المستمر كان على منليك أن يعيد تنظيم الضرائب عام ١٨٩٢، كما أصدر العملة النقدية الأولى للبلاد بعد سنتين، والتى قُوِّمت على أساس الدولار الفضى بوزن وقيمة مارى تريزا نفسه النمساوى القديم، وسرى التعامل بهذه العملة فى سائر أنحاء إثيوبيا والكثير من بلدان الشرق الأوسط.

وفى العام ١٨٩٤ صدر أول طابع بريد إثيوبى، طُبع فى باريس، كما وافق على إنشاء أول خط للسكك الحديدية ليربط أديس أبابا بميناء جيبوتى بالصومال الفرنسى. وابتغى منليك من هذا الخط نقل المواد الأولية الرخيصة مثل البن والجلود والشمع التى مثلت صادرات إثيوبيا الرئيسية وقتذاك. وعلى الرغم من الصعوبات الفنية والمالية والسياسية التى واجهها هذا المشروع فقد كان المنجَز التكنولوجى الأكبر فى تلك الفترة. فبفضل التمويل الفرنسى ساعد هذا المشروع فى تحويل أديس أبابا إلى مدينة كبرى. وقد اجتمعت هذه التطورات مع تشييد الطرق الحديثة وإنشاء خط جديد للشحن البحرى، لتُحدث توسعًا كبيرًا فى تجارة الاستيراد والتصدير. وفى عام ١٩٠٥ أنشئ بنك الحبشة، وبعد هذا بعامين أنشئ أول فندق حكومى، ومن ثم انتشرت الفنادق والمطاعم ومشاغل الخياطة كرموز للحضرنة والتحديث.

وكان مجئ المستشارين والسفراء والمبشرين والمغامرين الأجانب مبعثًا للفرص والمشكلات معًا. فقد سعى منليك إلى تحديث مملكته ومن ثم كان عليه الاستماع لنصح الأجانب. وقد اجتهد كل مستشار دون استثناء لتعزيز نفوذ ومزايا حكومة بلده. فاقترح كثيرون منهم مشروعات عسكرية وتجارية مبهرة لكنها لم تكن دائمًا سليمة اقتصاديًا. كما حاول الممولون الأوروبيون فرض أشكال معينة من السيطرة على إثيوبيا مستغلين الحاجة إلى مشروعات التحديث. وقد أغضب هذا التدخل المالى الأوروبى منليك فاتهم الكثيرين بمحاولة المساس باستقلالية إثيوبيا مستخدمين وسائل اقتصادية. وعلى الرغم من خطط ومشروعات التحديث المحتفى بها، ظلت التنمية بطيئة للغاية ومنحصرة فى حدوث تغير كبير فى نمط المجتمع الإثيوبى التقليدى. وبسبب حذر العناصر المحافظة المحلية من مشروعات التحديث تزايدت المعارضة لها من جانب الإمبراطورة تايتو **Taytu** وراس ماكونين **Ras Makonnen**.

استطاع منليك فى الفترة من ١٨٩٧ إلى ١٩٠٨ الحصول على اعتراف دولى بحدود إثيوبيا الجديدة، على الرغم من أن البلد لم يكن آمنًا قط من المؤامرات الإمبريالية الآتية من الصومال الإيطالى والمصالح البريطانية فى أعالى النيل. فبعد وقت قصير من الانتصارات العسكرية الحاسمة، استمر التنافس بين فرنسا وبريطانيا وإيطاليا على النفوذ فى إقليم القرن الأفريقى. وعندما طلبت الدول الأوروبية من إثيوبيا التصديق على معاهدة ١٩٠٦ الخاصة بضمان حماية المواطنين الأوروبيين، رد منليك قائلاً بأن المراد من هذا الطلب هو زيادة نطاق النفوذ الاستعمارى فى الإقليم. وقال فى خطاب ألقاه على الجمهور: "تلقينا من الدول الثلاث الاتصال الذى نشكرهم عليه، كما نشكر رغبتهم فى حفظ وحماية استقلال حكومتنا. غير أنه ليكن مفهومًا أن هذا الترتيب ينتقص مما نعتبره ضمن حقوقنا السيادية"(١).

---

(1) Richard Greenfield, Ethiopia: A New Political History (New York: Frederick A. Praeger Publishers, 1965), 126–28.

اكتسب منليك الاحترام فى الداخل والخارج. فقد تمكن من الحفاظ على أراضى إثيوبيا القديمة وتوسيعها، واستعاد النظام واعتقل السادة الإقطاعيين المنشقين، ووضع الأسس لتحقيق المزيد من التنمية وإصلاحات التحديث. وفى عام ١٩٠٨ عانى منليك من جلطة تسببت فى شلله تقريبًا واستمرت حتى توفى عام ١٩١٣. وأعقب وفاته حدوث سلسلة من الصراعات السياسية. واتفق السادة فى النهاية على تقسيم السلطة أساسًا بين الإمبراطورة زوديتو **Zauditu** والوصى على العرش وراس تفارى الذى أصبح فيما بعد الإمبراطور هيلا سيلاسى. وسيشهد حكم سيلاسى حوادث تاريخية كبرى ستضع إثيوبيا فى مواجهة تطورات القرن العشرين، بما فيها الفاشية والحروب الاستعمارية، واختبار نظرية وممارسة الإصلاحات الليبرالية المحلية والخارجية.

الفصل الثالث

الطموح فى "أفريقيا حديثة"
توسيع المجال السياسى والإصلاح الاجتماعي
فى السياقين المحلى والعالمى ١٨٨٤-١٩٣٥

"يأتى شرفاء من مصر. كوش تسرع بيديها إلى الله»

المزمور ٦٨ : آية ٣١

مع حلول منتصف القرن ١٩ اكتسب مشروع الحداثة قوة دفع جديدة فى التاريخ الأفريقى. وعلى الرغم من أن مستوى تأثير القوى الخارجية على الديناميات السياسية والاقتصادية المحلية قد اختلف من مجتمع لآخر، فإن هوية الوحدات الاجتماعية كانت تتطور مع شروع النخب المحلية فى تجديد الإدارتين السياسية والاقتصادية وتَبنِّى أنماط جديدة لتعريف الذات والأمة. وتضمنت هذه «السرديات الكبرى للحداثة» عند الأنثروبولوجى دونالد دونهام Donald L. Donham انتشار فكرة أن الأمم تكتسب وضعية الحداثة على نحو خطى يتناسب مع اكتساب الثروة والمعرفة. وفى هذا الصدد أثرت أيضًا العلاقات الجيو- سياسية والاقتصادية المحلية ومتعدية القوميات على تاريخ إثيوبيا الحديث.

فمنذ منتصف القرن ١٩ فصاعدا كانت التراتبيات الاجتماعية والسياسية بين قارة أفريقيا وبقية العالم، وداخل أفريقيا ذاتها، تتأثر بشكل مباشر أو غير مباشر بمدى النفاذ إلى التكنولوجيا والمؤسسات الحديثة. وقد أدى التباين فى الوصول إلى الأسواق الدولية،

الأسلحة الحديثة، الاتصالات، والتعليم، إلى إعادة تشكيل صور الهيمنة فى الثروة الفردية والتراتبيات المجتمعية، وكذلك فيما يتعلق بتعريفات العرقية والأمة والحداثة.

وبيْن تحريض ومقاومة الحكام المحليين للجهود السياسية الهادفة إلى تحديث البنية القانونية والإدارية للمملكة من ناحية، ونتائج الاكتشافات والأنشطة الاستعمارية الأوروبية من ناحية أخرى، عاشت الدولة الإثيوبية تعقيدات والتباسات وتعدديات فى الهويات المحلية والإقليمية، وكذلك العلاقات الاجتماعية والسياسية. ويبحث الفصل الحالى بعض الديناميات الفكرية والثقافية التى ساعدت فى تشكيل العلاقات الإثيوبية مع بقية القارة الأفريقية والعالم فى الفترة من أواخر القرن ١٨ حتى أوائل القرن ٢٠.

بدأت هذه الحقبة التاريخية الجديدة عام ١٨٨٤ عندما تم اقتسام أفريقيا بين القوى الاستعمارية، وانتهت عام ١٩٣٥ حينما غزت إيطاليا إثيوبيا تحت الإدارة الفاشية لبنيتو موسولينى. وقد كان للمتغيرات التاريخية فى القرن التاسع عشر، مثل تصفية تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلنطى والمحيط الهندى، تطور التجارة "القانونية"، وبحث أوروبا عن أسواق جديدة ومصادر المواد الخام فى أفريقيا.. كان لها أن أدخلت أفريقيا فى علاقات ثقافية وسياسية واقتصادية مع بقية العالم. كما أن التواريخ المتعدد للهجرة الناجمة عن النظم المتشابكة لرأس المال الدولى والتوسع السياسى لم تؤدِ فقط لخلق الشتات الأفريقى، وإنما اخترقت أيضًا "الحد الملون" للتبادل غير المتكافئ و"هدية الحداثة ذات الوجهين.

فأولاً: مع توغل النخبة الاستعمارية الأوروبية فى مجال المصالح الاستراتيجية الإثيوبية، أصبحت الإمبراطورية أكثر اهتمامًا بتثبيت الحدود للدولة الحديثة التى تتطور، وبخاصة توطيد وتوسيع السلطة البيروقراطية فى نطاقها. ثانيًا: جرى الترحيب بالمستشارين والمهنيين المهرة الأجانب ما داموا لم يسعوا لفرض نفوذ غير مستحق على الشئون الداخلية. وقد ثبت أن رفض السيطرة السياسية والاقتصادية الأجنبية، ومحاولة تحقيق التوازن بين القوى التحويلية والمحافظة هى مهمة شاقة ومعقدة.

وقد استمرت دينامية الاقتصاد السياسى الإمبراطورى فى إثيوبيا القرن ١٩ وقبله.. فى تشجيع التحول البطيء لمعتنقى الديانات متعددة الآلهة إلى الهوية المسيحية

الأرثوذكسية. ومضت هذه السردية الكبرى الأخرى للحداثة فى إثيوبيا، حسب مارينا أوتواى Marina Ottaway، من خلال تحكم الأمهرة فى المركز السياسى، وفرض فكرة التقدم على الاختلافات العرقية. فحتى يكون المواطن حديثًا، "عصريًا" zemanawi ، "متمدنًا" siltane ، أو "مثقفًا" yetamare، يتطلب الأمر منه- بدرجة ما- تبنى العادات المسيحية الأرثوذكسية. كما أصبح التحديث يرتبط بشكل متزايد بتركيز السلطة فى المؤسسات التى تتطلب التعليم، وهى الحقيقة التى زادت من الضغوط على الشعوب من غير الأمهرة والتى وُصِفت بـ "الوثنية" أو المتخلفة hwalakeri المرشحة إما للقهر السياسى وإما التحول الدينى.

بناءً على ما سبق، يتطلب فهم تاريخ إثيوبيا فى أواخر القرن ١٩ قراءة حذرة للسرديات المتعددة للمنظورات الفكرية والاقتصادية السياسية. فمن ناحية، أسهمت الكنيسة الأرثوذكسية فى ترسيخ التراتبيات العرقية وما نتج عن هذا من صراعات حول الهيمنة، الأمر الذى ضمِن لتعريف الإثيوبى بأن يكون فى حالة تغير متواصل. ومن ناحية أخرى، وعلى القدر نفسه من الأهمية، كان من نتائج النظريات الحديثة الناشئة أو المتطورة التى ترسخ تراتبيات الأجناس والأقاليم أن فرضت المزيد من التعقيد على تاريخ التحديث الإثيوبي.

وقد وُصِفت الحداثة الأفريقية Afromodernity بأنها فهم خاص للحداثة والذاتية الحديثة وسط الأفارقة الساعين لخلق شكل من الحداثة المستقلة نسبيًا، والمتمايزة عن الحداثات المناظرة فى أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية. ورأى عالم السياسة مايكل هانكارد Michael Hanchard أن الحداثة الأفريقية تداخلت بشكل غير قابل للانفصام مع الأحداث التاريخية العالمية، وبخاصة تأثير الجمع بين الاسترقاق والاستعمار الدوليين اللذين فُرِضا على الشعوب الأفريقية. وقد أدى انتشار الخرافة التى تصف أفريقيا بـ "القارة المظلمة"، والأفارقة كالنقيض للحداثة والذات الحديثة الغربية.. إلى جعل المشروع الحداثى أكثر إلحاحًا عند الأفارقة. ومن ثم تكونت مشروعات الحداثة الأفريقية فى أوسع معالمها من الاستيعاب الانتقائى لتكنولوجيات وخطابات ومؤسسات الغرب الحديث فى إطار الممارسات الثقافية والسياسية الأفريقية. كما لعب التاريخان الثقافى والسياسى الإثيوبى (الحبشي) دورًا مهمًا فى بناء وتقدم الحداثة الأفريقية.

ومع تقدم الأفكار والمصالح الاقتصادية الأوروبية لتصبح القوة المحركة والمحورية للاقتصاد السياسى الدولى الحديث، انتشرت السرديات المروجة لفكرة التفوق الدائم للقيم والمصالح الأوروبية. وبالنسبة للأفارقة الذين اعتُبِروا النقيض للحداثة الأوروبية، فإن السرديات التاريخية الإثيوبية الشفاهية والمكتوبة لحضارة قديمة تجمع الموروث المحلى والمسيحى الأرثوذكسى شكلت أداة رئيسية للتقييم النقدى للمتغيرات العالمية الحديثة. وأصبح التاريخ الإثيوبى تلقائيًا الأساس المميز لإبستمولوجيا (نظرية معرفة) حديثة لارتقاء الجنس، أو على الأقل سردًا مناهضًا للهيمنة، وسط الأفارقة والمنحدرين من أصول أفريقية.

دأب المستشارون والبيانات الرسمية الأوروبية على تقديم إثيوبيا كحالة شاذة ومفارقة للتاريخ الأفريقي. ووصف الكثير من المصادر الأوروبية الإثيوبيين بالمسيحيين من "القوقازيين السود"[١] أو الجنس "الحامي"[٢] والذين يتميزون عن الأفارقة. بيد أن افتقار إثيوبيا إلى التنمية الاقتصادية وضعها داخل معظم السرديات المؤكِّدة على الهيمنة الغربية، والأهم أنه أتاح مبررًا لتغلغل رأس المال الاستعمارى فى إثيوبيا.

كما أن موقع إثيوبيا الاستراتيجي فى القرن الأفريقي، وهو ممر رئيس للتجارة الدولية والموارد، جعلها هدفًا أوليًا بالنسبة للدول الأوروبية. وقد بدأت إثيوبيا تواجه معارضة متصاعدة لما وصفها كثيرون بالممارسات المناهضة للحداثة، وخاصة فيما يتعلق بممارسة الرق. ونتيجة لهذا واجه البلد معارضة لرغبته فى الحصول على السلاح المتقدم من أوروبا، ووضعت دول أوروبية معينة قيودًا أو حظرًا شاملاً على بيع ومرور الأسلحة للأسرة الحاكمة السليمانية. وعلى الرغم من هذه القيود دافعت الإمبراطورية عن نفسها بجيش دائم من الفلاحين الذين كان معظمهم مسلحين جيدًا، ويقوده قادة إقليميون أقوياء وطموحون وأولو عزم. وعلى الرغم من وجود الكثير من الانقسامات بين النخب

---

(١) وذلك فى محاولة لتمييزهم عن الأفارقة ذوى اللون الأسود القاتم. والقوقازى فى التصنيف العنصرى له جلد بين الفاتح والبنى، وشعر يتراوح بين المستقيم والمموج أو المجعد، ويشمل التصنيف شعوبًا أصلية فى أوروبا وشمال أفريقيا وغرب آسيا. ولم يعد هذا المصطلح يستخدم علميًا- المترجم.

(٢) يرجح أن أصل التسمية يعود إلى حام ابن نوح. وعاشت الشعوب «الحامية» فى شمال وشمال شرقى أفريقيا، بما فيها البربر والطوارق والمصريون القدماء، وماتحدر وتفرع منهم- المترجم.

المناطقية الإثيوبية، فإن هيمنة المسيحية الأرثوذكسية قد ولدت وحدة "قومية" فى اللحظات التاريخية الحاسمة ساعدت على تعبئة واسعة للقوات.

وقد نشأ مفهوم "الإثيوبية" **Ethiopianism** فى الشتات أيضًا كمعتقد جمع بين التقاليد المسيحية والوطنية العلمانية، وكوسيلة لتعزيز الهوية الأفريقية لمواطنة بدائية فى ظل غياب الحماية من الدولة- الأمة الحديثة. ومع تقسيم أفريقيا عامى ١٨٨٤ و١٨٨٥ اكتسب تاريخ إثيوبيا مغزى أكبر، حيث جرت أسطرته باعتباره المثال على الاستقلال الأفريقى والتقرير القومى للمصير، شرعت الدولة الإثيوبية نفسها فى تطبيق سلسلة من مشروعات التحديث التى روجت لها فى أغلب الأحوال بانتمائها للمسيحية الدولية والزعم بأنها مهددة من أراضٍ معادية. بيد أن هذه الظاهرة بدأت أهميتها تتراجع تدريجيًا منذ أواخر القرن ١٩ حتى عشية الحرب العالمية الأولى، حينما تجمعت القوى المهيمنة عالميًا لتقويض الاستقلال الإثيوبي.

فى هذا الوقت، تأكدت مرة أخرى مسوغات الحداثة الأفريقية الإثيوبية مع عولمة مفاهيم حقوق الإنسان، القومية السوداء، وغيرها من أنماط تمثيل الهوية الجماعية.

وبمجيء القرن ٢٠ كان التاريخ الإثيوبى قد مر بخمسة عقود تقريبًا من العلاقات مع أوروبا، والتى اتسمت إلى حد بعيد بالتبادل الفكرى والثقافى فى الاتجاهين وإدماج إثيوبيا الانتقائى للتكنولوجيات الحديثة فى اقتصادها المتخلف. وبدلاً من الاهتمام بالحصول على رءوس الأموال والمواد وسلع الرفاهية، اهتم حكام إثيوبيا أكثر بالمساعدات العسكرية اللازمة لمشروع المركزية السياسية وتوسيع السيطرة على الإنتاج الاقتصادى والأراضى فى شمال شرقى أفريقيا.

غير أن الدولة الإثيوبية فى فترة التغير السريع هذه قد عانت الافتقار للوحدة الوطنية، وإدارة بيروقراطية علمانية، وتنمية حضرية. وبدت تلك الغيابات كالعائق الأكبر أمام مشروع الدولة الحداثى الأوليّ. وترافق مع هذا حقيقة أن الفترة من ١٩٧٩ إلى ١٨٥٥ قد شهدت بلوغ الاتجاهات الاستقلالية عند النخب المحلية فى المناطق مستوى الأزمة. ومع التراجع التدريجى لمركزية السلطة السياسية للدولة، تراجعت الدولة بدورها إلى كيانات إقطاعية مناطقية، وتنافَس أمراء الحرب والنبلاء التقليديون المحليون على السيطرة.

كما عرفت إثيوبيا نظاماً لحيازة الأرض الزراعية بالغ التعقيد. ففى المقاطعات الأمهرية بشمال تيجرى، معقل السلطات الإمبراطورية، كانت ملكية الأرض مخولة لجماعة القرابة. وكانت الملكية الفلاحية محمية بمقتضى نظام الرست rist الذى يتوقع بمقتضاه أن يدفع الرعايا ضريبة. بالإضافة إلى منَح الأراضى الإمبراطورية للنبلاء أو الجَلت gult، وأرض الكنيسة الممنوحة بشكل دائم للكنيسة الإثيوبية، حيث يجتمع هذان الشكلان فى استخلاص الفائض من الفلاحين فى صورة إتاوات ومنتجات وإيجارات وخدمات. وقد وُصِف هذا بـ "الثالوث الإقطاعى الكلاسيكي: للنبيل والكاهن والفلاح".

أما المقاطعات الجنوبية التى برزت كمركز سياسى فى الربع الأخير من القرن ١٩ نتيجة الإنجازات الحربية للإمبراطور منليك، فقد عرفت فرض ملاك أراضٍ غرباء أو نيفتاجنا neftagna . إذ منحت السلطات الإمبراطورية حقوق الجلت للأعيان من الأمهرة وآخرين من الشمال، أو قامت- كما حدث فى أحوال كثيرة- بتحويل الرؤساء القبليين المحليين أو البلابات balabbat إلى ملاك أراضٍ. وكان معنى فرض هيمنة الأمهرة على الجماعات الثقافية الجنوبية أن التماهى مع السمات الثقافية للأمهرة هو السبيل للتضمين فى الدولة الإثيوبية الحديثة الناشئة وأجهزتها. وبالإضافة إلى الإكراه والقانون، وفّر الدين المؤسسات السياسية والأيديولوجية الرئيسية التى ساعدت فى إعادة إنتاج تلك الشروط.

ونتيجة لكل التطورات سابقة الذكر كان اكتساب المعرفة والتكنولوجيا الحديثة مرتبطًا حتمًا بالحفاظ على استقلالية الدولة وموروثها السياسى الدينى الممثل فى المسيحية الأرثوذكسية. وبينما عرفت أجزاء أخرى فى القارة توسع الحكم الاستعمارى وانهيار السلطة الوظيفية للحكام التقليديين، استغل القادة الإثيوبيون الدلالات الأيديولوجية للسلالة السليمانية فى توطيد نفوذهم المهيمن على الجماعات المختلفة فى الإمبراطورية. كما سمحت لها الكنيسة المسيحية الأرثوذكسية بتحدى مصداقية التفوق المادى للغرب ورسالته التمدينية.

كانت النخب الإثيوبية مهتمة بتحويل مجتمعاتها، ولكنهم كدعاة للحداثة لم يتمكنوا من حل التناقضات المتضمنة فى هذا المشروع. كما لم تستطع الدولة إحداث التوازن الضرورى بين تبنى المؤسسات السياسية العلمانية الحديثة، والدفاع عن الجوهرين

التاريخى والثقافى للقومية الإثيوبية. ونظرًا للمعارضة التى واجهها أنصار الحداثة من النخب المحافظة الرافضة لإعادة تشكيل الماضى، حاولوا تأمين وضع أفضل للمساعدة فى التغيير الاجتماعى. كما سعى الحداثيون لتحقيق تغيير سياسى يُحوِّل على نحو إيجابى البنى التحتية التى أعاقت التنمية والنفاذ إلى السلع والخدمات.

وقد سمح استقلال إثيوبيا وموروثها وحضارتها للمثقفين الأفارقة بالنأى بأنفسهم عن مفهوم الرسالة الأوروبية أو عبء إرشاد "الأجناس الأدنى" على طريق الحداثة. ومن السمات العامة الأخرى فى التقاليد العرقية- السياسية التى تساوى بين التاريخ الأفريقى العام والتاريخ الإثيوبى، تلك التى تتبدى فى اعتماد الإشارة الدينية إلى إثيوبيا التوراتية كنقطة انطلاق مرجعية مقدسة نحو المستقبل. وقد أصبحت عبارة الكتاب المقدس "كوش تسرع بيديها إلى الله» تعويذة يتكرر اللجوء إليها غالبًا فى أوقات التجربة والمحنة الفردية والمجتمعية- أى أن الإثيوبى هو أداة الرب المباشرة، وأن قضيته الصالحة ستنتصر فى النهاية.

ومع إنهاء أو إعادة تشكيل السلطة السياسية وحقوق المواطنة والسيادة على الإقليم الأرضى، عمل كثير من المفكرين الأفارقة المستعمَرين على حل مشكلة الاستلاب مؤقتًا بتبنى فكرة إثيوبيا المستقلة. كما قدم تاريخ إثيوبيا الغنى دحضًا تامًا للنيل من أفريقيا باعتبار تاريخها وكيانها متدنيًا. بالمثل تبنت حركة انفصالية متنامية لمسيحيين أفارقة فكرة إثيوبيا باعتبارها موقع الأمة المسيحية السوداء التى هزمت الإيطاليين وحافظت على استقلالها فى وقت جرى استعمار بقية أفريقيا. وزعموا أنه يجب تنصير أفريقيا على أيدى أفارقة وليس الأوروبيين.

تمكنت إثيوبيا من مد شبكة أذرعها الطويلة خلال الفترة من ١٨٨٤ إلى ١٩٣٥ إلى ما هو أبعد من حلفائها التقليديين فى غرب أوروبا لتصل إلى شرق أوروبا وبعض البلدان الآسيوية المختارة بحثًا عن مساعدات التنمية والتحديث. وهكذا كان التاريخ الإثيوبى يدخل المسرح الدولى الحديث فى القرن ٢٠ الحافل بالمؤامرات السياسية، والذى كشف الفجوة بين النظريات الدولية وممارسات الليبرالية السياسية والاقتصادية. وقد أسهمت التناقضات المتأصلة فى إصلاحات التحديث الإثيوبى، وكذا التغلغل المغرض لرأس المال الأجنبى وما صاحبه من تنازلات طويلة الأجل على حساب النسيجين الاجتماعى

والاقتصادى لتلك الحضارة العريقة.. أسهمت فى نهاية المطاف فى تشتيت المواطنين الإثيوبيين والحد من إدماجهم فى فلك الحداثة الغربية، بما فى ذلك السياسة وسط الشتات الأفريقى الحديث.

بين الإيمان الديني والجغرافيا السياسة الزمنية :

انتقال إثيوبيا المتأخر إلى الحداثة

اتسمت مقاربة إثيوبيا للعصر الحديث بالكبرياء الثقافى والموقف الدفاعى المؤسس تاريخيًا تجاه المحفزات الخارجية على التغيير. وقد ساد الاعتراف العالمى بإمبراطورية أكسيوم- السلف المباشر لإثيوبيا الحديثة- كأرض الإنجازات. فسَجَّل ديودور الصقلى **Diodorus Siculus** (مؤرخ إغريقى صقلى عاش من سنة ٩٠ إلى ٢١ قبل الميلاد) أن "الإثيوبيين ينظرون لأنفسهم كأمة أعرق من أى أمة أخرى، وأن دفئها بسبب ولادتها فى مسار الشمس ربما أنضجها قبل الآخرين. فيعتبرون أنفسهم مخترعى العبادة والمهرجانات والجمعيات والأضاحى وكل ممارسة دينية"[١].

وعلى الرغم من التعريف السابق، فقد استضاف الإثيوبيون مواطنى البندقية[٢] الذين مهدوا لدخول المستشارين والمثقفين والتجار الأوروبيين للمنطقة. وفيما بعد اعترفت خريطة فرامورو سابقة الذكر (التى أمر برسمها ألفونسو الخامس **Alphonso V** ملك البرتغال) بالحضارة الإثيوبية، كما شهدت بها أسطورة الكاهن يوحنا **Prester John** المذكورة سالفًا عن ملك مسيحى أفريقى (إثيوبي) بالغ الثراء واجه الغزو الإسلامى. وبعد النجاح فى صد الجهاد الإسلامى بقيادة الصومالى أحمد جران بمساعدة البرتغاليين فى القرن ١٦ ثم رفض مساعى إرسالية الجيزويت لتحويل إثيوبيا إلى الكاثوليكية، عكست ممارسات الإمبراطور تيودروس الدروس التى تعلمتها إثيوبيا منذ القرون الوسطى

(1) Bernard Makhosezwe Magubane, "The Significance of Ethiopia in Afro-American Consciousness," in The Ties That Bind: African-American Consciousness of Africa, ed. Magubane (AfricaWorld Press, Inc., 1987), 163.

(٢) فينسيا، إيطاليا.

فصاعدا. فقد كان هو الإمبراطور الذى بدأ يحلم بالحداثة ولكن وفق شروط تحددها إثيوبيا بنفسها.

أعاد تيودروس توحيد الكيانات السياسية الإثيوبية المفتتة واستعاد السلطة الملكية على إمبراطورية العصور الوسطى. كما سعى أيضًا للحصول على دعم الدول الأوروبية، وبالأخص إنجلترا، لمساندة مشروعه التحديثى، لكنه تعرض للصد من جانب التاج الإنجليزى. وفى المحصلة أدت جهوده لفرض التحديث باستخدام القوة إلى إثارة التمرد وسط الشعب واصطدامه المصيرى مع الجيش المتفوق للإمبراطورية البريطانية.

أما منليك الثانى (١٨٩٩- ١٩١٣) فقد فرض طابعه الخاص على الحكم الملكى الإثيوبى، والمتمثل فى المركزية السياسية وبناء الأمة بإعمال مشروع جديد ومحَسَّن للحداثة. وكانت السمة المميزة الأساسية فى حكمه هى اتباع سياسة المناورة بين المصالح المتباينة لحلفاء إثيوبيا الأوروبيين، والتى كانت بمثابة حصن الوسط السياسى والتى تمحور حولها وعد الحداثة فى ظل التوسع الطليق لرأس المال الأوروبى فى أفريقيا. وقد نُظر فى إثيوبيا إلى التجارة مع الغرب على أنها أقل ربحية من التنازلات المشروطة وغيرها من الشروط المقبولة المتبادلة للحصول على التسهيلات والأسلحة الحديثة. ومن ثم فإنه على النقيض مما عرفته المجتمعات الإثيوبية فى عصر التدافع والتقسيم الاستعمارى للقارة، لم ترضخ الدولة الإثيوبية لأهواء القوى الأوروبية، ولا طغت عليها المصالح الاقتصادية الأوروبية الضاغطة.

وقد طورت إثيوبيا فى عهد منليك بيروقراطية حديثة، وشرعت فى إدخال إصلاحات اجتماعية محدودة، بما فى ذلك البنية الأساسية للصحة والتعليم. وكما ذكرنا سابقًا، كان من وسائل الحداثة الأخرى التى أدخلت فى عهده: الهاتف، التلغراف، الكهرباء، الخدمات الصحية الحديثة فى المناطق الحضرية الرئيسية، إنشاء بنك الحبشة، والمشروع الإثيوبي- الفرنسى المشترك للسكك الحديدية. بيد أن إصلاحات منليك قد قيدتها العلاقات السياسية والاجتماعية الإقطاعية التى قامت على تحصيل الضرائب من حكام المقاطعات والفلاحين.

منليك وسياسة الحداثة الإثيوبية:

شهد النصف الثاني من القرن ١٩ الرسوخ التدريجي للنفوذين السياسي والاقتصادي الأوروبي في أفريقيا، بما فيها الإقليم الشمالي الشرقي، وحيث كانت إثيوبيا وقتها توطد مجالات نفوذها السياسي وإقليمها الأرضي. وكان مؤتمر برلين[1] (١٨٨٤- ١٨٨٥) قد وطَّد رسميًا الحكم السياسي الأوروبي. وعلى الرغم من أن إثيوبيا قد أفلتت من قمة رسم الخرائط هذه، فإن الوجود الاستعماري الإيطالي في إريتريا المجاورة وفي الصومال الإيطالي فيما بعد كان منذرًا بعدائيات مستقبلية وصراعات مريرة في الإقليم بين إثيوبيا والصومال وإريتريا. وقد رُسِمت حدود إريتريا الحالية خلال فترة الاستعمار الإيطالي التي بدأت أواخر الثمانينيات في القرن ١٩. وكانت شركة ملاحة إيطالية اسمها "روباتينو" قد اشترت ميناء عصب من حاكم محلي، ومن ثم اكتسبت الحكومة الإيطالية السيطرة على الميناء عام ١٨٨٢، على أمل استخدام إريتريا كقاعدة انطلاق لمشروعها الاستعماري في الإقليم. وأصبح للوجود الإيطالي في القرن الأفريقي طابع رسمي عام ١٨٨٩ بمقتضى توقيع معاهدة ويتشالي المثيرة للجدال، والتي وقعها منليك ملك شوا وقتذاك (إمبراطور إثيوبيا فيما بعد) والكونت بيترو أنتونيلي **Pietro Antonelli** عن إيطاليا. فبينما نصت النسخة الأمهرية على أن بإمكان الحبشة استخدام إيطاليا كوكيل لها في علاقاتها الدولية، ورد بالنسخة الإيطالية التزام الحبشة بممارسة علاقاتها الخارجية من خلال إيطاليا. ومعنى هذا أن تصبح إثيوبيا محمية إيطالية. وهكذا فإن العلاقات الإثيوبية- الإيطالية على مدى العقود الخمسة التالية، وعلى الرغم من بعض الاتفاقات الدبلوماسية المتباعدة، ظل يعكرها المساعي الإيطالية لتوسيع قاعدتها الاستعمارية لتشمل إثيوبيا.

كما اتسع مجال النفوذ الاستعماري البريطاني أيضًا في شرق أفريقيا، حيث امتد من السودان ومصر إلى الصومال، مخترقًا مناطق حدودية إثيوبية. أما السيطرة الفرنسية على جيبوتي وموانيها المهمة فقد حرمت إثيوبيا من منفذها الرئيسي إلى العالم الخارجي،

---

(١) هو المؤتمر الأول من نوعه بين الدول الأوروبية المتدافعة للاستعمار في أفريقيا، وبالأحرى كان مؤتمرًا لتنظيم وتقاسم السلب والنهب وتوزيع مناطق النفوذ. ولم يُمثل في المؤتمر أي مندوب أفريقي، ولم يهتم بالطبع بحقوق وملكيات الأفارقة من أي نوع وقد مارس المستعمرون نشاطهم هذا في تناغم بين التجار والشركات والمبشرين والجواسيس والجيوش وحتى المستكشفين وعلماء الأنثروبولوجيا- المترجم.

ومن ثم انهيار مواقعها الاقتصادية والسياسية القديمة فى مصوع وعصب. وقد حلت معاهدة أديس أبابا بين إثيوبيا وإيطاليا محل معاهدة ويتشالى المجحفة، وبمقتضى المعاهدة الجديدة اعترفت إيطاليا باستقلال إثيوبيا الكامل.

وفى ظل المد الاستعمارى وقتذاك، كان الانتصار العسكرى والكبرياء الوطنى الإثيوبى نموذجًا للمقاومة الأفريقية للنير الاستعمارى، ولو نظريًا على الأقل. وقد كان من نتائج التمدد الإثيوبى على الأرض وجهود التوطيد السياسى دفاعًا عن استقلالها أن تولَّدت اتهامات بالممارسة الإمبريالية الإثيوبية أو الأمهرية ضد مختلف القوميات الأصغر وعلى جانبى الوادى المتصدع الكبير. غير أن مركزية السلطة الإثيوبية فى الإقليم مكنتها من تفادى تفتيت القوى الاستعمارية للسلطات السياسية الأفريقية، ومن ثم تهميشها.

وسعت إثيوبيا نطاقها الجغرافى بضم جزء من الأراضى الصومالية (أوجادين سابقًا)، إلا أنها خسرت ماراب ميلاش، مقاطعتها الساحلية التاريخية التى استولى عليها الإيطاليون، لتظهر باسم جديد هو إريتريا. وكان لهذه متغيرات الجغرافيا- السياسية أهمية مصيرية فى تاريخ القرن الأفريقى بعد الحرب العالمية الثانية.

لم يكن الاستقلال السياسى الإثيوبى كافيًا لتعويض غياب الطرق الممهدة وشبكات الاتصال الحديثة والمنافذ على البحر. وما زال تاريخ إثيوبيا والتفسير الخلافى للأحداث فى القرن الأفريقى، بحدوده الشمالية فى إريتريا، الشرقية جيبوتى والصومال، الجنوبية كينيا، والشمالية السودان.. ما زال حتى اليوم يعيد إنتاج التحولات فى العلاقات الثنائية والجماعية. فعلى الأراضى الإثيوبية، عمل المهتمون بالإصلاحات الحديثة إلى جانب المحافظين والرجعيين والزعماء العسكريين والسياسيين الطموحين.

ومن التطورات الأخرى فى التاريخ الإثيوبى عند مطلع القرن العشرين بروز الطبقة الحاكمة التى سعت إلى توطيد قوتها السياسية والاقتصادية من خلال الجزية وضرائب الأرض والإيجارات وفائض العمل. وقد حصل الإمبراطور على جزية سنوية ثابتة من حكام المقاطعات. وحُرِم الفلاحون غالبًا من أراضيهم الموروثة ومن السيطرة على قوة عملهم، حيث وقعوا بين السلطة الاستبدادية السياسية على الأرض ورغبة الكنائس فى التوسع. وحصلت النخب القوية أيضًا على نصيب من العشور والمؤن المفروضة على

الطبقة الأدنى، بل إن الكثيرين منهم أُجبِروا على البقاء فى أوضاع أقرب للعبودية. وقد سمح توسيع الحدود والسيطرة على الطرق التجارية والجمارك ببروز علاقات قوة محلية جديدة كان لها نتائج عرقية وهوياتية كبيرة أنذرت بصراعات مستقبلية على السلطة السياسية وتوزيع الموارد.

شهدت الفترة ١٨٥٥– ١٨٨٩ تثبيت الأوضاع فى الأراضى الإثيوبية الشاسعة لتتحول إلى دولة متماسكة من خلال الإصلاح الكبير فى بيروقراطيتها الإدارية، وتطبيق الإصلاحات التى فرضت بعض القيود على نفوذ الكنيسة. لكن أن أنصار الحداثة شعروا بحاجة إثيوبيا للانفتاح على العالم حتى تتمكن من مواجهة المعارضة من جانب المحافظين المؤمنين بالحفاظ على التقاليد المسيحية الأرثوذكسية الإثيوبية. أيضًا حدث تطور إثيوبيا إلى العصر الحديث على خلفية الصراعات الجيو– استراتيجية القومية الأوروبية حول السيطرة على الطرق الاقتصادية والموارد والأسواق. كما أن تواجد القوى الأوروبية فى المناطق المحيطة بإثيوبيا قد فرض حدودًا على مسيرتها نحو الحداثة.

ومع ذلك فإن السيطرة النسبية لإثيوبيا على مستقبلها السياسى استمر فى توليد وضعيتها كقوة أفريقية. وكانت هذه حقيقة ذات أهمية خاصة منذ أن شهدت أفريقيا– مع تجارة الرقيق– مستويات متباينة من عدم الاستقرار السياسى والتبدلات المعقدة فى التحالفات السياسية والاقتصادية. كما وقعت تشكلات سياسية جديدة حيث تسبب الوجود الاستعمارى فى تبدل العلاقات القديمة القائمة على أساس العشيرة والسلالة. كما تسبب التهديد الخاص بالقوى الأجنبية فى الحد من الاستقلالية المطلوبة فى الإصلاحيين المحليين الراغبين فى التغييرات الجوهرية.

هكذا أصبح المسرح معدًا للاختبار الأول فى العصر الحديث للصدام بين المطامع الإمبريالية الأوروبية والطموحات الإثيوبية فى الحداثة. وقد أعطى افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ أهمية أكبر للبحر الأحمر، فأصبح محلاً للصراع بين القوى المنخرطة فى منافسات استراتيجية وجيو– سياسية وتجارية. ومع ادعاء القوى الأوروبية السيادة على سواحل البحر الأحمر، انتهت الكارثة الاقتصادية فى مصر فى عهد الخديو إسماعيل، وصعود القومية الإسلامية فى هذا البلد[١]، إلى الاحتلال البريطانى لمصر رسميًا عام

---

(١) اختزال مخل وغريب من جانب المؤلف لثورة عرابى وما تلاها من حلقات فى النضال الوطنى– المترجم

١٨٨٢. وكانت هذه الخطوة مقدمة للتدافع على القارة الأفريقية وتقاسمها. إذ تنافس البريطانيون والفرنسيون على مجالات النفوذين السياسى والاقتصادى فى الإقليم، فحمت بريطانيا إقليم النيل الأبيض، ووجدت فى الوجود الإيطالى قوة عازلة لحماية النيل الأزرق ومصدره الإثيوبى من الفرنسيين.

اتسمت العلاقات التاريخية بين الدول الأوروبية ومصر وإثيوبيا بالدوافع السياسية والاقتصادية المتبادلة، وإن كانت معقدة وغير متكافئة، التى جعلتها دائمًا فى حالة تدفق. ومع تقسيم أفريقيا عامى ١٨٨٤ و١٨٨٥، تهدد هذا التوازن بالعلاقة الثنائية الجديدة بين المستعمِر والمستعمَر، كما أنذر التفوق التكنولوجى لأوروبا بتهديد استقلال إثيوبيا. وكان للسياسة الخارجية الإثيوبية نقطة ارتكاز تتمثل فى البحث عن منفذ على البحر، وعن الأسلحة الحديثة للدفاع عن السلطة وتوطيدها، والإشارة أحيانًا إلى توطيد الأخوة المسيحية عابرة القارات مع أوروبا. غير أن العنصر الأخير قد ارتبط بمفارقة تاريخية، لأن أوروبا كانت أكثر ولاءً لتوسيع مصالحها الاقتصادية القائمة على مبدأ "دعه يعمل، دعه يمر" وحماية مجالات نفوذها السياسى. يضاف إلى هذا أن المشروع الاستعمارى الجديد كان امتدادًا أيضًا للأنظمة الاجتماعية والثقافية والسياسية فى المراكز الاستعمارية، ولخدمة أهداف وامتيازات طبقة التجار وأصحاب الأعمال فيها. وكانت الحداثة وقتها مبنية فى جوهرها على الانصياع للسياسة الخارجية الغربية للمركزية الأوروبية.

الانخراط الثقافى والفكرى لإثيوبيا مع الحداثة الغربية فى المنظور التاريخى:

على الرغم من انتشار المشروع الفكرى الغربى الحديث الذى رأى فى أفريقيا أرضًا بلا تاريخ، خلوًا من الثقافة والحضارة، وهى ظاهرة متجذرة فى تحيزات الهجوم الاستعمارى، يمكن العثور على مشروع بديل فى التعاون الأقدم بين علماء أوروبيين وأفارقة. فالعلاقات العلمانية والمسيحية الإثيوبية فى الفترة من القرن ١٦ حتى العقد الأول من القرن ١٩ استوعبت مشروعًا فكريًا عالميًا. وهناك مركب من العوامل التى ساعدت فى تحويل العلاقات الإثيوبية- الأوروبية حينها، ومن بينها: المحنة السياسية الناجمة عن احتلال الأتراك العثمانيين لسوريا وفلسطين عام ١٥١٦ ومصر عام ١٥١٧ وتهديد المقاتلين المسلمين الذى واجهته إثيوبيا فى النصف الأول من القرن ١٦.

وكان من نتائج هذا فرار الكثير من الرهبان الإثيوبيين إلى القدس ومواقع مختلفة فى أوروبا، كما تحول الكثيرون إلى المذهب الكاثوليكى ووضعوا تقاليد روحية وزمنية جديدة. وكان بعض أولئك الرهبان من العلماء المتبحرين فى لغات وتاريخ وثقافة إثيوبيا، إلى جانب اللاهوت والفلسفة. واستطاع الكثيرون منهم مواصلة أنشطتهم الدينية والفكرية داخل الطوائف الكاثوليكية مثل الفرنسيسكان والبنيدكتيين. كما هاجرت إرساليات، إثيوبيا إلى جنوب أوروبا والنمسا وإسبانيا، بينما ذهبت الأغلبية إلى إيطاليا، حيث تعاون الكثيرون منهم مع العلماء المحليين فى أماكن إقامتهم الجديدة. ويمكن العثور على بعض هذه الجماعة الفكرية الإثيوبية النشطة آنذاك فى الفاتيكان وأماكن أخرى فى إيطاليا، وحيث برز دير سان ستيفانو للأحباش **San Stefano degli Abissini** كمركز مهم لدراسة التاريخ واللغات الإثيوبية. وفيه أنتج مفكرون إثيوبيون كبار مثل أنطونيو داندرادى **Antonio d'Andrade** العديد من أعمالهم.

كما رحل كاهن كاثوليكى إثيوبى منفى هو أبا جورجوريوس **Abba Gorgoryos** من ميكانى سيلاسى فى أمهرة إلى إرفورت بألمانيا عام ١٦٥٢، ومكث مع العالم هيوب لودولف **Hiob Ludolf** الذى أصبح بمساعدة الكاهن أحد أبرز المتخصصين فى الشأن الإثيوبى. وقد أنتجت تلك الزمالة بحوثًا إثنولوجية تأسيسية حديثة، وفى الآداب الأمهرية والجعزية. وقد تُرجم عملا لودولف "قواعد اللغة الإثيوبية" (١٦٦١) و"تاريخ إثيوبيا" (١٦٨١) فيما بعد إلى الإنجليزية والفرنسية والهولندية. كما أصبحت أعماله: "تعليق على التاريخ" (١٦٩١)، "قواعد اللغة الأمهرية" (١٦٩٨) و"قاموس إثيوبي- لاتيني" (١٦٦١) نصوصًا مرجعية لتعليم الدراسات الإثيوبية فى الجامعات والمعاهد الأوروبية. وفى القرن ١٩ برز عالم إثيوبى آخر هو دباتيرا كيفلا جيورجيس **Dabtera Kefla Giyorgis** الذى لعب دورًا رئيسيًا فى تعليم إجناسيو جويدى **Ignazio Guidi** الذى وُصِف بأبى الدراسات الإثيوبية فى إيطاليا.

ومع الصعود الرسمى للإمبريالية الأوروبية فى أفريقيا، حدثت نقلة إلى الأسوأ فى الانخراط الفكرى والدبلوماسى الإثيوبى. فمنذ فجر المشروع الاستعمارى الإيطالى، لم يتوقف جواسيس روما عند جمع ونشر البيانات العلمية والإثنوجغرافية والتاريخية والاقتصادية عن إثيوبيا. وإنما عرض الكثيرون منهم خدماتهم لتحقيق الأهداف السياسية

للمشروع الاستعمارى. ومع قدوم العام ١٨٨٤ وتقدم تطبيق الخرائط الاستعمارية واتساع النفوذ الثقافى والأكاديمى والاقتصادى الأوروبى فى العالم، برز اعتقاد أن معظم المجتمعات تمر على طريق تطورى نحو الحداثة، وحيث يجب على الهويات المحلية والتنظيمات المتخلفة سوسيولوجيًا أن تفسح الطريق أمام حضارة صناعية كوزموبوليتانية متفوقة. وعلى الجانب الآخر كانت إثيوبيا تقودها نخب سياسية شرعت فى تطبيق المركزية السياسية، ومن ثم استطاعت الحفاظ على استقلالها، وإنشاء سردية محلية مُحكَمة للحداثة فى التاريخ الأفريقي.

ومع اقتراب القرن ٢٠ ظهرت تفسيرات متعارضة للتاريخ والتقاليد الفكرية والطموحات الحداثية الإثيوبية، على خلفية من علاقات القوى العالمية المتغيرة. كما تطور وصف إثيوبيا بدلاً من الانبهار الرومانسى فى الكتابات التاريخية المسيحية الأوروبية مثل "أرض الكاهن يوحنا". ومع الدخول التدريجى لسيادة والإرادة الوطنية للمجتمعات الأفريقية فى الفلك الأوروبى، برزت إثيوبيا كالحصن الرومانسى لاستقلال وكرامة أولئك الطامحين فى تغيير تلك المجتمعات الأفريقية. كما ساعدت هزيمة الإثيوبيين لإيطاليا فى معركة العدوة ١٨٩٦ فى إعادة تعريف العلاقات الأفريقية- الأوروبية ومع الغرب عمومًا.

وبناءً على حقيقة أن الولايات المتحدة وأوروبا كانتا تعملان على توسيع "السلطة البيضاء" فى أنحاء العالم، فإن الهزيمة الأولى الحديثة لأوروبيين على أيدى غير أوروبيين قد صانت استقلال إثيوبيا، وتولَّد الأمل للسود فى أفريقيا ومختلف أرجاء العالم، خاصة فى المناطق التى عرفت الصور الأكثر تطرفًا للتفرقة العنصرية وعدم المساواة. ووسط أجواء العنف، دفعت الصورة العنصرية لأفريقيا والمنحدرين من أصول أفريقية، النخب الثقافية الأفريقية والأمريكية من أصول أفريقية إلى التعبير عن هوية سوداء إيجابية. ورأت الأيديولوجية عابرة القوميات لارتقاء الجنس أن التقدمين المادى والأخلاقى للأفارقة يمكن أن يقلص العنصرية. وهو ما قاد علماءً وكتابًا سودًا بارزين إلى تبنى ما وصفه البعض بـ "الشخصية الأفريقية". وفى إطار الجهد المبذول فى كتابات الشتات الأفريقى وأنصار الوحدة الأفريقية لتقديم التاريخ الأفريقى السابق على تجارة العبيد والاستعمار، جمعت هذه الكتابات بين تقديرها لزمنية التجربة التاريخية الأفريقية والروايات الروحية للكتاب المقدس وصياغة خطاب قومى جديد.

وقد اكتسبت إثيوبيا فى أوائل القرن ٢٠ أهمية جديدة فى كتابات الرحالة والصحفيين والمستكشفين والعلماء الأوروبيين العاملين لحساب الاستعمار. وفى سياق روح العصر التى سيطر عليها توطيد الحكم الاستعمارى، جرى بشكل غالب تقويض المزاعم الإثيوبية عن الحضارة والاستقلال الاقتصادى الوطنى والطموحات الحداثية. وقد لخص الروائى الإنجليزى إيفلين ووه Evelyn Waugh تبرير استعمار إثيوبيا بقوله:

"لا يمكن للحبشة المطالبة بالاعتراف بها على أساس المساواة مع الأمم المتحضرة، وفى الوقت نفسه الحفاظ على عزلتها الهمجية، وإنما يجب عليها أن تضع مواردها الطبيعية تحت تصرف العالم، ما دامت هى غير قادرة على تطويرها بنفسها، يجب عليها أن تفعل هذا من أجل نفسها، لتقوم بهذا قوة أخرى أكثر تقدمًا، من أجل المنفعة المتبادلة"(١).

بيد أن إثيوبيا استمرت فى جهودها للحصول على المساعدة المادية والتكنولوجية من أوروبا، وعلى الرغم من غلبة وصف الجهود الدبلوماسية لأباطرتها مجرد "تحايلات" وليست مساعى ذات صدقية فى إدارة الدولة. وقد تجلى مثال آخر لتطور العلاقة بين العالم وإثيوبيا فى التعامل الغرائبى معها كأرض "متوحشة" أو كمقصد يعج بالمتناقضات. ومن الأمثلة الذائعة فى ذلك كتاب "الحبشة البربرية" الذى نُشِرت طبعته الأولى عام ١٩٢٧. وكان مؤلفه جيمس بوم James E. Baum قد ترأس حملة متحفية ميدانية إلى إثيوبيا، وحظيت تقارير أنشطتها بتوزيع عالمى من خلال الصحافة. وبإيعاز من شيكاغو ديلى نيوز سعى بوم للحصول على الحماية والإرشاد من الإمبراطور المستقبلى راس تافارى الذى كان على دراية فعلية وانبهار بـ "الحداثة المنقولة" المرتبطة بمثل تلك الزيارات، مثل الإعلام المطبوع الحديث، التصوير الفوتوغرافى، الزخرفة والرسم، فن التحنيط، والسينما. وكان الهدف الأولى لإمبراطور المستقبل هو اكتساب الأدوات الحديثة التى جاءت بها الحملة كى يقدم نفسه وإثيوبيا للعالم بصورة إيجابية. ورأى أن إيجابية التعرض لهذا التأثير لا تقف عند اعتبارها من بشائر الحداثة، وإنما هو أيضًا يقى من العدوان.

---

(1) Evelyn Waugh, Waugh Abroad: Collected Travel Writing / Evelyn Waugh (New York : Everyman's Library, 2003).

وإلى جانب تشدى الكتاب المذكور على آخرية الأفريقى والشك الإثيوبى المتوقع فى التكنولوجيا، فقد وصف تتويج هيلا سيلاسى الذى شهده الزوار بـ "المشهد البربرى الرائع" ومجرد حيلة للحفاظ على حرية الأمة. وعلى الرغم من أن كتابات بوم قد كشفت عن ملاحظته الذكية للمؤامرات السياسية والوقائع الاجتماعية على الأرض، فقد كان فارسًا إلى حد ما فى وصفه لإثيوبيا بالأرض التى تعانى من عوامل نفسية متأصلة، أكثر من التركيز على الضعف البنيوى الناجم من صراعات الهيمنة على الأرض. وبسبب اعتراض الإمبراطور هيلا سيلاسى على عنوان كتاب "الحبشة البربرية" فقد أعطى الكتاب عنوانًا آخر حينما أعيد طبعه عام ١٩٢٣ هو "إثيوبيا المجهولة: ضوء جديد على الحبشة المظلمة".

وفى تطور لاحق برزت إثيوبيا كمنبر ضغط رائد للتأكيد على الضرورات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الحديثة للمجتمعات الأفريقية، ومن ثم أصبحت إثيوبيا مرتكزًا للسرديات الحداثية الأفريقية. ولم تكتف تلك الكتابات بتسليط الضوء على الدور الأفريقى فى العالم الحديث، وإنما احتجت أيضًا على جوانب عدم المساواة المتأصلة فى مشاريع التجارة الحرة فى أفريقيا. كما دعت إلى ضرورة التنمية السياسية والاقتصادية للدول الأفريقية.

فى هذا السياق، نشر هايفورد **J. E. Casely Hayford** كتابه "إثيوبيا بلا حدود: دراسات فى خلاص الجنس" عام ١٩١١، كما كتب دوبوا العالم الأفرو أمريكى المشهور كتابًا تاريخيًا رائدًا بعنوان "نجم إثيوبيا". وفى أكتوبر ١٩١٣ افتتحت مسرحيته فى نيويورك، والتى أضفت طابعًا أسطوريًا على حضارة حديثة تأسست على الثقافة السوداء، ومنحتها السماء سبع هبات تقدمها للعالم: الصلابة، الإيمان، التواضع، الأسف، الحرية، الضحك، والأمل. وفى كل من هذه الأمثلة تظهر شخصية أفريقية لا تَشغل فقط الدور الرئيسى وإنما تضع "الجنس" أيضًا فى ضوء إيجابى وموح ثقافيًا. وعلى نحو مماثل سعى دوبوا أيضًا إلى ترويج التاريخ الإثيوبى كجزء من سرديات التنمية والحقوق المدنية فى كتابه "العالم وأفريقيا: بحث فى الدور الذى لعبته أفريقيا فى التاريخ العالمي".

وعلى الرغم من النتائج الكبيرة للمعاهدات بين الدول الأوروبية وإثيوبيا، فقد كانت محمَّلة بمحاذير جديدة وعدم تكافؤ. ففى عام ١٩٠٥ وقعت ألمانيا معاهدة صداقة وتجارة مع إثيوبيا نتيجة جهود مبعوثها الدبلوماسى فردريك روزين **Friedrich Rosen**، وأعقب

هذا إنشاء مفوضية ألمانية دائمة فى أديس أبابا. كما وُقِّعت عام ١٩٠٦ الاتفاقية الثلاثية بين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا، والتى حاولت تقسيم إثيوبيا إلى ثلاثة مجالات للنفوذ الاقتصادى، وذلك دون أى إشراك للقائد الإثيوبى، الإمبراطور منليك الثانى. وفى فبراير ١٩٠٧ حث جون هارنجتون **John Harrington** الممثل البريطانى فى إثيوبيا.. حث سرًا وزارة الخارجية ونظيريه الفرنسى والإيطالى على الالتزام الدقيق بالاتفاقية على أرضية الحفاظ على مصالح "البيض ضد السود".

ونتيجة لهذا التحول فى الموقف الأوروبى، اضطرت إثيوبيا إلى تقديم العديد من التنازلات للحفاظ على استقلالها وطموحاتها التحديثية. وإلى جانب التنازلات المقدمة للمصالح الاقتصادية والتجارية الأوروبية كانت هناك أيضًا القيود على سيادتها الدبلوماسية وطموحاتها الاجتماعية والاقتصادية. فمثلاً، وعلى الرغم من استياء الإمبراطور منليك من الاتفاقية الثلاثية، دخل فى معاهدة أخرى للصداقة والتجارة فى ١٠ يناير ١٩٠٨. وعلى الرغم من ضمان المادة ٥ من المعاهدة لحق إثيوبيا فى استيراد الأسلحة النارية عن طريق جيبوتى ومحمية أرض الصومال الفرنسية، طلب الفرنسيون بالمقابل، وحصلوا بالفعل على، امتيازات موازية خارج القانون المحلى. فأوجبت المادة ٧ بمحاكمة الرعايا الفرنسيين المتورطين فى قضايا قانونية فى إثيوبيا طبقًا للقانون الفرنسى، وأن يودعوا- إن تم اعتقالهم- فى عهدة القنصل الفرنسى. كما أعطت معاهدة كلوبوكوفسكى ١٩٠٨ المقيمين الأوروبيين فى إثيوبيا حقوقًا مماثلة وامتيازات مالية خارج القانون المحلي.

وفى مثال آخر على التحول الجذرى للمصالح فى العلاقات الدولية الحديثة بين أوروبا وأفريقيا، رفضت الأولى بوضوح طلب إثيوبيا الانضمام لعصبة الأمم عند نهاية الحرب العالمية الأولى. حيث قال الممثلون الأوروبيون إن استقلال إثيوبيا لا يخفى حقيقة افتقارها إلى "الحضارة" التى يتوقعها مجتمع الأمم الحرة. بل إن إثيوبيا تعرضت للتهديد بالتقسيم على أيدى الحلفاء المنتصرين على أساس من المعاهدة الثلاثية لعام ١٩٠٦. غير أن راس تافارى المؤمن بدولة إثيوبية واحدة وموحدة نجح فى درء خطر تقسيم الإمبراطورية. وبعد هذا بوقت قصير استطاع ضمان الاعتراف رسميًا باستقلال إثيوبيا من خلال جهوده التى أثمرت انضمام إثيوبيا لعصبة الأمم عام ١٩٢٣.

وقد تسببت إعادة تنظيم التحالف الإمبريالى الأوروبى فى تقويض مشروع التحديث الإثيوبى. ففى عام ١٩٢٤ قام تافارى بزيارة رسمية مهمة لأوروبا، هى الأولى من نوعها لحاكم إثيوبى. ونُصِح تافارى خلال الزيارة بالاعتراف باتفاقية الحدود الإثيوبية- السودانية عام ١٩٠٢، وبالاتفاق الثلاثى عام ١٩٠٦ الذى أعلن أن "على الحكومة الإثيوبية السماح للحكومة البريطانية بإنشاء سد بحيرة تانا". وقد صُمم السد أساسًا لفائدة المصالح الاستعمارية الإنجليزية فى السودان ومصر، مع إيلاء قليل من الاعتبار لسيادة إثيوبيا ومصالحها الوطنية. واستهدف المشروع التحكم فى تدفق المياه لتلبية احتياجات القوى الاستعمارية فى المصب مع تجاهل الضرورات الاستراتيجية لمشروعات التحديث الإثيوبية[1]. وإدراكًا من تافارى لأن هذه الصيغة تعنى قبوله بالحقوق البريطانية خارج ولاية القانون المحلى فى المنطقة، أجاب بأن إثيوبيا ستبنى السد بنفسها، وبعد هذا ستقوم "بتمرير المياه: إلى السودان الإنجليزي- المصري".

كما "طالبت" تلك القوى بأن "تساعد" بريطانيا الإيطاليين فى إنشاء خط حديدى يبدأ من حدود إريتريا ويقطع وسط إثيوبيا ليصل إلى الصومال الإيطالى. وحصلت هذه الخطة على قوة دفع مع اتساع مناقشات جديدة حول تقسيم إثيوبيا إلى مجالى نفوذ إيطالى وبريطانى. وعلى الرغم من هذه التحديات الخارجية، فإن راس تافارى بمجرد اعتلائه للعرش ورسمه باسم الإمبراطور هيلا سيلاسى سيسعى إلى استغلال الفرص لتوطيد مشروع الحداثة غير المكتمل الذى بدءه منليك الثانى. غير أنه كان عليه مواجهة الاقتتال الأهلى المزمن، وأزمات توازن القوى فى السلطة.

تحديث إثيوبيا .. عصر هيلا سيلاسي:

شهد المجال السياسى الإثيوبى مع رحيل الإمبراطور منليك عام ١٩١٣ مؤامرات دينية وسياسية. وفى إطار عملية إدماج الأطراف فى الإمبراطورية، استوعب منليك الثانى مجتمعات محلية غير متجانسة بعد مقاومة عسكرية بدرجات مختلفة. ونتيجة لهذا شدد

(١) لا يقدم الكاتب أى برهنة على كيفية إضرار هذا السد بمشروعات التحديث الإثيوبية- المترجم.

نظام الحكم على مركزية السلطات، فى مجتمع لديه طموحات تحديثية فعلية أم متخيلة. وبلغت مقاومة الحكم الكلى والسيطرة الاقتصادية للمركز أقصاها فى أروسى، جيبى، سيدامو، بالى، أوجادين، كافًا، وُلامو، بورانا.

وقد تقوضت منجزات منليك كمحدِّث بفعل الآثار الضارة لأنشطته العسكرية فى تلك المناطق. وقد اتسمت عملية إدماج سيدامو وأروسى بمستويات مرتفعة من الفظاعة والتهجير. وتبع هذا استيطان الأراضى المفتوحة من جانب أفراد مارسوا حقوقًا ادعوها بصفتهم من الأمهرة، وسيطروا على الأراضى والموارد المحلية. كما كانت الأنشطة السابقة مبررًا لظهور ادعاءات بـ "الاستعمار الإثيوبي" من جانب القوميين المتمردين وبعض المفكرين.

كان الوريث المختار للإمبراطور الراحل هو حفيده ليدج ياسو **Lij Yasu** الذى لم يمارس سلطاته عمليًا، وأطيح به آخر الأمر فى سبتمبر ٢٠١٦ على أيدى مجموعة من النبلاء المحافظين. وقد أخذ هؤلاء على الوريث الشاب اقترابه من الإسلام فضلاً عن تعنته تجاه قدامى المحاربين وطبقة النبلاء. وعلى الرغم من أن ابنة منليك، وهى أيضًا عمة ياسو، قد نُصِّبت فيما بعد كالإمبراطورة زوديتو، فإن الكنيسة الإثيوبية التى شعرت بالتهديد امتنعت عن التأييد التام وعملت على إصلاح نفسها من الداخل بتوطيد أساسها الأيديولوجى، الإمبراطورية.

وتحت شعار مشروع للنهضة للكنيسة والتقاليد الإثيوبية، منح محافظون مثل فيتاورارى هابتى جيورجيس دناجدى **Fitawrari Hapte Giorgis Denagde** تأييدهم لراس تافارى كولى للعهد. ولم تكتفِ هذه الخطوة السياسية الحاذقة بالاعتراف برغبات النظام القديم، وإنما مثلت أيضًا الميل التقدمى لعدد متزايد من النبلاء محبذى التغيير. أما الكنيسة فقد كانت مهتمة فقط بتكييف نفوذها الطاغى فى النظام السياسى الإثيوبى. وفى الحقيقة كانت الكنيسة معارضة للتغييرات الثورية فيما يتعلق بالولاء للأرثوذكسية والصمت تجاه التقاليد الأهلية من ناحية، ولأى محاولة للنخب السياسية لفرض إصلاحات بيروقراطية عقلانية من ناحية أخرى. وفى نهاية المطاف أدت تلك النقائص إلى إضعاف الطموحات التحديثية للإمبراطورية، وعلى الرغم من مساعى راس تافارى سواء عندما كان وصيًا على العرش أم عندما أصبح الإمبراطور هيلا سيلاسى فيما بعد.

وُلِد تافارى ماكونين فى ٢٣ يوليو ١٨٩٢ بقرية إجيرسا جورو فى مقاطعة هرَر بإثيوبيا. وأبوه هو راس ماكونين ولدميكايل جوديسا Ras Makonnen Woldemikael Gudessa حاكم هرر. وأمه ويزيرو يشيمبيت على أبا جعفر Woyzero Yeshimebet Ali Abajifar. ويأتى نسب تافارى الإمبراطورى من جدته لأبيه التى كانت عمة الإمبراطور منليك الثانى. كما زعمت العائلة نسبها المتصل إلى ماكيدا، ملكة سبأ، والملك سليمان فى إسرائيل القديمة.

تلقى تافارى أولى دروسه التعليمية من الكهنة، خاصة من أبا والدا كيدان Aba Walda Kidan كما تعلم أيضًا طرق حياة الأرستقراطية الإثيوبية، ومن بينها إتقان المزامير باللغة الجعزية، وذلك من دروس اللغة على أيدى الكهنة الأرثوكس. وكان الكثيرون من علماء الدين يقيمون فى كنيسة القديس ميخائيل فى هرر. كما دعا والد تافارى (راس ماكونين) بعض الرهبان الكاثوليك الكابوتشيين الفرنسيين فى هرر لتعليم أطفاله مواد مختلفة شملت: الفرنسية، الجغرافيا، الفلسفة، اللغة اللاتينية، تاريخ العالم.. كما تعلم تافارى اللغات الإثيوبية مثل الأمهرية، التيجرانية والأوروميجنا، إلى جانب اللغات العالمية مثل: الإنجليزية والألمانية.

وبعد تعيين إمبراطور المستقبل حاكمًا على مقاطعة هرر عام ١٩٠٤ تمت ترقيته إلى رتبة راس- أى حاكم. ولما كان عضوًا فى طبقة النبلاء فقد دخل مبكرًا فى أنشطة رجال الدولة، بما فى ذلك فرص استثنائية مثل تمثيل الإمبراطور منليك الثانى فى حفل تتويج الملك إدوارد السابع فى بريطانيا عام ١٩٠٢. وبعد إبعاد ولى العهد ياسو أخذ تافارى مكانه وأصبح الحاكم الفعلى للإمبراطورية.

على الصعيد الداخلى عمل الإمبراطور المنتظر على استكمال مشروع التحديث الذى بدءه منليك الثانى. وبالنسبة لأنشطته الخارجية فقد عمل تافارى سفيرًا لمدة ١٤ عامًا، وكان من إنجازاته الدبلوماسية تيسير قبول عضوية إثيوبيا فى عصبة الأمم عام ١٩٢٣. وقد تصور أن هذه العضوية ستضمن لبلده فترة من السلم يمكن خلالها التحرر من مخاطر الطموحات الاستعمارية للقوى العالمية. كما كانت عضوية إثيوبيا فى العصبة ذات أهمية دبلوماسية عالمية كبيرة باعتبارها الممثل الأفريقى الوحيد، أو المنحدر من أصل أفريقى، فى محفل يسيطر عيه الأوروبيون. وقد رحب بهذا المفكر العالم دوبوا الذى

وصف انضمام إثيوبيا ليس فقط كإنجاز تاريخي مهم، وإنما كفاتحة لحقبة مهمة فى حركة العالم نحو "حصول الأجناس الملونة على الحرية".

وفى عام ١٩٢٤ قام تافارى بجولة خارجية واسعة زار فيها فلسطين، مصر، فرنسا، هولندا، بلجيكا، السويد، بريطانيا، إيطاليا، سويسرا واليونان. وقد بدا فى جولته ملكًا حديثًا ذى رؤية تقدمية، حيث تفقد الاختراعات والابتكارات الجديدة فى المستشفيات والمصانع والمدارس والكنائس. وقد ترك انطباعًا قويًا فى كل مكان زاره، كما نجح فى خلق عبادة للشخصية فى الوطن وسمعة دولية جيدة. وكان هذا إنجازًا نادرًا لقائد أفريقى فى عصر يتصف بخطاب ضيق محدود فى القضايا الخيرية بالنيابة عن السكان الأوروبيين، خاصة من يقيم منهم فى أفريقيا. وفى نهاية هذه الزيارة ذكر تافارى أن الرحلة أقنعته بحاجة إثيوبيا إلى التجديد وإصلاحات تنموية كبيرة. ويقال إنه كان يشعر بسعادة بالغة بتفكيك وإعادة تركيب الآلات والأجهزة المستوردة من الخارج.

تمكن تافارى من توطيد سلطته عام ١٩٢٦ مستفيدًا من وفاة اثنين من كبار الشخصيات المحافظة، هابتا جيورجيس **Habta Giorgis** أحد أمراء الحرب القدامى، والمطران ماتيوس **Mattheos**. كما كان من عتاة المحافظين ديجازماتش بلتشا **Dejazmatch Balcha** حاكم سيدامبو الذى رفض تصفية العبودية أو مباشرة أى شكل من أشكال التطوير فى المقاطعة كجزء من بناء الأمة. ورأى بعض النبلاء الطاعنين فى السن والأكثر محافظة مخاطر حقيقية فى التغيير، وحاولوا إقناع الإمبراطورة زوديتو بالتخلص من تافارى. كانت الإمبراطورة بالعكس من تافارى قليلة الإلمام بالتعليم الحديث، بينما كان هو واسع الاطلاع وذا فهم أرقى لدقائق السياسة العالمية والمحلية. الأهم أنه استطاع، مدعومًا بجنرالاته الحربيين وحرسه الإمبراطورى المكون أساسًا من إثيوبيين سبق لهم الخدمة مع البريطانيين فى كينيا أو الإيطاليين فى ليبيا، استطاع إجبار النبلاء على تتويجه كنجاشى **Negus** (ملك) عام ١٩٢٨. وتم تدعيم هذا اللقب بإعلان عام بأن الملك الجديد سيتولى السلطات الكاملة فى الشئون العامة.

غير أن المعارضة لتافارى تجسدت فى محافظين آخرين مثل ديجازماتش بلتشا سافو **Dejazmatch Balcha Saffo** الجنرال من معركة عدوة، وراس هيلو تاكلى هيمانوت **Ras Hailu Tekle Haimanot** أمير جوجام، وقد تمرد كلاهما باسم الأميرة زوديتو. وقد التحق

بالتمرد أيضًا زوجها راس جوجسا ويلي Ras Gugsa Wele حاكم مقاطعة جوندار الذي تحرك من قاعدته صوب أديس أبابا حيث انتهى الأمر بهزيمته والانهيار التام في معركة أنشيم في مارس ١٩٣٠. وفي وقت لاحق من السنة نفسها أعلن وفاة زوجته زوديتو، وعلى الفور جرى تتويج راس تافاري وتلقيبه بصاحب الجلالة الإمبراطور هيلا سيلاسي الأول(١)، أسد يهوذا القاهر، المختار من الرب، وملك ملوك إثيوبيا. وجاء مختلف القادة من سائر أنحاء إثيوبيا لمبايعة الإمبراطور. وقد تم التتويج الرسمي يوم ٢ نوفمبر ١٩٣٠.

وحضر تنصيب الإمبراطور ممثلون دوليون من بريطانيا، إيطاليا، فرنسا، السويد، هولندا، بلجيكا، ألمانيا، بولندا، اليونان، تركيا، مصر، الولايات المتحدة واليابان. كما كان من بين الحضور الأمير هنري دوق جلوسيستر (ابن الملك جورج الخامس)، المارشال فرانشيت ديسبيري Franchet d'Esperey من فرنسا، وأمير أودين من إيطاليا. ومثل الولايات المتحدة المبعوث الخاص هيرمان موراي جاكوبي Herman Murray Jacoby الذي أحضر معه هدايا للتتويج قيل إنها اشتملت على ثلاجة كهربائية، آلة كاتبة حمراء، جهاز راديو وفونوغراف، ١٠٠ تسجيل "لقطع موسيقية أمريكية مميزة"، ٥٠٠ من شجيرات الورود عشرات منها مما يطلق عليها مجموعة الرئيس هوفر، سلالة جديدة من النرجس طورتها وزارة الزراعة الأمريكية، مجموعة مجلدات من مجلة ناشيونال جيوجرافيك، تقرير بعثة متحف شيكاغو الميدانية إلى الحبشة، نسخ من الصور المتحركة الثلاث: بن هور، ملك الملوك، بايرد في القطب الجنوبي.

واجتذبت الاحتفالات تغطية إعلامية دولية واسعة، سواء بالنسبة للملك أو للبلد. وقد سجلت الصحافة العالمية التداعيات السلبية والإيجابية لعملية التتويج على الصعيد الدولي. فأصبحت إثيوبيا معروفة على نحو أفضل من أي وقت سابق، خاصة في أفريقيا والشتات الأفريقي، وحيث نظر الكثيرون لها كجزيرة تجسد الاستقلال والمجد القديم وسط بحر من الإمبريالية. ومن بين مَن حضروا التتويج صحفيون وكُتّاب عالميون. وقد اكتفى بعضهم بهجاء الاحتفال وإرث إثيوبيا السليماني، مؤكدين أن تخلف إثيوبيا يقوض أي ادعاء مهم بإمكانية أن تصبح لاعبًا محتملاً في السياسة الدولية الحديثة.

---

(١) هيلا سيلاسي تعني: قوة الثالوث- المترجم.

لقد كانت السنوات ١٩٣٠- ١٩٣٥ فترة مهمة فى توطيد السلطة السياسية والإصلاحات فى الإمبراطورية. وباشر هيلا سيلاسى منذ اعتلائه العرش برنامجًا للإصلاح السياسى تضمن إدخال دستور تكفل بتحويل إدارة الإمبراطورية بعيدًا عن التوازن المحسوب بين القادة الإقليميين المفككين، إلى إدارة سلطوية مركزية. ففى ١٦ يوليو ١٩٣١ بدأ العمل رسميًا بأول دستور مكتوب لإثيوبيا. وقد ساعدت هذه الوثيقة التى يصفها البعض بـ "دستور الشعب"، فى تحقيق رغبة الإمبراطور فى كسر سطوة السادة الإقطاعيين من خلال تقوية سلطة الحكومة أو البيروقراطية المركزية.

كما أنشأ برلمانًا مهمته مناقشة المسائل التى تُطرح عليه من قِبل الإمبراطور. وفى إطار إصلاح البنية السياسية أقر دستور ١٩٣١ إنشاء مجلس تشريعى معيَّن من غرفتين، وكانت هذه هى المرة الأولى التى يكون فيها لرعايا من غير النبلاء دور فى السياسة الحكومية الرسمية. ومع ذلك فقد هيمن على المجلس الأعضاء من طبقة النبلاء الذين يخدمون الإمبراطور فعليًا بوصفهم وزراء وقضاة ورتبًا عسكرية عليا. وتجلت سيطرة سيلاسى على السلطة المركزية فى حقيقة أنه كان من يدعو البرلمان للانعقاد ويفضه، ويعيّن الوزراء، وصاحب السلطة الكاملة فى إصدار المراسيم حينما لا تكون غرفتا المجلس فى حالة انعقاد. كما كان من يصدر التنظيمات واللوائح لجميع الإدارات الحكومية

وهناك تصور بأن سيلاسى قد عمل بدعم من الإنتلجنسيا المتعلمة، وقام الكثيرون منهم بدراسة نقدية لمختلف الدساتير الحديثة فى الدول الأوروبية باعتبارها نموذجًا للثقافة البيروقراطية حديثة النشأة، وللتنظيمات الإدارية والقوانين. ويقال إن التأثير الأكبر كان للعلماء والإصلاحيين الذين لم يكتفوا بالتعبير عن الحاجة إلى الإصلاحات المحلية، وإنما حاولوا أيضًا تصميم شكل العلاقات الخارجية لإثيوبيا. ومن بين الجماعات الأكثر تأثيرًا فى هذا الصدد جماعة محبذى النموذج اليابانى، والذين درسوا دستور الميجى فى اليابان. وقد تأثروا بالتحول اليابانى عند نهاية القرن ١٩ من مجتمع إقطاعى (مثل إثيوبيا) إلى قوة صناعية. ويمكن أن نعدد من هؤلاء: هيروى ولدى سيلاسى **Heruy Welde Selassie**، باجيروند تاكلي- هواريات تاكلا- ماريام **Bajerond Takle-Hawaryat Takla-Maryam**،

وأرايا أبيبا **Araya Abeba**، الذين وجدوا أوجه تشابه بين "توكوجاوا شوجوناتي"[١] اليابانية و"زمانا مسافينت"[٢] الإثيوبية، باعتبار الأخيرة فترة قصيرة ومضطربة والتى استمرت من ١٧٦٩ إلى ١٨٥٥. والأهم أنهم أعجبوا باليابان بسبب إصلاحاتها الإدارية التى تمثل أداة ممكنة لحل مشكلة التخلف.

وعلى الرغم من أن الدستور أنشأ مجلسًا للشيوخ وآخر للنواب، مثل الدستور اليابانى، فقد كان الهدف منه تأسيس حكم ملكى قوى وليس التمثيل الشعبى. كما تحكم الإمبراطور فى مجلس الوزراء، والألقاب، والمعاهدات، وسلطة العفو أو تخفيف العقوبات وإعلان السلم والحرب. وكان النبلاء والشوم **Shums** (الحكام) المحليون يعينون أو يفصلون من مجلس النواب بناء على إرادة الإمبراطور. وكان من أكثر بنود الدستور ملاءمة لمخططات الهيمنة عند هيلا سيلاسى إعلان أن أسلافه أصبحوا منذ هذه اللحظة فصاعدا السلالة الشرعية الوحيدة لتولى العرش. وحسب ما جاء فى الوثيقة فإن سيلاسى وسلالته ينحدرون "دونما انقطاع من سلالة منليك الأول، ابن سليمان ملك أورشليم وملكة إثيوبيا المعروفة بملكة سبأ". وبالإضافة إلى وصف منصب الإمبراطور بالمقدس، فإن كرامته لا تُمس وسلطته لا تُنازَع.

كانت تلك الإشارات فى الدستور الجديد لطبيعة الإمبراطورية وإجراءات التعاقب الإمبراطورى مهمة لكونها خطوات أزاحت فعليًا الوظيفة الشرعية عن الكنيسة، وحولتها إلى الملك الذى كان هو نفسه من أصدر الوثيقة. ومع ذلك استمر الحضور المحافظ للكنيسة لأنه لم يبذل الجهد الكافى لفصل سلطة الكنيسة عن الدولة، وهو من الشروط الضرورية للحكم الحديث. كما تضخمت ثروة الكنيسة الهائلة على حساب المواطنين، حيث كانت تمتص الموارد من الخزائن العامة ومن الفلاحين على وجه الخصوص. وقد حافظ هيلا سيلاسى على ولاءات إثيوبيا للكنيسة القبطية المصرية حيث سمح لها بتعيين مطران جديد للبلاد. كما عين خمسة أساقفة إثيوبيين جدد، وقد فُسر تكريس هؤلاء

---

(١) Tokugawa Shogunate ويقصد بها الحكم العسكرى الإقطاعى ما قبل الحديث الذى استمر من ١٦٠٠ إلى ١٨٦٨ حين تولى الإمبراطور ميجى الذى أدخل إصلاحات فى مختلف المجالات- المترجم.

(٢) Zamana Masafent وتعنى عصر الأمراء الذين سيطروا على المقاطعات مع انحسار سلطة الإمبراطور والدولة المركزية- المترجم.

السفراء الروحيين بتمهيد لتحول الكنيسة المسيحية الإثيوبية إلى مؤسسة وطنية مكتملة الوظائف.

لم يقدم دستور ١٩٣١ سوى القليل لدعم مبادرات التحديث. فعلى الرغم من مساعدته فى تأسيس برلمان، فإنه لم توجد آلية قانونية أو إدارية لتطبيق برامجه. وكان هناك القليل من تفسير القوانين بالنسبة لمعظم الشعب الذين كانت مصائرهم وحظوظهم تمليها وتشكلها الدولة. وعلى الرغم من تلك النقائص، فإن إثيوبيا كدولة حديثة واصلت تعاملها مع العالم بإحساس زائف بالاكتفاء الذاتي.

إلا أن هيلا سيلاسى حقق بعض النجاح بكسر سلطة السادة الإقطاعيين، وتقوية سلطة الحكومة المركزية، وجعل مواقع النبلاء تتحدد بناء على معايير قانونية وعقلانية بدلاً من المعايير الدينية والتقليدية. وقد تضمنت إجراءاته الإصلاحية حظرًا على مطالبة الجنود أو نهبهم للإمدادات من الفلاحين، كما تم التأكيد على عقوبة جرائم القتل بغض النظر عن المنصب السياسى أو الطبقة الاقتصادية.

وكانت ممارسة السادة الإقطاعيين غير الحاصلين على رواتب حكومية، ومعظمهم كان يعيش خارج الريف، تقليدًا تاريخيًا استهدف الحفاظ على توازن القوى وإعادة توزيع الضرائب على الخزائن المركزية. وبدلاً من هذا حرص الإمبراطور على تقريب إدارة المقاطعات من مفهوم الخدمة المدنية مدفوعة الأجر والمسئولة عن الحكومة المركزية. وعلى الرغم من وصف هذه البنية السياسية الناشئة بالحداثية، فإن القواعد التى وضعت أساسًا لبيروقراطية وقضاء ومؤسسات للموازنة وأدوار اقتصادية أكثر مهنية ظلت قائمة على وضع مناقض لمعايير الإنجاز.

فعلى الرغم من حظر العبودية وتأسيس بنك الدولة الجديد، ضمنت الزبونية السياسية الإثيوبية أن تبقى السلطة السياسية والمعاملات الاقتصادية مشخصنة وفى أيدى النبلاء القدامى والجدد. وبغض النظر عن التعهد بتحسين القدرات وتوفير الخدمات العامة، فقد أعاق الافتقار للتنمية الاقتصادية العمل بالمعايير العامة الموضوعية وغير المتحيزة التى يمكن أن تساعد المهنية والحراك الاجتماعى لأعلى.

وقد حقق هيلا سيلاسى بعض النجاح فيما يتعلق بإصلاح التعليم. فاستثمر فى المشروعات التعليمة التى ترعاها الدولة، وشجع المنح التعليمية، على أمل إعداد مستقبلى يتوقع منه المساعدة فى تيسير انتقال إثيوبيا إلى الحكم الحديث. وكان من الجوانب الأخرى فى الإصلاح التعليمي: إدماج وتقنين الوحدات التعليمية المتناثرة تحت وزارة واحدة عام ١٩٣٠. وفى عام ١٩٣٥ أنشئت عشر مدارس ابتدائية مدعومة حكوميًا فى مقاطعات مختلفة. وعلى الرغم من توسيع حكومة سيلاسى لمدرسة منليك الثانى الموجودة من قبل، كأول مدرسة إثيوبية حديثة مخصصة لإعداد أبناء النبلاء، فقد قام أيضًا بإنشاء مدرسة جديدة (مدرسة تافارى ماكونين) عام ١٩٢٥. وقد أنشئت هذه المدرسة كبديل عن مدرسة سابقة هيمنت عليها الكنيسة القبطية. ويقول المؤرخ باهرو زِودى: إن الإمبراطور كان عاقدًا العزم على التفوق على سلفه ومن ثم دفع عملية التحديث إلى مدى أبعد بكثير مما تصور منليك. وفى افتتاح مدرسة للبنات عام ١٩٣١ شجع الإمبراطور وزوجته (الإمبراطورة مينين Menen) الإثيوبيين الآخرين على المساعدة فى تمويل إنشاء مدارس جديدة.

كما ساعد التعليم فى تقليل فجوة النوع الاجتماعى وتحسين مستوى العلاقات بين العرقيات والأديان، حيث بدأت جماعات مِّن طبقات اجتماعية واقتصادية مختلفة تعيش معًا مع نمو الحضرنة. وفى عام ١٩٣٦ كان هناك نحو ٢٠٠ إثيوبى ممن تعلموا فى الخارج منخرطين فى شئون الدولة محليًا وخارجيًا.

كذلك تحسن الاتصال بين المناطق بفضل استيراد السيارات للاستخدام الخاص والنقل العام. وأسهم إدخال خطوط التلغراف وانتشار الاتصال اللاسلكى وإنشاء المطابع فى غرس القومية الحديثة. وأنشئت مقاطعات نموذجية أُسنِدت إدارتها لنخب تعلمت فى الغرب، على أن تكون مسئولة أمام وزارة الشئون الداخلية فى أديس أبابا. كما أُدخِلت نظم ضريبية جديدة تُجمَع فى الأقاليم، وتُدفَع منها الرواتب المحلية، والمتبقى يُرسَل إلى أديس أبابا. ولصالح هذه النظم الضريبية الجديد تم إلغاء الكثير من الإتاوات التقليدية الشائعة فى الأقاليم التى يسودها الإقطاع.

وعلى الرغم أن التعليم الحديث قد ساعد فى القضاء على بعض مزاعم التقليد والسلطة، فإن محاولة اعتناق وتطبيق هذه الوقائع على المجتمع- بمقتضى منطق المركزية- لم تترجَم غالبًا إلى تحسين عام للعلاقات الاجتماعية. فاختلال العلاقات بين

الجنسين، واستمرار نظام الطوائف المهنية كأمر واقع، كان معناه أن يظل عدد المتعلمين محدودًا داخل المنظومة الإمبراطورية. يضاف إلى ما سبق أن التعليم كان متاحًا بشكل أساسى للقادمين من أسر النبلاء والطبقة العليا، والتحق الكثيرون منهم فى النهاية بمشاريع التوظف الحكومى. والأمر الأهم أن الأمهرة والتيجرانيين كانوا ممثلين داخل جماعة المتعلمين بأكثر من نسبتهم فى السكان. كما كان تافارى مثل سلفه، منليك، غير مرتاح للمثقفين الإثيوبيين الذين لم يتقيدوا بالقيم والممارسات والالتزامات المحافظة. وقد كان معروفًا على نطاق واسع أن الإمبراطور يريد النصح من المثقفين الذين أظهروا علانية ولاءهم وإذعانهم له. ونتيجة لهذا لم يكن الحراك الاجتماعى مرتبطًا ارتباطًا كافيًا بالإنجازات المتميزة أو المبادرات الفردية.

وعلى الرغم من جوانب النقص سابقة الذكر، نقول إن الإصلاحات التى قادها هيلا سيلاسى قد كانت اللبنة الأساسية لتحول إثيوبيا من دولة إقطاعية أو خراجية إلى بنية اقتصادية قائمة على العلاقات النقدية، وشريكة فى النظام الاقتصادى العالمى الحديث. فقد أسهمت الإصلاحات فى حيازة وبيع الأراضى، وفى تمكين قطاع من المجتمع من المشاركة فى إنتاج المحاصيل النقدية، خاصة البن. ومع ذلك فإن الإصلاحات السياسية التى أدخلها الإمبراطور قد أضعفها الفشل فى تفكيك المنظومة التقليدية لحيازة الأراضى التى بقيت مخترقة من جانب الكنيسة وهيمنة الدولة.

ومن هنا بقى الوضع الاجتماعى معتمدًا على ملكية الأرض، وهو ما مثل الأساس للتشكيل الطبقى والتراتب الاجتماعى. فحقوق نظام الجلت[1] الممنوحة من الإمبراطور أو ممثليه المعتمدين لأعضاء فى الجماعة الحاكمة مكافأة على خدماتهم للكنائس الأرثوذكسية الإثيوبية، أو للأديرة كأوقاف.. هذه الحقوق استمرت فى التأثير فى التفاعلات الاجتماعية والاقتصادية. وكان الحائزون على هذا الحق- وهم فى الغالب وليس دائمًا من المسئولين- مخولين بجمع الضرائب وطلب الأيدى العاملة من المشتغلين فى الأرض التى لهم تلك الحقوق عليها. وبينما كان لهم الاحتفاظ بجزء مما يجمعونه، فإن الباقى كان يذهب إلى النبلاء والإمبراطور، كما تحكم واستغل الجنود المستوطنون وحكام المقاطعات القدامى

---

(1) الجلت gult سبق تعريفه بأنه منح الإمبراطور أراضى للنبلاء- المترجم.

الأرض وقوة العمل فى "الأراضى المفتوحة". وظل نَسَب المرء ومكانته العاملين الحاسمين فى تخصيص السلع والخدمات والاعتراف. ومع وجود الإمبراطور فى القمة، احتل النبلاء وكبار الملاك أعلى سلّم التراتب الاجتماعى والسياسى. ويأتى فى المرتبة التالية صغار الفلاحين الذين يحوزون قطعة أرض صغيرة بقيمة إيجارية منخفضة، ثم يليهم ملايين الفلاحين المعدمين الذين يزرعون الأراضى المستأجرة.

وقد اتصفت البنية التحتية بالهشاشة نتيجة الاعتماد على طبقة النبلاء المقاتلين الذين كانت عليهم مسئولية مزدوجة بوصفهم إداريين أيضًا فى خدمة الدولة. وكان معظم طبقة الملاك فى الجنوب فى القرن ٢٠ من المستوطنين المسيحيين الآتين من الشمال. أما المستأجرون فقد كان معظمهم غير مسيحيين ومن السكان الأصليين فى المنطقة. وهو التطور الذى يشير إلى تحول تدريجى فى الاختلافات العرقية والثقافية التى ترجع للنظام الاجتماعى- الاقتصادى القديم. وقد عقد هذا عملية التشكيلات الطبقية والعلاقات الاجتماعية، وغرس جذور النزاعات الفردية والجماعية المستقبلية.

وعلى الرغم من الحدود سابقة الذكر، قامت الدولة الإثيوبية بتوحيد السوق المحلية مع السيطرة المركزية المتزايدة على الإيرادات الجمركية. كما حدث تقدم أيضًا فى مجالات تنظيم قوة الشرطة وخدمات الصحة العامة. وقد أخذ بعض الوجهاء البارزين يبتعدون عن المهن القائمة على إظهار القدرات القتالية، ويشددون على اكتساب رأس المال خاصة من خلال إنتاج المحاصيل النقدية. بيد أن المؤسسات التعليمية والعسكرية الحديثة برزت كمَنْفَذ مهم لقطاع كبير من الأجيال الشابة.

حماية السيادة الإثيوبية...

دور القطاعين العسكرى والأكاديمى:

بدأ هيلا سيلاسى فى إصلاح الجيش منذ أن كان وصيًا على العرش، ففى عام ١٩١٩ عيَّن مجموعة صغيرة من الضباط الإثيوبيين والروس، وكان الكثير من أولئك الإثيوبيين قد سبق له الخدمة والتدريب فى فرقة البنادق الأفريقية تحت القيادة البريطانية. كما استمر هيلا سيلاسى فى هذه العملية من خلال مشروع كبير للتجنيد وشراء الأسلحة

والاستخدام الواسع للمستشارين العسكريين الأجانب من خلفيات متنوعة، إنجليزية وفرنسية وبلجيكية. ولكنه فضل البعثات السويدية فى تدريب الحرس الإمبراطورى، وهو ما ساعد فى الحفاظ على هيمنة الإمبراطور على العاصمة، مع حمايته من المعارضات الإقليمية مثل تلك التى أبداها راس جوجسا **Ras Gugsa** حاكم جوندار وبيجمدير والذى انتهى تمرده بهزيمة ساحقة عام ١٩٣٠.

وفى العام ١٩٣٤ افتتحت كلية عسكرية فى هوليتا تحت إرشاد مفتشين بلجيكيين، وكان يتم إرسال الطلاب المتفوقين إلى أكاديمية سان سير العسكرية فى فرنسا للحصول على تدريب أرقى. كما اشترت إثيوبيا فى عهد هيلا سيلاسى طائرات قادها أول الأمر طيارون فرنسيون، كما ساعد كثيرون منهم فى القيام بمهام الاتصال والاستطلاع الحربى. وكجزء من التنمية الوطنية تم شراء الطائرات للاستخدام الحكومى والعسكرى، حيث تأسست القوات الجوية الإثيوبية عام ١٩٢٩. وقد تراوح عديد القوات عام ١٩٣٥ بين ٢٠٠ و٣٠٠ ألف جندى، تلقى ٧ آلاف منهم تدريبًا عسكريًا حديثًا. وفى عام ١٩٣٣ كان فى إثيوبيا ما بين ١٠٠ و١٥٠ أمريكيًا من أصول أفريقية، كان الكثيرون منهم مدفوعين بالرغبة فى دعم الدولة الأفريقية الوحيدة المستقلة حقًا. وكان اثنان منهم يقودان اثنتين من الطائرات الثلاث التى يمتلكها سلاح الجو الإثيوبى، وهما: جون روبنسون **John Robinson** وهيوبرت جوليان **Hubert Julian**. وقد طار جوليان إلى إثيوبيا عام ١٩٣٠ حيث أبهرت مهاراته الإمبراطور فمنحه المواطنة الحبشية الشرفية مع رتبة كولونيل.

شهدت الفترة منذ نهاية القرن ١٩ حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية تَلَقِّى أجيال من الإثيوبيين التعليم العلمانى فى مختلف المجالات ومن مختلف الأكاديميات فى العالم. وقد أدركوا من خلال سفرياتهم مدى التخلف التكنولوجى لمجتمعهم، وأصبحوا أنصارًا تقدميين لتحديث السياسة الإثيوبية. ومن خلال كتاباتهم المتنوعة والكثيرة أبدوا الأمل فى أن تقنع الدعوة للتقدم الاجتماعى والاقتصادى والتكنولوجى السلطات التقليدية بأن تكون أقل عداءً لما هو أجنبى وأكثر اهتمامًا بتشجيع التغيير.

ويقسم المؤرخ باهرو زودى هؤلاء المثقفين الإصلاحيين إلى مجموعتين. المجموعة الأولى: الجيل الذى تلقى تعليمه فى الوطن والخارج أثناء حكم الإمبراطور منليك الثانى (١٨٨٩– ١٩١٣). وقد لقى هؤلاء المساندة من الأسرة الملكية والأجانب المهتمين

بالعمل الخيرى والإرساليات الكاثوليكية والبروتستانتية. ومن أهم أولئك المثقفين:
جبرا- هيوات بايكدان Gabra-Heywat Baykedan ، وارقيناه إشاتي Warqenah Eshate، جبرو داستا Gabru Dasta، أفوارق جبرا- ياسوس Afawarq Gabra-Iyyasus ، تاكلا- هواريات تاكلا- ماريام Takla-Hawaryat Takla-Maryam، أتسمي- جيورجيس جبرا- مسيح Atsme-Giorgis Gabra-Masih، هيروى والدا- سيلاسى Heruy Walda-Selassie، جبرا- إجزيابهر جيلا- ماريام Gabra-Egziabher Gila-Maryam، ديريسا أمانتى Deressa Amante. وقد نادى هؤلاء بالإصلاحات الاجتماعية والثقافية والتعليمية والإدارية، وتنوعت كتاباتهم بين الإثنوجرافيا والتاريخ والاقتصاد السياسى. وتناولوا مسائل العدالة الاجتماعية، النوع الاجتماعى، الاضطهاد الدينى، العبودية، المجاعات، الفقر، ومسألة القوميات.

وتميز بشكل خاص داخل هذه المجموعة جبرا هيوات وأفوارق، اللذان أدانا الدولة الإثيوبية بسبب الأنشطة الاستغلالية للعسكر فى الريف على حساب الفلاحين، وافتقار السياسة العامة لكل من الحكم المنضبط (سيرات serat) وبناء روح التضامن الوطنى. ونقلاً عن المؤرخ باهرو زودى فإن جبرا هيوات قد شدد على هذا بقوله: "الشعب الجاهل ليس له سيرات، والشعب الذى دون سيرات لا تكون له سلطة مستقرة. والسيرات هو مصدر السلطة وليس عديد الجيش. فمدينة صغيرة يحكمها القانون أفضل بكثير من دولة كبيرة بلا سيرات".

أما المجموعة الثانية فتشمل المثقفين الذين برزوا فى الفترة من أوائل العشرينيات حتى ١٩٣٤. وقد تعلم معظمهم فى الخارج، فى الشرق الأوسط، إيطاليا، بريطانيا، الولايات المتحدة، وفى فرنسا بشكل خاص. وقد تمتعوا بالرعاية الحكومية والملكية، وكتبوا داعين للإصلاح عن اقتناع، مثلهم مثل الرعيل الأول من المثقفين الحداثيين، وإن كان بكمية أقل. ومن أمثلتهم أكليلو هابتا والد Aklilu Habta Wald الذى تعلم فى مصر وفرنسا، أشابا جبرا- هيوات Ashaba Gabra-Heywat وتعلم فى سويسرا، فاقادا- سيلاسى Faqada-Selassie وسيراك هيروى Sirak Heruy اللذان تعلما فى إنجلترا، إفريم توالدا- مادهن Efrem Tawalda-Madhen وداويت أوجبازجى Dawit Ogbazgy وجيتاهون تاسامّا Getahun Tasamma وإنجيدا يوحنيس Engeda Yohannes وماكونين هايلى Makonnen

Hayle وماكونين داستا Makonnen Dasta وجميعهم قضى فترة فى لبنان قبل الإبحار إلى الولايات المتحدة للحصول على التعليم الحديث. وذهب تيدلا هيلى Tedla Haile إلى بلجيكا، أما فالاقا والدا- حنا Fallaqa Walda-Hanna وهيلا- ماريام تاكلى Hayla-Maryam Takle وماكوريا والدا- سيلاسى Makurya Walda-Selassie وميكائيل تاساما Mikael Tasamma فقد كانوا من المجموعة التى أرسلت إلى إيطاليا. ومن بين المجموعة التى تعلمت فى الولايات المتحدة باشاهويراد هابتا- والد Bashahwerad Habta-Wald، ملاكو بيّان Malaku Bayyan، ووارقو جوبانا Warqu Gobana.. وقد التحقوا جميعًا بكلية الكنيسة المشيخية فى وسط أوهايو، وحيث تخرج الاثنان الأولان فى جامعة ولاية أوهايو.

نظر معظم هؤلاء من النخب الناشئة إلى تعليمهم كامتداد للاستقلال الوطنى والتنمية فى إثيوبيا. غير أن أحدهم، وهو ملاكو بيّان، كان أكثرهم اهتمامًا بسد الفجوة بين إثيوبيا والجماعة الأفرو- أمريكية. وانطلاقًا من رؤيته السياسية الحداثية دعا هذا العالِم الإثيوبى عددًا من المهنيين الأفرو أمريكيين لزيارة إثيوبيا، وكان من بينهم الطيار الشهير هيوبرت جوليان. بعد ذلك استثمر بيّان صلاته مع عالَم السود الأكبر أثناء فترة الغزو الإيطالى لإثيوبيا. فبينما كان فى المنفى مع الإمبراطور سيلاسى، استطاع جمع التأييد للقضية الإثيوبية من خلال منظمة اشترك فى تأسيسها هى "الاتحاد العالمى الإثيوبي".

من جانبها قاومت الجماعات المحافظة فى إثيوبيا ما اعتبرته إصلاحات راديكالية. وكان من بين هؤلاء فيتوراري هابتا جيورجيس Fitwrary Habta Giorgis وزير الحرب سابقًا فى عهد منليك الثانى، وقد اعترض، مثل المحافظين الآخرين، على اهتمام هيلا سيلاسى بالأفكار والابتكارات الخارجية، والتى كان معظمها أوروبيًا. وقاد فيتوراري جماعة قوية من النبلاء الذين كانت مصالحهم الخاصة فى النظام الإقطاعى وراء معارضتهم للإصلاح. وقد اختلف الإقطاع من مقاطعة لأخرى فى إثيوبيا، لكنه كان النظام السائد فى إقليم جالاّ. بينما فى الأقاليم الأخرى نظر الحكام وموظفوهم إلى المقاطعات كأراضٍ مفتوحة، وأرادوا الاحتفاظ بها أطول فترة ممكنة للاستفادة من مواردها. كما كان هناك صدام أيضًا بين الوزراء والشباب الإصلاحى من مديرى عموم المؤسسات. وحسب وصف أحد المعلقين:

"كَرِه أصحاب الرتب العليا الأكبر سنًا، والذين ما زالوا يرتدون سراويل الركوب الفضفاضة ويلفون العصابات حول رءوسهم ولهم لُحى قصيرة، كرهوا الخدمة المدنية والمديرين الشباب و"كي يضعوهم في مكانهم، جعلوا أولئك الشباب ذوي الشوارب والملابس الأوروبية ينحنون في حضور كبار السن"، وإذا كان أولئك الأدعياء الصغار ما زالوا يرتدون الشامّا[1] فإنهم يجبرون على ضمها على صدورهم تعبيرًا عن احترام مكانة ورتبة الكبار. وفي الوقت نفسه يجلس الكبار متكئين على مقاعدهم يتبادلون عبارات الحكمة القديمة، ويدعمّون سياستهم بالأمثال ويتظاهرون بعدم ملاحظة الشباب قليلي الخبرة حولهم"[2].

كذلك جاءت معارضة النفوذ الأجنبي من جانب جماعة صغيرة، ولكن مهمة، من المثقفين الإثيوبيين المعروفين بـ "حركة إثيوبيا الشابة" التي كان يتزعمها كيادي ماريام أبيرّا **Kiade Mariam Aberra** وهو تيجراني من مستعمرة إريتريا الإيطالية، وكان من أعضائها أيضًا: وُلدي جيورجيس **Wolde Giorgis**، ماكونين هابتي ولدي **Makonnen HapteWolde**، أيلا جبري **Ayela Gabre**، وباشاهويراد هابتا- والد **Bashahwerad Habta-Wald**. وعلى الرغم من أن هذه المجموعة تلقت تعليمها في الخارج أو في الإرساليات المسيحية الأجنبية فقد انزعجوا من حضور المستشارين الأجانب الذين كانوا يحصلون على رواتب سخية. ولما كان أعضاء المجموعة قد جاءوا أساسًا من أسر ذات وضعية متدنية أو حتى من وسط فلاحي، فقد سخطوا من واقعة احتجاز المناصب الحكومية المؤثرة عادةً للأشخاص من العائلات ذات المكانة.

وقد سلطت هذه الجماعة الضوء على المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمعات الصناعية، وكذلك تحدثوا بشكل خاص عن التمييز العنصري الذي واجهوه في الخارج. وكان الهدف النهائي لهذه الجماعة هو الحصول على فرص لتطبيق معارفهم ومهاراتهم في وطنهم. وقد شجعوا الإمبراطور هيلا سيلاسي على اجتذاب المزيد من

---

(1) Shemmas الشامّا البيضاء هي الزي الوطني الإثيوبي، وهي عبارة عن رداء قطني مستطيل يبلغ عرضه عادةً أكثر من ثلاثة أقدام. ويرتديه الرجال والنساء على السواء- المترجم.

(2) Richard Greenfield, *Ethiopia: A New Political History* (New York: Frederick A. Praeger, 1965), 174–75.

الفنيين والطيارين الأفرو- أمريكيين. وقد استخدمت الطائرات لنقل المواد والإمدادات الطبية. وكان مما له مغزى خاص عند هذه الفئة من الإصلاحيين مساهمة الممرضات والأطباء الأمريكيين السود الآتيين من مستشفى هارلم فى نيويورك. وقد نظم الأخيرون حملات للإمداد الطبى دعمًا لأطباء الصليب الأحمر الذين قدموا المساعدة للجيش الإثيوبى. وقد جاء أطباء هذه البعثات من أمريكا، النمسا، بريطانيا، مصر، هولندا، فنلندا، اليونان، النرويج، بولندا، السويد وسويسرا.

كان هناك تناقض بين طموح إثيوبيا فى التحديث، وبين إصرار الإمبراطور على أن التحديث يعنى بناء دولة الحكم المطلق، وقد ترافق مع هذا وقوع الأزمة الدولية بين إثيوبيا وخصمها القديم إيطاليا. وكان لاتساع البلد والافتقار إلى وسائط النقل والاتصال الملائمة معناه بأن هزيمة إثيوبيا على أيدى الإيطاليين قد دُفِع ثمنه مسبقًا بفشلها فى التحديث.

وعلى الرغم من أن إثيوبيا لم تُستعمر من قبل، فإنها لم تنجُ من العصر الاستعمارى، وقد عانى القادة الإثيوبيون من الخصومة والقمع العنصرى الاستعمارى. غير أن أثر الاستعمار على إثيوبيا كان أكثر تعقيدًا وحافلاً بالمتناقضات. وقد قاومت إثيوبيا لقرون محاولات إدماجها فى النظام الرأسمالى العالمى وظلت تدافع عن نمط الإنتاج الخراجى، ومنحت حقوق امتياز مختارة لأصحاب أعمال ومستثمرين أجانب. كما شرع الإمبراطور فى إجراء إصلاحات واسعة للتحديات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وفى الواقع كانت جهود التحديث سابقة الذكر سطحية فى الغالب ومجرد تلوينات على النسيج الاجتماعى وإضافات زائدة من الحداثة دون إعادة تصميم مجمل المؤسسات الحكومية بـ "إثير الحداثة". كان من الواجب أن يتضمن التحديث مفهوم حرية الفرد، مركزية العقل، الحكم من خلال الرضا.

وعلى النقيض من الحركة الإصلاحية البروتستانتية، التى يرى الكثيرون من أنصارها أنها قامت للوفاء بالطموحات الحداثية العلمانية، فإن التقليد السياسى للكنيسة الأرثوذكسية، الموغل فى تبنى الكتاب المقدس، قد عرقل إعادة البناء الجذرية للتقاليد الإثيوبية. ويجب الاعتراف بأن تهديدات القوى الخارجية قد ولدت ممانعات أيديولوجية ضد الدعوة للتغيير الجذرى. وقد استطاعت إثيوبيا حماية استقلالها من خلال دروع المسيحية الأرثوذكسية كحصن أيديولوجى وجدار حماية لتقليد حربى قوى يمجد ويكافئ على الأنشطة الدفاعية.

كانت إثيوبيا مع نهاية القرن ١٩ قد شرعت فى عملية التغريب الانتقائى للبنى التحتية، والانتقال من البنية الخراجية أو الإقطاعية إلى الأوتوقراطية[1] التحديثية. وعلى الرغم من أن هذه الإصلاحات كانت تجرى على قدم وساق فى أواسط القرن ٢٠ ، فإن التاج السليمانى استطاع فقط إعادة تعريف التزامات المواطنين تجاه الدولة بمقتضى الحق المقدس، بينما لم يجد هذا الولاء ما يقابله من جانب النخب السياسية تجاه مواطنى هذه الدولة.

ولما كانت هذه النخب متحررة من أى ضغوط أو عراقيل مرتبطة بانتخابات جماهيرية، فقد عبرت عن عزمها على الانفراد بتحديد مسار وطبيعة التحديث، بل إن توطيد الحكم الملكى المطلق قد حدَّ من فرص الحراك الاجتماعى أمام النخب والمواطنين الإثيوبيين معًا. وغالبًا ما وجدت الإنتلجنسيا الإثيوبية الرعاية الفعلية من الأسرة الملكية فقط، ومن ثم شغلت الموقع الاستراتيجى بين النفوذ الأجنبى الزاحف لرأس المال العالمى وبين السياسة العامة المحلية. كما نشأ صدع بين تلك النخب المتعلمة التى تولت مهمة إرشاد الدولة نحو الإصلاح وبين آخرين أرادوا حماية الحقوق المطلقة للملكية. وكان من نتائج هذا أن تقوضت أكثر إمكانية تأسيس أحزاب سياسية وحركات اجتماعية حديثة.

وبالنسبة للكنيسة الأرثوذكسية الإثيوبية التى رأت فى السرديات المستقاة من الكتاب المقدس التوضيحات والتوقعات الخاصة بإدارة شئون الدولة، فقد وجدت بشكل تدريجى خلال القرن العشرين أنها مدعوة لإعادة تشكيل كاملة لتلك الأسس الروحية بواسطة تقدير أدق للمقتضيات الزمنية. وقد تكاملت الدساتير والوثائق الوطنية- بدفع من هيلا سيلاسي- مع النصوص المقدسة لتكون معًا بمثابة الضوء الهادى للطموحات الوطنية الإثيوبية.

كما يُذكر أن الإصلاحات الحديثة قد حث عليها أيضًا حاجة إثيوبيا لاعتراف المجتمع الدولى ومنظماته. وقد كان وراء هذه الدَفعة التقدمية هنا الوعود المتضمنة فى الأحكام الحديثة للجارة ومواثيق الأمن الجماعى. وقد أملَت إثيوبيا من هذه المؤسسات الحديثة أن تحمى سيادتها مع توفير "الحكم الجيد" لها. غير أن الحكم الفعال اتسم فى معظم الحالات بأمن أفضل لقطاع مختار من السكان خاصة المقيمين فى العاصمة أو القريبين

---

(١) الحكم الفردى الاستبدادى الذى يتمتع بسلطات مطلقة- المترجم.

من مركز الإمبراطورية. وعلى الرغم من العوامل السابقة، فإن افتقار إثيوبيا "للثورة الصناعية" لا يجوز إرجاعه- حسب المؤرخ تيشالى تِبيبو Teshale Tibebu- إلى علاقات الإنتاج "الإقطاعية". ويقترح بدلاً من هذا أن الاستقلال السياسى الإثيوبى لا ينفصل عن خبرة البلدان الأفريقية المستعمرة الأخرى.

لعل القاسم المشترك فى الاستثمار المالى الكبير فى البنية التحتية الحديثة أنه لم يكن كافيًا فى الغالب للمجتمعات الراغبة فى تطبيق مشروع إعادة البناء اللازم لانتشالها من الوضعية الطرفية فى عصر الرأسمالية الصناعية. ولما كانت الدولة الحديثة فى إثيوبيا- مثل بقية أفريقيا المستعمرة- لم تنشأ كوسيط للتغيير الاجتماعي- الاقتصادى، وإنما كوسيلة وجهاز لتحصيل الموارد وحماية الأمن، فإن البرجوازيات الوطنية الناشئة قد لا يمكنها تكرار منجزات نظيراتها الغربية واليابانية. غير أنه ثبت بعد الغزو الإيطالى أن مستقبل أهداف التحديث الإثيوبى أكثر تعقيدًا مما كان يُتصور لأن كلاً من السياسة المحلية والدولية قد أعيد تعريفهما بنتائج معقدة ومتناقضة بالنسبة للنخب والفلاحين أيضًا.

وقد كسب نظام الحكم المركزى الإثيوبى المزيد من الصعود نتيجة الاهتمام الأكبر الذى أولاه هيلا سيلاسى لحماية العرش الذى ورثه، بالاعتماد تقريبًا على المستشارين الأجانب للانضواء فى النظام الدولى. وتحت قيادة المستبد "الخيّر" أدانت الدولة الإثيوبية أو سجنت النخب المتعلمة التى عملت خارج قيود الحكم الفردى التحديثى. بل وُجِّه الاتهام للكثيرين منهم بالهرطقة والردة، بينما أجبر آخرون على الذهاب إلى المنفى أو قُيِّدت حركتهم تحت أعين الحرس الملكى والقوى الأمنية.

وعلى الرغم من تلك التطورات استطاع أعضاء النخب المتعلمة استغلال الجمع بين مهاراتهم المهنية النادرة وأحيانًا نسبهم العائلى، كى يعلنوا التعهد بتحويل الوضع القائم حينما يتسنى لهم العمل فى الدوائر الملكية. ومن ثم حققت هذه المجموعة- بدعم من الرعاية الإمبراطورية- نجاحًا مهنيًا نسبيًا حتى لو تعرضت طموحاتهم الإصلاحية للانتقاص الدائم. إلا أن الدمار الأكبر الذى لحق بالنخب المتعلمة كان أثناء الغزو الإيطالى، وتمثل فى الإعدام الفورى للمئات منهم على أيدى الجيش الفاشى بتهمة قيادة المقاومة لهيمنة الغزاة الاستعماريين.

وعلى الرغم من الهالة الأسطورية التى أُضفيت على إثيوبيا كرمز للاستقلال الأفريقى، فإن هذه الدولة نفسها قد جربت الاستعمار الأوروبى، وإن امتلأت هذه التجربة بالتعقيدات والالتباسات والمواقف المتعددة. وتقول مارينا أوتاواى **Marina Ottaway** إن إثيوبيا لم تعرف الاستعمار مثل الدول الأفريقية الأخرى، ومن ثم فإن فكرة الدولة الإثيوبية الحديثة لم تتبلور حول مقولة النضال الأفريقى المشترك ضد الاستعمار الأوروبى. غير أن ضغوط رأس المال الأجنبى قد انطبعت على العلاقات الاجتماعية والسياسية فى إثيوبيا، وهى التجربة التى تشاركت فيها مع بقية أفريقيا المستعمَرة.

يقول إدموند كيلر **Edmund J. Keller** إن هذا العامل الأخير يتضح على أكمل وجه فى تبلور عرقيات وطبقات اجتماعية جديدة نتيجة للضغوط الاستعمارية فى القرن الأفريقى. يضاف إلى ما سبق أن هذا الإقليم قد شهد أيضًا- مثل بقية أفريقيا- إضفاء الطابع الرسمى على علاقات قديمة وجديدة غير متكافئة، حيث أصبح الحصول على رءوس الأموال والموارد يتم على أساس الجنس (المستوى الدولي) وينزل إلى التوزيع على أساس التراتب العرقى (المستوى المحلي).

ولقد جرى تمرير السردية الكبرى للحداثة إلى إثيوبيا من خلال المركز السياسى الذى يتحكم فيه الأمهرة، ورسمت فكرة التقدم عبر الاختلافات العرقية. ونتيجة لهذا أُجبِر السكان الناطقين بلغات غير سامية على تحويل أو إعادة تشكيل هويتهم العرقية والدينية حتى يصبحوا حديثين، أو أن يتبنوا عادات الأمهرة كى يكتسبوا التعليم الحديث. وهو مثال قوى على ما يصفه مايكل هانكارد **Michael Hanchard** بالارتباط بين الزمن الجنسى والزمن العام، أى- عدم المساواة البنيوية الذى فرضته الاختلافات بين الأجناس والأعراق على العلاقات السياسية القومية أو عابرة القوميات. وتتضح نتائج الزمن الجنسى فى النفاذ غير المتساوى إلى الفرص التى توفرها الحداثة مثل: السلع، الخدمات العامة، موارد الدولة، السلطة السياسية، والهيمنة الثقافية على أسس المعرفة المحلية.

وقد أُعيدَ إنتاج اللا مساواة الحديثة فى أفريقيا على أساس النفاذ المتفاوت إلى الاقتصاد النقدى والتعليم الحديث، وهما المؤشران الدالان على الحداثة والتراتبيات العرقية. وفى هذا الصدد نجد أن فئة "المثقفين" (التى تشمل غالبًا النبلاء، العسكريين، والمدنيين الطامحين فى منصب حكومي) قد عملت بثبات وفق الأفكار القديمة والجديدة

التى ساعدت فى ترسيخ مختلف أشكال العلاقات غير المتكافئة. ولدى دفاع إثيوبيا عن سيادتها فى مواجهة الاختراق الأوروبى، سيطر شعبا الأمهرة- التيجراى معًا على الشعوب الرعية فى الهوامش. وقد دأبت الجماعة المسيطرة فى التعامل مع رعاياها على استغلال الوضع الذى تمارَس فيه السياسة من خلال النفاذ غير المتساوى للسلع والخدمات والموارد والسلطة المؤسسية. وهكذا وجد الإثيوبيون ذوو الطموحات الحداثية الجذرية أنفسهم محاصرين بين القيود التى يفرضها عليهم التحديد المسيحى الأرثوذوكسى للأمة والشوفينية الإقطاعية الأمهرية من ناحية، وتهديد الهيمنة الخارجية (الأوروبية) من خلال المبتكرات العسكرية أو الاقتصادية من ناحية أخرى.

نتيجة لما سبق، لم يستطع كل من الفلاحين والمثقفين الأمهرة وغير الأمهرة أن يترجموا بسهولة المظالم السياسية والاقتصادية المحلية إلى حركة اجتماعية وسياسية حية. وإذا كان بالإمكان وصف الإصلاحات والتقدم الحداثى بنشأة أساس عقلانى لتثوير نمط الإنتاج وتتجرة المعرفة، توزيع السلطة والموارد المالية والمادية، خاصة الإيرادات الضريبية وعوائد الأرض، ورضا المحكومين عن أولئك الذين يحكمونهم.. عندها يمكن للتغيير التقدمى أن يكون أكثر ضرورة لإثيوبيا. وعلى ضوء هذه الخلفية وُصِف الكثير من النخب السياسية الإثيوبية عند نهاية القرن ١٩ وبداية القرن ٢٠ بأعداء الحداثة، إذ ظلت السلطة والنفوذ فى الدولة منحصرة فى البيروقراط المركزيين مثل الرؤساء المحليين **balabats** أو ملاك الأراضى **neftegnyas**. والأمر الأهم هنا أن أولئك المسئولين كانوا محدودين بفرض الضريبة وتأمين الحدود، على العكس من نشر فكرة التقدم عبر الحدود الطبقية والمناطقية.

وقد حُلَّ مؤقتًا بعض التناقضات والالتباسات المتأصلة فى نزعة الحداثة الإثيوبية عند نهاية القرن ١٩ وبداية القرن ٢٠. فقد اكتسب التعبير الثقافى للأمة أهمية أكبر مع زيادة الأنشطة الاستعمارية الأوروبية فى القرن الأفريقى. كما أن الغزو الإيطالى لإثيوبيا عام ١٩٣٥ والأحداث المحيطة باندلاع الحرب العالمية الثانية أعطت قوة دفع جديدة للسردية الإثيوبية عن الحداثة الأفريقية. وحسب المؤرخة روث بن- جيات **Ruth Ben-Ghiat** فإن الإيطاليين- مثل القوى الإمبريالية الأخرى- قد وصفوا حربهم الاستعمارية فى إثيوبيا بالرسالة التحديثية التى ستنتشل الأفارقة من التخلف والعبودية والفوضى.

وأضافت إن الدعاية الفاشية صورت الإيطاليين بوصفهم جيشًا من الخيِّرين الأبرار الذين شيدوا الطرق والجسور، وحولوا الصحراء إلى حدائق، وجلبوا السلم والرفاهية للشعوب الأصلية.

بالمقابل أصبحت إثيوبيا القاعدة التى على أساسها صيغت- داخل أفريقيا وفى الشتات- فكرة النضال الأفريقى المشترك ضد القوى الاستعمارية الأوروبية. وقد أدى مغزى حضارة إثيوبيا واستقلالها إلى وصفها فى القرن ٢٠ بـ "القلعة الأخيرة للرجل الأسود" التى يجب حمايتها من المخططات اللا ستعمارية الأوروبية مهما كانت التكاليف.

الفصل الرابع

الحرب العالمية الثانية وما بعدها
إعادة البناء وغيرها من التناقضات
١٩٣٥ - ١٩٦٠

هناك دلائل قليلة على أن إثيوبيا والطبقة السياسية الحاكمة من الأمهرة قد اعتبرت نفسها "أمة سوداء" رائدة قبل بداية الحروب الإمبريالية الأوروبية، وبعدها أصبح الربط بين التاريخ الإثيوبى والوطنية الأفريقية المعادية للعنصرية والاستعمار جزءًا من الإدراك الحديث.

بيد أن تاريخ إثيوبيا قد اكتسب أهمية أكبر عند دراسى العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية العالمية عندما تعرض هذا البلد للغزو الإيطالى عام ١٩٣٥. ونناقش فى هذا الفصل كيف انقطعت إصلاحات التحديث الإثيوبية فى الحلقة التاريخية التى وصفتها المؤرخة روث بن- جيات **Ruth Ben Ghiat** بنقطة تحول للمشروع الفاشى للحداثة الإيطالية. وقد كان لتداعيات الغزو المعقدة وواسعة الانتشار أثر هائل على كل من الإصلاح الداخلى والدبلوماسية الدولية. كما عرفت إثيوبيا إنجازات وطنية مهمة، وكوارث وطنية أيضًا بما فيها فقدان أعداد كبيرة من أبنائها من مختلف الأعمار والطبقات والجنسين. كما يسلط الفصل الضوء على الصلة بين هذه الحوادث وميلاد الحقوق المدنية الحديثة ومشاريع تصفية الاستعمار فى أفريقيا. كما نحلل نقديًا التاريخ السياسى الذى وقع فى فترة الغزو الإيطالى لإثيوبيا، وصعود السياسة الجديدة وسط الشتات الأفريقي.

شهدت نهاية القرن ١٩ إعادة تشكيل "الجنس" race والعلاقات بين الأجناس على نطاق عالمى. وقد كُشِف هذا بوضوح فيما سماه ديفيد ثيو جولدبرج David Theo Goldberg "التناقض العرقى المشهود بين الأوروبية والأفريقية، بين الحضارة والبدائية المفترضة". ويضيف إن هذا المفهوم قد أعيد تدويره فى المحافل العالمية والخطابات الدولية فى "الفضاءات الأوروبية". وعلى الرغم من نجاة إثيوبيا من الاستعمار الرسمى فى القرن ١٩، فإن خبرتها فى النصف الأول من القرن ٢٠ تأثرت بتحول مصفوفات القوة والثقافة والمعرفة، مدعومة بتشابك بين الحدود الجغرافية والإمبرياليات الأوروبية. فقد تشكلت فكرة إثيوبيا فى الخطاب الاستعمارى كأمة سوداء ليس فقط بالجمع بين التفوق العسكرى والاقتصادى الأوروبى، وإنما أيضًا بتصنيف له القدر ذاته من الفاعلية، وعكَس الأغراض السياسية الأعم فى صورة أفكار وأشكال وصور وتخيلات عن "الآخرية" وتراتبيات الحضارة.

تحتل فكرة المهابة مكانة مركزية فى كل الخطاب الاستعمارى ولكنها، حسب روث بن- جيات، قد يكون لها معنى خاص عند الإيطاليين الذين نظروا إلى الإمبراطورية فى القرن الأفريقى كمنفذ للهروب وضعية دولية خاضعة. وقد رعت إيطاليا جمعيات مهنية مثل الأكاديمية الإيطالية والمجلس الوطنى للبحوث، وإثنوجرافيين وعلماء كانوا قد رسموا من قبل العرقية الإيطالية كجزء من "بعث التقليد"، ولكنهم بدءوا الآن فى دراسة سكان شرق أفريقيا. واستخلصت بن- جيات أنه مع وضع علماء السكان "أطلسًا إثنوجرافيًا" شاملاً لشرق أفريقيا الإيطالى، وعرض الخبراء الاستعماريون تصنيفهم "للأنماط العرقية" فى شرق أفريقيا فى دوريات مثل "إثيوبيا" و"أفريقيا الإيطالية"، فإن تصنيفات المعرفة الاستعمارية تلك قد بنيت على تقنيات التحكم الاجتماعى وإدارة السكان التى ساعدت كمدخلات فى المخططات الرسمية للحداثة الفاشية.

ورأت إحدى مدارس الفكر أن البابا بيوس الحادى عشر قد منح بركته للغزو الذى قام به موسولينى، بينما رأت مدرسة أخرى أن الأمر إما التبس على البابا وإما افتقر إلى قدرة التأثير فى أى قرارات خاصة بالحملات الإيطالية فى الخارج. وبينما منح غزو إثيوبيا الخطاب السياسى والشعبى الإيطالى وسيلة وقتية لتوطيد هوية إيطاليا الأوروبية، لكن هذه الواقعة الدولية كان لها نتيجة غير مرئية بالمساهمة فى تدشين ما وصفه المؤرخ

كيفن جينس Kevin K. Gaines "القرن الأفريقى القصير لحركات تصفية الاستعمار". فقد رأى أن الأنشطة الأخيرة كجزء من موجة جديدة للحداثة الأفريقية، قد تقدمت بفعل تحولات اجتماعية أحدثتها الهجرات الكبيرة لقوة العمل، الخدمة العسكرية فى الحروب العالمية، الحملات الفكرية ضد سطوة الغربى الأبيض وانتشار الوعى المعادى للعنصرية، والثقافات الأدبية والتعبيرية التى عبرت عن طموحات الشعوب السوداء فى الحرية الثقافية والسياسية. وفى النصف الثانى من القرن ٢٠ ترتب على تقاطع الجغرافيا السياسية المحلية والدولية أن أصبح من الصعب المجادلة بشأن "سواد" أو "أفريقية" إثيوبيا إذ إن خصائصها السياسية والاقتصادية قد أكدت تضمينها فى تطبيع وتسويغ جديدين للنظرية المكانية للجغرافيا السياسية للمهمَّش، أى "أفريقيا جنوب الصحراء".

كان الإمبراطور منليك الثانى هو من أرسى أسس منجزات إثيوبيا فى العلاقات السياسية العالمية، خاصة من حيث تأثيرها فى كل من العرق والإمبريالية، ومن ثم كان عند مطلع القرن ٢٠ موضع احتفاء فى جميع العالم الأسود. ومما له مغزى رمزى فى هذا الصدد أن بنيتو سيلفين Benito Sylvain المثقف الهايتى المؤمن بالوحدة الأفريقية، والذى أصبح فيما بعد من معاونى منليك، لم يمجد دوره فقط بوصفه "أعظم رجل أسود فى العالم" وإنما أيضًا لأنه دشن برنامجًا "للتحسين العام لأحوال الجنس الأسود". وكان سيلفين مع الناشط السياسى الأفرو أمريكى وليام إليس William H. Ellis يحاولان من ناحية إنشاء ملجأ إثيوبى للأمريكيين السود مع خطط للأعمال والتنمية، بينما من ناحية أخرى كانا يأملان فى تصديق إثيوبيا على تكوين "لوبى ملون". ويقول المؤرخ ألبيرتو سباتشى Alberto Sbacchi إن سيلفين فشل فى الحصول على هذا التصديق، بينما رسم آخرون صورة أكثر وردية، ومن بينهم أوليسانوتشى إزيديبى Olisanwuche Esedebe.

وقد نُصِّب الإمبراطور منليك ورئيسى هايتى وليبيريا رؤساء شرفيين لمؤتمرات الوحدة الأفريقية التالية لأنهم مثلوا الأمم السوداء الوحيدة المستقلة فى عصر الإمبريالية الأوروبية. وعلى الرغم من التطورات السابقة فقد حافظ منليك على التشاور مع مستشارين وحلفاء أوروبيين مختارين. وعلى المنوال نفسه واصل خلفه سيلاسى السياسة الخارجية الدفاعية إلى حد كبير والهادفة للحفاظ على البقاء، والتى انتهجها الإمبراطور الراحل.

فعند نهاية الحرب العالمية الأولى تودد سيلاسى من أجل تدعيم الصداقة مع الدول الغربية، فأرسل البعثات الدبلوماسية إلى الحلفاء المنتصرين فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وهنأهم بالنصر العسكرى. وقد حقق نجاحًا دبلوماسيًا كبيرًا حينما قُبلت عضوية إثيوبيا فى عصبة الأمم عام ١٩٢٣. وكان من المأمول أن تمنح هذه العضوية فترة سلام لإثيوبيا تتمكن خلالها من التخلص من أى تهديد من الطموحات الاستعمارية للقوى الأخرى. وقد اتسمت فترة حكم هيلا سيلاسى بزيادة الاعتراف بالأهمية المترابطة بين كل من العرق والإمبريالية والقومية الأفريقية الحديثة.

وكما أوضحنا سابقًا فإنه باستثناء ليبيريا (الدولة- الأمة المنعزلة فى غرب أفريقيا والضعيفة جراء الاستغلال الاستعماري) وهايتى (التى دمرها بالمثل تراث العبودية والإمبريالية) كانت إثيوبيا الأمة الأخرى السوداء المستقلة تاريخيًا فى القرن ٢٠. وفى انعطافة تحديثية أخرى لحركة الشتات الأفريقى نشأت فى أوائل الثلاثينيات حركة "راستافاري"[١] **Rastafari** فى جامايكا وسط الطبقة العاملة والفلاحين السود، والتى أعلنت من هيلا سيلاسى الممثل الأرضى لـ "ياه" **Jah** وهو الاسم الذى منحته الحركة للرب. ونظرت الحركة إلى تتويج سيلاسى على أنه لا يقل عن تحقق للنبوءة المقدسة "الملوك سيعودون إلى أفريقيا". وقد ربط أولئك الجاميكيون السود أنفسهم بملك الدولة الأفريقية المستقلة وأضفوا عليه قداسة باعتباره مسيح الخلاص الأفريقى. ومن حيث الجوهر، جمعت هذه الحركة بين تفسير نبوءة الكتاب المقدس وبين الطموحات الاجتماعية والسياسية للسود والقومية للتبشير برؤية ثقافية تقدمية جديدة للعالم.

بيد أن إثيوبيا واصلت طموحاتها التحديثية، وعلى الرغم من تطلعها إلى أوروبا فإنها أخذت أيضًا تستكشف مظاهر الحداثة الآسيوية المتفردة فى السنوات الأولى من القرن ٢٠. بينما رغبت أوروبا من جانبها فى وأد العلاقة بين الأفارقة والآسيويين، وبالأخص منع اليابان من توسيع نفوذها الثقافى والاقتصادى والسياسى فى إقليم القرن الأفريقى.

---

(١) نسبة إلى اسم هيلا سيلاسى قبل تنصيبه إمبراطورًا. وكلمة «راس» تعنى «رئيسًا» وهى رتبة للأمراء، و«تافاري» هو اسمه. نشأت الحركة أساسًا فى كنجستون بجامايكا. أمريكا اللاتينية، ويتسم رجالها بالشعر الطويل المضفر، ويرتدون قبعات صوفية. ويقال إنهم يدمنون الماريجوانا كجزء من الطقوس الدينية ويفضلون موسيقى الريجى، وبينما يعتبرها الكثيرون ديانة فرعية أو هامشية. هناك من ينظر إليها كطريقة فى الحياة مع حنين للخلاص والجذور- المترجم.

وتطابق هذا الهدف مع ظهور النظرية الإمبريالية الاجتماعية الجديدة التى رأت أن التوسع فى الخارج يمكن أن يعالج العلل الاجتماعية فى الداخل، وأن نشر ثقافة البلد المستعمِر وسط "الأجناس الأدنى" هو أنبل عمل يمكن القيام به.

وكان هذا الملمح الخاص بالغ الوضوح فى الأنشطة الاستعمارية للإيطاليين فى أفريقيا. وحسب أليساندرو ليسونا Aleassandro Lessona وزير المستعمرات: "فإن جذب القارة السوداء إلى الفلك اليابانى سوف يحرم أوروبا من إمكانية استخدام أفريقيا فى الدفاع عن حضارتها". وقد انزعجت إيطاليا من اتفاقية ١٩١٩ بعد الحرب العالمية الأولى والتى أغفلت رغبتها فى "مكان تحت الشمس"- أى الحصول على مستعمرة أفريقية. وعلى الرغم من أن إيطاليا قد جاءت متأخرة إلى الصراع على أفريقيا، فقد حصلت على إريتريا التى تعتبر الإقليم الساحلى الطبيعى والخاصرة الطرفية للمرتفعات الإثيوبية، وعاصمتها أسمرة. وهكذا كانت المستعمرة الإيطالية بالنسبة لإيطاليين كثيرين رمزًا آخر لإنجازاتها الحديثة، وتوطيدًا لهويتها كأحد المسيطرين على أفريقيا المستعمَرة.

كانت بريطانيا وإيطاليا قد أعلنتا عام ١٩٢٥ توقيعهما لاتفاقية لا يعترف فيها كل طرف فقط بمجال النفوذ الاقتصادى للآخر فى إقليم القرن، وإنما أكدا أيضًا أن هذه المصالح تمتد إلى ما وراء الحدود الإثيوبية. لكن سيلاسى استطاع استغلال عضوية إثيوبيا فى عصبة الأمم ليحصل على اتفاقية تضمن استقلال دولته. فقد أصر بقوة على أن تنشر "مجموعة معاهدات" العصبة احتجاجه على الاتفاق الإنجليزى- الإيطالى، وهو الموقف الذى اعتبره البعض من المبادرات الدبلوماسية الكبرى فى التاريخ الأفريقى الحديث.

غير أنه فى أوائل الثلاثينيات، ومع تدشين نظام بنيتو موسولينى الفاشى فى إيطاليا لحقبة جديدة من التوسع فى شمال شرقى أفريقيا، سعت روما إلى لاستغلال حقيقة عدم سيطرة العاصمة أديس أبابا بشكل فعال على المناطق الطرفية. واجتمعت جملة من العوامل لتهدد استقلال إثيوبيا، من بينها: غارات الرعاة المتكررة، الهجرة، والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية بالغة السيولة. وبالإضافة إلى محاولة الإيطاليين استغلال البنية الإقطاعية فى إثيوبيا، قاموا أيضًا باختراق مراسلات واتصالات القناصل الإثيوبيين بمساعدة من الوكلاء التجاريين والعاملين فى المجال الصحى والإرساليات الكاثوليكية.

إلا أن الأهم كان النذير بصراع وشيك مع إيطاليا، خاصة مع انهيار الجبهة السياسية والعسكرية المتحدة والفعالة التى غذاها الإمبراطور منليك. فعلى النقيض من منليك الذى بنيت سياسته على فرض "الأمهرية" أو "الإثيوبية" على الرؤساء المحليين فى المناطق المفتوحة الذين لم تعد سلطتهم ومكانتهم تعتمد على حقوق النسب السلالى وإنما على الخدمات السياسية والعسكرية التى يقدمونها للدولة، قامت الاستراتيجية السياسية لسيلاسى على سياسة المركزية. وقد كان لهذه السياسة تداعيات سلبية على الدولة، حيث ولّدت نزعات انفصالية مستمرة ارتبطت بالمفاهيم المضطربة عن الدولة والرعايا والمواطنين.

وبينما كان منليك قادرًا على حشد قوة احتياط قوامها ٦٠٠ ألف فرد مسلحين بالبنادق، إلى جانب الجيش النظامى الذى يزيد عديده على ٢٠٠ ألف جندى، عدا رقم كبير من المقاتلين المسلحين تقليديًا القادرين على ممارسة حرب العصابات كجزء من الدفاع عن الوطن، أدى مشروع سيلاسى للتحديث إلى المزيد من تركز السلطة فى يد الإمبراطور. وبالإضافة إلى ذلك قامت الطبقة الناشئة من الإداريين المدنيين المحترفين بدفع طبقة المقاتلين التقليديين إلى الهوامش. غير أنه من أهم الملاحظات حقيقة أن الجيش الإثيوبى الدائم كان ناقص التسليح بمعايير القرن ٢٠. ويجب إضافة أن الحضور الاستعمارى فى القرن الأفريقى للاعبين أوروبيين بارزين قد وضع المزيد من القيود على كميات الأسلحة التى تدخل إثيوبيا، ما جعل من الصعب جدًا على الحكومة الحفاظ على سلامة حدودها النائية. واستمرت سيادة الدولة فى اعتمادها على الدور التوحيدى للكنيسة الأرثوذكسية والسلالة الملكية، ومميزاتهما التى تضفى الشرعية على توحيد السكان أيديولوجيًا. وكان لا بد للغزو الإيطالى أن يضع استدامة الوحدة الإثيوبية والمشروع التحديثى تحت اختبار مصيري.

خلفية الحرب العالمية الثانية ..

إيطاليا تغزو "الحصن الأخير للرجل الأسود":

انطلاقًا من قاعدتها الاستعمارية فى الصومال، كانت النظرة الإيطالية للقرن الأفريقى كإقليم ذى مساحة شاسعة مليء بالثروات المعدنية غير المستغلة، ومن ثم قررت الشروع فى التوسع فى الأراضى الإثيوبية. وقد أعطت حادثة "وَالْوَل"[1] على الحدود غير المرسومة بين إثيوبيا والصومال الإيطالى المبرر الذى كان الإيطاليون ينتظرونه. و "والول" هى نقطة نائية فى صحراء أوجادين توجد بها آبار كان الرعاة الصوماليون يأتون إليها قبل التقسيم بين الدول الأوروبية، عابرين مناطق أصبح يحتلها الآن بريطانيون وفرنسيون وإيطاليون. لم يكن الصدام استفزازًا متعمدًا فقط، وإنما كان أيضًا بمثابة اختبار للقدرة على تحمل البيئة الطبيعية والاجتماعية فى أفريقيا، ومدى فاعلية المعاهدات الدولية، وكيفية ممارسة السلطة عند التوسع الاستعمارى، والتنافس على الحقوق.

وتحت ضغط الصحافة القومية أخذت إيطاليا فى توطيد وجودها فى القرن الأفريقى ببناء حصن عسكرى جديد أواخر ١٩٣٤. وهو العمل الذى قضى به إطار اللجنة الإنجليزية- الإثيوبية لحل المنازعات الحدودية، والتى حاولت تحقيق توازن تنافسى ودقيق فى المصالح. وقد تحدت اللجنة المذكورة الإيطاليين، لكنها سحبت وجودها حينما وجهت بعمليات عدائية منها الطيران الحربى المنخفض فوق القوة العسكرية الإنجليزية- الإثيوبية المرابطة فى المنطقة. وأعلن الليفتنانت كليفورد القائد البريطانى للبعثة أن سبب الانسحاب هو "تحاشى وقوع حادثة دبلوماسية".

فما بعد أرسلت اللجنة وحدة عسكرية إثيوبية لتقيم ثكنة بالمنطقة لكنها وجدت نفسها متورطة فى مناوشات عسكرية مع القوة الإيطالية. وبعد هذا بأسبوعين وقع الصدام بين القوات الإثيوبية والإيطالية فى معركة والول، وتوالت بعدها سلسلة من الحوادث التى قادت إلى الغزو الإيطالى الرسمى لإثيوبيا، كمقدمة للحرب العالمية الثانية.

---

(١) صدام وقع بين قوات إثيوبية وقوة إيطالية فى نقطة ترى إثيوبيا أنها داخل حدودها. اقترحت إثيوبيا لجنة لفض المنازعات لكن إيطاليا رفضت وطلبت التعويض. بل وطالبت بطرد الحبشة «البربرية» من عصبة الأمم- المترجم

وتقدمت إثيوبيا بشكوى إلى عصبة الأمم فى يناير ١٩٣٥، طالبت فيها باحترام روح ونصوص اتفاقيات الأمن الجماعى المتجسدة أيضًا فى ميثاقها. وأبدت إثيوبيا انزعاجها من عدم تنفيذ العصبة لمبدئها القاضى بأن الاعتداء على بلد عضو فى العصبة يعتبر اعتداءً على جميع الأعضاء. وقد بذلت الحكومة البريطانية بعض الجهود الأولية للوساطة بين الطرفين، لكنها لم تحقق سوى القليل من النتائج الإيجابية. وكانت الدول الأوروبية قد توصلت إلى تفاهم عام بشأن احترام المصالح السياسية لكل منها من خلال "معاهدات التقسيم الثنائية" التى رسمت الحدود بين مجالات نفوذها في أفريقيا. بينما فرضت دول أخرى سيطرة مباشرة بالقوة على الدول والمجتمعات الأفريقية، وهى العملية التى أخذت وقتًا واتسمت بالدموية فى أغلب الأحوال.

وامتنعت الولايات المتحدة عن المشاركة فى هذا الحوار، واعتصمت بسياسة انعزالية، بينما الفرنسيون الحذرون من دفع إيطاليا للتحالف مع ألمانيا ومن ثم الإخلال بتوازن القوى، بادروا بحظر تصدير السلاح إلى إثيوبيا، بل وذهبوا إلى تأييد التعديلات الحدودية التى أجريت لصالح إيطاليا على حساب إثيوبيا.

وعمل اتفاق هور- لافال عام ١٩٣٥ (سمى على اسمى صامويل هور **Samuel Hoare** وزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية، وبيير لافال **Pierre Laval** رئيس الوزراء الفرنسي) على تقسيم إثيوبيا كحل أخير لإنهاء الحرب بين إثيوبيا وإيطاليا. وقد كُتبت هذه الوثيقة لإرضاء مطالبات بنيتو موسولينى الذى كان مُصِرًا على جعل إثيوبيا أحدث مستعمرة إيطالية. وكان الإمبراطور منليك قد عقد صفقة مع فرنسا عام ١٨٩٤ لمساعدته فى بناء السكك الحديدية. وباكتمال خط جيبوتي- أديس أبابا عام ١٩١٧ أصبح ينقل ٧٥٪ من تجارة إثيوبيا الخارجية، وكان يدر ربحًا ٢٠٠ فرنك عن كل طن للمستثمرين الفرنسيين الذين امتلكوا ٢٠ ألف سهم من إجمالى ٣٤ ألف سهم. وقد تضمن اتفاق بيير لافال مع بنيتو موسولينى بيع ٢٥٠٠ من الأسهم الفرنسية فى السكك الحديدية الإثيوبية للحكومة الإيطالية. كما نص اتفاق هور- لافال على أن يبقى جنوب إثيوبيا الجبلى مستقلاً، ويتم تسليم معظم الشمال الغنى والخصب لإيطاليا. وكان موسولينى موافقًا ومستعدًا للتوقيع حتى تم تسريب الخطة التى أدانها مراقبون دوليون كثيرون باعتبارها خيانة للسيادة والمصلحة الوطنية الإثيوبية. وعندما رفعت عصبة الأمم أخيرًا حظر تزويد إثيوبيا

بالأسلحة، قضى الاتفاق الفرنسي- الإيطالى بألا يكون تسليم السلاح والذخيرة عن طريق السكك الحديدية من جيبوتى، وإنما بالشاحنات إلى هرر على بعد ١٢٥ ميلاً من حدود الصومال البريطانى.

وقد أدان مراقبون كثيرون هذه التطورات بسبب فرض هذا الوضع الضعيف على الإثيوبيين. وجاءت أعلى أصوات الاحتجاج وأقواها من مجتمعات الشتات الأفريقى. وأصدرت جماعات أفريقية مثل الجمعية النيجيرية لسيدات لاجوس، ولجنة إينوجو لصندوق إغاثة إثيوبيا، قرارات احتجاجية، وصاغت أولاهما رسالة موجهة إلى عصبة الأمم. وفى أفريقيا، شنت صحيفة وست أفريكان بايلوت، تحت رئاسة تحرير ننامدى أزيكوى **Nnamdi Azikiwe**، حملة للدفاع عن إثيوبيا. وأُنشِئ فى ترينداد صندوق لإغاثة إثيوبيا دعا كل الملونين فى إنجلترا وأمريكا وأفريقيا وجزر الهند الغربية لدعم رسالته. كما استغلت منظمات السود الاحتجاجية إعلام ودعاية اتحاد تحسين أحوال الزنوج فى العالم بقيادة ماركوس وإيمى جاك جارفي[١] **Marcus and Amy Jacques Garvey**. ومن الجماعات المماثلة فى الكاريبي: أصدقاء إثيوبيا، الرابطة الأفريقية- الهند غربية، والاتحاد الاجتماعى والثقافى لرفاه الزنوج، وكلها فى ترينداد.

كما تزايد التعبير عن المشاعر المعادية للاستعمار الإيطالى فى جويانا البريطانية، سانت فينسنت، ووسط السود فى فنزويلا. كما أسس الدكتور مالاكو باين، ممثل هيلا سيلاسى فى الولايات المتحدة، الاتحاد الدولى الإثيوبى، كما أصدر مطبوعة جديدة باسم "صوت إثيوبيا" والتى انتشر توزيعها واشتراكاتها فى مختلف أنحاء العالم. ونتيجة لهذه الحملات الدولية اضطرت الحكومة البريطانية إلى التنصل من الاتفاق المدان بتقسيم إثيوبيا، كما أُجبِر كل من هور ولافال على الاستقالة من منصبيهما.

بيد أن الأزمة الإيطالية- الإثيوبية كانت فقط فى بداية الاهتمام بها عالميًا. ففى ٣ أكتوبر ١٩٣٥، ودون إعلان الحرب رسميًا، أمر موسولينى بمهاجمة إثيوبيا من إريتريا والصومال. وصدرت الأوامر للقوات الإثيوبية بالانسحاب من خطوط المواجهة بهدف

---

(١) الزوجان من أهم الشخصيات المدافعة فى المجالات السياسية والصحفية عن الحقوق المدنية والسياسية للسود فى الولايات المتحدة- المترجم.

فضح العدوان الإيطالى وإطالة خطوط إمداد قواته. وفى يوم ٧ أكتوبر أعلنت عصبة الأمم بالإجماع اعتبار إيطاليا معتدية، غير أنها فشلت فى إتباع هذا القرار بأى إجراء عملى ذى معنى. وبدا الاتجاه العام للأوروبيين فى صف إثيوبيا. وأصبح الإمبراطور هيلا سيلاسى تجسيدًا للوطنية الأفريقية فى القارة وفى العالم الأسود، ورمزًا للإنسانية الليبرالية بين الحربين العالميتين، وللمخاوف الدولية المتزايدة من اختلال موازين القوى فى أوروبا وبقية العالم. وعلى أى حال فقد تعاظم الشعور بصراع يلوح فى الأفق حول الهيمنة عالميًا.

كانت الأحداث السابقة ذات أهمية كبيرة فى الإنذار باقتراب الحرب العالمية الثانية، لأنها أظهرت ضعف أوروبا وعدم رغبة عصبة الأمم فى التصدى الجاد لخطر الفاشية المتصاعد. وفى إثيوبيا حدثت بعض الانشقاقات داخل الجيش الوطنى، خصوصًا فى أطراف الإمبراطورية مثل تيجراى وأورومو. غير أن الأمراء ورعاياهم فى سائر أنحاء القطر لم ينتظروا إعلان الإمبراطور للحرب رسميًا، فقد كان هناك إجماع على ضرورة أن يهب المواطنون للدفاع عن وحدة التراب الوطنى ومجد حضارتهم القديمة. وعندما شرع جيش موسولينى فى غزو الأراضى الإثيوبية، بدأت إثيوبيا تعبئة جيوشها بدق النيجاريت negarit (طبول حرب منليك) فى القصر الملكى بأديس أبابا.

وعلى الرغم من المقاومة الكبيرة التى أبدتها الجيوش الإثيوبية فى مواجهة الغزو، فقد كان السبب الأساسى للنجاح الإيطالى هو تفوق التكنولوجيا العسكرية. فمعظم القوات الإثيوبية كانت مسلحة بالسيوف والدروع والبنادق العتيقة، ولم يكن من الممكن مقارنة تسليحها بما لدى الإيطاليين من مدافع ثقيلة ودبابات وطائرات. كما حصل الإيطاليون على دعم عددى من قوات "العسكريين" **Askaris** وهى قوات شكلها الاستعمار من أفارقة مجندين، ومن إريتريا خاصة. واستخدم الجيش الإيطالى الغازات السامة ليس فقط ضد الجنود الإثيوبيين، وإنما ضد المدنيين أيضًا بمن فيهم النساء والأطفال.

المقاومة الإثيوبية الأولية :

يرى بعض المؤرخين أن السنوات الخمس للاحتلال الإيطالى كانت العلامة التى لم تُقدَّر وقتها على بداية الحرب العالمية الثانية. وهم يسجلون بهذا أيضًا نقص الاعتراف

بمساهمة أفريقيا فى النجاحات العسكرية والسياسية التى تحققت فى هذه الحرب. وقد عُنِى أولئك- على وجه الخصوص- بجرائم الحرب التى ارتُكبت بحق الوطنيين الأفارقة الذين ضحى الكثيرون منهم بأرواحهم ضمن القوات الإثيوبية وقوات الحلفاء التى قاومت وانتصرت فى النهاية على الأيديولوجية الفاشية وعدوانها العسكرى.

وكجزء من مسعى إثيوبيا لبعث "الاهتمام الوطني" والمقاومة ضد الغزو الاستعمارى، بذلت الجهود الضاغطة على حكام المقاطعات rases المتمردين لإدماجهم فى خدمة الدولة. وقد كان للكثيرين من القائمين بالإدارة مظالم حقيقية ضد الدولة، ومن ثم لم يكن من الممكن الاعتماد عليهم دائمًا. فقد تعرض بعض القادة السياسيين فى المناطق التابعة مثل راس هايلو تاكلى هيمانوت Ras Hailu Tekle Haimanot أمير جوجّام للإذلال والسجن بأوامر من الإمبراطور سيلاسى، كما تم تحييد والحد من سلطات آخرين. ولكن بمجرد تحرير راس هيمانوت اختار أن يتعاون مع الغزاة الإيطاليين.

غير أن سجينًا سابقًا آخر هو ديجزماتش بالشا Deajazmatch Balcha اتخذ طريقًا آخر حيث برز فيما بعد كأحد زعماء حركات المقاومة الإثيوبية. فقد لجأ هذا النبيل الأورومى فى الدفاع عن إثيوبيا إلى استخدام الحيل التقليدية لحرب العصابات كجزء من التمرد على الاحتلال الإيطالى. وتسجل رواية شعبية للمقاومة كيف انتهت حياة بالشا فى أرض المعركة. وكانت حيلته الحربية الأخيرة عندما افتقر إلى الإمدادات، أن حمل رسالة استسلام إلى القائد الإيطالى المحلى فى هرر. وجلس متدثرًا بشاله تحت شجرة، وأومأ للقائد وحرسه، وعندما اقتربوا منه، أطلق صرخة مدوية "منليك هو سيدي" وسحب سلاحه لينجح فى قتل كل الضباط الإيطاليين قبل أن يقتله الجنود المصاحبون.

وكان من صور المقاومة أيضًا أن استعان الإثيوبيون عبارة الكتاب المقدس التى شاعت فى عهد الإمبراطور منليك "كوش تسرع بيديها إلى الله". ولم يشكل هذا الاستدعاء الروحى أساسًا فقط لرفض إثيوبيا عرض "الحماية" الإيطالى قبل الانتصار على الغزاة فى الحرب الإيطالية- الإثيوبية الأولى عام ١٨٩٠، وإنما أصبحت تعبيرًا أيضًا عن النصر العسكرى والسياسى الدنيوي.

وأثناء سنوات الحرب تزايد نشاط الإمبراطور سيلاسى دفاعًا عن أرضه، فانضم إلى القوات على الجبهة، بل وأدار بنفسه قيادة المدافع المضادة للطائرات فى معركة مايتشو. كما قام برحلات عديدة للصلاة فى كنيسة لاليبلا دون مصاحبة حاشيته وفرسان الحماية الملكيين. كما انشغل ممثلوه الدبلوماسيون بحشد التأييد الدبلوماسى الدولى للحصول على واردات السلاح، والتعاون فى مواجهة العدوان الإيطالى. وعلى الرغم من الأعمال الجسورة للقوات الإثيوبية، فإنها اضطرت للتراجع على الجبهة الشمالية وطول الطريق إلى هاريرجى. ومع هذا التطور نُصِح الإمبراطور سيلاسى والعائلة الملكية بالهرب إلى القدس.

وبقدوم مارس ١٩٣٦ كان الاهتمام الأوروبى واهتمام المحافل الدبلوماسة الدولية الأخرى قد تحول بعيدًا عن أفريقيا مع تحرك جيش هتلر إلى إقليم نهر الراين، وهكذا لاح خطر امتداد الحرب إلى ما هو أبعد من القرن الأفريقى. وفى مايو ١٩٣٦ فرت الأسرة الملكية الإثيوبية قبل احتلال العاصمة أديس أبابا بأيام قليلة. وأثناء إقامة الإمبراطور فى القدس أعد عرضًا للقضية الإثيوبية أمام عصبة الأمم. وبالفعل فى يونيو ١٩٣٦ كان هيلا سيلاسى يخطب فى جنيف، سويسرا، خطبة وصفتها مجلة تايم بواحدة من أنبل الخطابات وأكثرها تعبيرًا عن الحقيقة ولا يمكن دحضها أمام عصبة الأمم. وبالرغم من صيحات الاستهجان واللعنات التى أطلقتها مجموعة الصحفيين الإيطاليين والتى استمرت أكثر من عشر دقائق، فإن خطبة سيلاسى المعنونة "نداء إلى عصبة الأمم" قد وفرت للمنابر المختلفة المعادية للإمبريالية والاستعمار لائحة الاتهام الأكثر فصاحة للرطانة الحداثية عن الأمن الجماعى والأخلاق الدولية. وقد منحت مجلة تايم فيما بعد لقب "رجل العام" لسيلاسى الذى أصبح أيقونة للحركات المناهضة للفاشية فى مختلف أرجاء العالم.

كما أن إلقاء الإمبراطور لخطابه باللغة الأمهرية، بالمخالفة "للغات الدبلوماسية" التقليدية، قد وضع إثيوبيا وأفريقيا فى السجل العالمى للعلاقات السياسية والدولية. وكان من بين المسائل التى أثارها الإمبراطور فى خطابه تنبؤه بأن الفاشية سوف تنقلب على بقية أوروبا إذا تُركت دون محاسبة. أما العبارة التى أنهى بها خطابه.. "نحن اليوم. وأنتم غدا" بأنها كانت النقش الأخير على نعش عصبة الأمم المصابة بالعجز. ومع ذلك فإن مناشدة إثيوبيا بمنحها قرضًا للتكفل بنفقات الحرب لم تلق أذنا صاغية فى المؤتمر، حيث بدت القوى العالمية الكبرى مهمومة أكثر بمتاعبها الخاصة.

حققت إثيوبيا نصرًا أخلاقيًا، ونالت الدعم من الحركات التقدمية عابرة القوميات، خاصة المنظمات السياسية للشتات الأفريقى. وقد مهدت الحرب الإثيوبية- الإيطالية الأرض لإعادة اصطفاف القوى السياسية المحلية والدولية فى إثيوبيا وأفريقيا وأوروبا والكاريبى والأمريكتين. ففى الولايات المتحدة مثلاً عبر آلاف الأمريكيين السود عن رغبتهم فى القتال من أجل إثيوبيا، وذلك فى سياق دفعة حديثة لروح الوحدة الأفريقية، لكن وزارة الخارجية الأمريكية رفضت أن تصدر لهم جوازات سفر. بينما على الجانب الآخر، تجمع مئات الأمريكيين من أصل إيطالى، بمن فيهم عمدة نيويورك لاجوارديا **La Guardia** وشكلوا قوات من المتطوعين لصالح إيطاليا، وحصل الكثيرون منهم على تصاريح بالسفر والقتال من أجل إيطاليا. بيد أنه يجب ذكر أن بعض الأمريكيين من أصل إيطالى قد شاركوا أيضًا فى إلقاء الضوء على القضية الإثيوبية. وقادهم زعماء سياسيون مثل هارى مورير **Harry A. Maurer** لتقديم مذكرة احتجاج على سياسة النظام الفاشى إلى وزارة الخارجية والسفير الإيطالى فى واشنطن. وزعم بعض المعلقين أنه بعد عامين فقط من فورة الحماس لموسولينى إثر غزو الدوتشى لإثيوبيا وتدشين الإمبراطورية الإيطالية فى شرق أفريقيا عام ١٩٣٦ بدأ الأمريكيون من أصل إيطالى ينأون بأنفسهم عن النظام الفاشى، خاصة بعد إصدار التشريع العنصرى المعادى للسامية.

غير أن المعارضة المنهجية للاهتمام بالقضية الإثيوبية نشأت فى الولايات المتحدة من جانب مكتب التحقيقات الفيدرالى الذى شعر بالقلق من أن يتسبب تلاقى الحركات المعادية للفاشية والعنصرية فى تهديد النظامين الاجتماعى والسياسى المحلين. فنشط المكتب فى مراقبة راغبى التطوع فى إثيوبيا وسط جماعات الأمريكيين من أصل أفريقى، لكن ما كان لهذه الممارسة أن توقف المد المتصاعد لذلك المشروع السياسى والفكرى المناصر لإثيوبيا. كما قادت أزمة القرن الأفريقى منظمات الحقوق المدنية، مثل الاتحاد الوطنى للارتقاء بالملونين، إلى دعم القضية الإثيوبية. واضطلعت مطبوعته الرسمية كرايسيز (الأزمة) بالتثقيف المنتظم للمجتمع والرأى العام بالأحداث فى إثيوبيا وبقية أفريقيا المستعمرة. كما استكشفت منظمة أمريكية- أفريقية أخرى إمكانية تدبير قروض مالية لإثيوبيا بمساعدة وزارة الخارجية الأمريكية، لكنها لم تلق سوى القليل من التشجيع.

وفى نيويورك اجتمعت منظمات فى هارلم، من بينها: الاتحاد العالمى لتحسين أحوال الزنوج UNIA، اتحاد المسيحيين الشباب YMCA، الإيلكس[1]، ورابطة النضال من أجل حقوق الزنوج.. تحت مظلة "اللجنة المؤقتة للدفاع عن إثيوبيا". وكان من أبرز الخطباء فى التجمعات المناصرة لإثيوبيا: آدم كلايتون باول Adam Clayton Powell أسقف الكنيسة المعمدانية الحبشية، جويل إيه روجرز Joel A. Rogers الصحفى البارز، المؤرخ ويليس هاجنس Willis Huggins، وإيه إل كنج A. L. King من الاتحاد العالمى لتحسين أحوال الزنوج، وجيمس دبليو فورد James W. Ford من الحزب الشيوعى الأمريكي.

وفى العام ١٩٣٥ أرسلت الرابطة الأمريكية المناهضة للحرب والفاشية، واللجنة المؤقتة للدفاع عن إثيوبيا، ويليس هاجنس إلى جنيف للتقدم بالتماس إلى عصبة الأمم. وبالفعل اجتمع الأخير بدبلوماسيين إثيوبيين، مثل أزاج وركنيه مارتن Azaj Workneh Martin الموفد إلى بلاط سانت جيمس (القصر الملكى البريطاني) وتيكلى هواريات Tecle-Hawariate الموفد إلى فرنسا وعصبة الأمم. وفى لندن قام لاديبو سولانكى Ladipo Solanke زعيم اتحاد طلاب غرب أفريقيا بتنظيم فعاليات عامة احتجاجًا على غزو إثيوبيا.

ونتيجة لعدم الرضا العام وسط الشتات الأفريقى من المنظورات السائدة لتاريخ وحضارة إثيوبيا فى سياق الغزو الإيطالى، تشجعت صحيفة بتسبورج كورير البارزة وسط الأمريكيين من أصل أفريقى على إرسال الصحفى جويل روجرز لتغطية أحداث الحرب. وفى أكتوبر ١٩٣٥ انطلق روجرز فى مهمته على ظهر السفينة إس إس نورماندى ليكون أول مراسل حربى أسود فى التاريخ الحديث. ونشر روجرز كراسة شعبية بعنوان "الحقائق الواقعية عن إثيوبيا". كما كان المؤرخ الأمريكى الأسود وليام ليو هانسبرى William Leo Hansberry قد ساعد فى إنشاء مجلس البحوث الإثيوبية عام ١٩٣٤ بهدف حث المقاومة الأمريكية للطليان فى إثيوبيا، ونشر المعرفة بتاريخ إثيوبيا.

وفى سياق مماثل تأسس المجلس الدولى لأصدقاء إثيوبيا بهدف تعبئة "الدعم الأسود". كما أدت جمعية بلايدن (المسماة على اسم إدوارد ويلموت بلايدن Edward

---

(١) Elks منظمة خيرية أنشئت فى نيويورك عام 1868 على أيدى 15 فنانًا مسرحيا ثم اتسعت بعد ذلك لتضم قطاعات عريضة. ويبلغ عدد أعضائها اليوم نحو المليون- المترجم.

Wilmot Blyden والتى عُرفت سابقًا بنادى تاريخ هارلم) دورًا بارزًا كجماعة مؤيدة لإثيوبيا. وكان من قادة الحركة المتنفذين جون جيه جاكسون John G. Jackson الذى ألف عام ١٩٣٩ "إثيوبيا وأصل الحضارة". وكان من أنشطة الشتات الأخرى المؤيدة لإثيوبيا فى الولايات المتحدة: المؤتمر القومى للزنوج ومجلس الشئون الأفريقية بقيادة الدكتور ماكس يرجان Max Yergan.

وقد اتسمت الثلاثينيات والأربعينيات بنزعة أممية ورفاقية بين الشعوب المستعمَرة فى أنحاء الكوكب. كما شهدت تعبئة تضامن الشتات الأفريقى على أساس ما وصفه المؤرخ بينى فون إيشن Penny Von Eschen ببناء "هوية العواطف" التاريخية والاجتماعية. فقد كوَّن الأشخاص والاتحادات السابقة مجتمعًا متخيَّلاً يشمل كل المنحدرين من أصل أفريقى. وقام مهندسو سياسة الشتات الأفريقى هؤلاء بإعادة تشكيل لغة وأيديولوجيات الثلاثينيات، وبنوا سياسة الشتات الأفريقى. وقد استفادوا فى هذا من الإثراء المتبادل القوى مع الأممية الاشتراكية وتصاعد نضالات شعوب المستعمرات من أجل الاستقلال. وهو ما تم الارتكاز عليه فى مواجهة الغزو الإيطالى لإثيوبيا.

المقاومة الإثيوبية للاحتلال الإيطالى :

على الرغم من تصاعد الغضب الدولى من الممارسات الإيطالية، استطاع الإيطاليون تشديد قبضتهم على إثيوبيا، وهى العملية التى بدأت باحتلال العاصمة أديس أبابا. وفى الأيام الأولى من يونيو ١٩٣٦ أصدرت روما دستورًا ألحق الإمبراطورية الإثيوبية بمستعمراتها السابقة فى إريتريا والصومال لتكوين "شرق أفريقيا الإيطالي" أو AOI اختصارًا. ومن ثم تم تقسيم هذا الكيان إلى ست مقاطعات من بينها: "إريتريا" التى تكونت من معظم تيجراى ومركزها أديس أبابا، "جالا- سيدامو" ومركزها جيما، "هرر" ونقطتها المحورية مدينة هرر ذاتها، "صوماليا" التى طوقت الكثير من مقاطعة هرر الإثيوبية. وتم توسيع نطاق إريتريا ليشمل مقاطعة تيجراى شمال إثيوبيا، وأدمِجت منطقة أوجادين فى الصومال الإيطالى. وأديرت المقاطعات من أديس أبابا، المقر الرئيسى لنائب الملك.

أعلنت إيطاليا فى ١٩٣٦ أنه قد تم تطويع البلد كله ووضعه تحت السيطرة الفاعلة للسلطات الاستعمارية. إلا أن الواقع كان أكثر تعقيدًا. فقد كان الإيطاليون مقيدين بالبقاء فى حامياتهم أو البلدات الرئيسية. وإلى جانب إعادة التشكيل الجغرافى- السياسى لإثيوبيا، أنشئت وحدات إدارية استعمارية لتحل محل إدارة المقاطعات الإمبراطورية. وكان من النتائج الطبيعية للاحتلال والإدارة العسكرية أن يقدِم الجيش الإيطالى والمسئولون وأعضاء الحزب الفاشى على استخدام القوة الوحشية لإخضاع المجتمعات المحلية. وبمشاركة خمسة أجهزة شرطية مختلفة (الكارابينيرى **carabinieri** (الدرك)، الشرطة الاستعمارية، الشرطة العسكرية، ذوو القمصان السوداء، والشرطة السرية للحزب الفاشى **OVRA**) جرت عمليات العقاب الوحشى والإعدام الفورى بحق الأفراد والجماعات المنخرطين فى أنشطة معادية للمستعمر.

وقد شددت الإدارة الإيطالية على تفوق الجنس الأبيض خاصة الإيطاليين، على المجتمعات المحلية التى تم حصارها فعليًا على أساس سياسة عامة حصرتهم فى أدنى مستويات المكانة أو التوظيف العام. كما فرضت إيطاليا سيطرتها على الاقتصاد الإثيوبى بما فيه الاستيلاء على احتياطيات وإنتاج الدولة من الذهب. وعلى الرغم من الجهود العسكرية والسياسية المبذولة، بدأ الإيطاليون يتساءلون عن التكاليف البشرية والمادية لمحاربة المقاومة الإثيوبية. كما كان هناك غضب دولى متنامٍ من ارتكاب الإيطاليين لبعض أبشع أشكال الاستغلال فى القرن ٢٠.

مع ذلك انخرط الحكام الإيطاليون فى بعض صور التنمية الرأسمالية مثل التوسع فى الزراعة التجارية وإدخال التحسينات على الخدمات العامة مثل تشييد الطرق والجسور والمستشفيات والمدارس. ولكن هذه المشروعات ومساعدة جماعات المستوطنين الإيطاليين فى مبادرات تنموية لم تتمكن من التغطية على الغرض الأساسى للوجود الإيطالى فى إثيوبيا: "مكان تحت الشمس" لإيطاليا- أى موقع استراتيجى للقيام بمغامرات توسعية مستقبلاً، والأمل فى استغلال الموارد الطبيعية المتاحة.

وبالإضافة إلى تكلفة الاستعمار السكانى واجه الإيطاليون عثرات وصعوبات فى خلق مناطق استيطان موحدة متجاورة. فقد كان معظم المستوطنات الاستعمارية منعزلاً فى جيوب ما أوقع تكاليف إضافية على الحكومة فى روما. كما افتقر المستوطنون

للعمالة الكثيرة التى يحتاجونها بسبب إجبار عدد كبير منهم على الاستيطان فى مناطق خطرة وغير صحية بالنسبة لهم. وحسبما يقول المؤرخ هايلى لاريبو **Haile Larebo**: لم تكن وزارة المستعمرات الإيطالية مستعدة للتعامل مع الضغوط الصادرة من الإيطاليين العاطلين الباحثين عن العمل والأرض فى إثيوبيا، ولا مؤهلة للتعامل مع الجنود المسرحين ولوبى رجال الأعمال القوى الذى أمل فى توسيع مشروعه التجارى بإثيوبيا.

استمرت المقاومة النشطة من جانب الإثيوبيين الثائرين، وبعد محاولة اغتيال فاشلة ضد الحاكم الإيطالى جرازيانى **Graziani** فى فبراير ١٩٣٧، أطلقت قوات الاحتلال حملة إرهاب على المجتمعات المحلية استمرت ثلاثة أيام. وتم الإعدام الفورى لقرابة ٣٠ ألف إثيوبى، بمن فيهم تقريبًا نصف من تلقوا التعليم بالخارج فى إطار مشروع التحديث الإثيوبى. وقد تأكد فيما بعد أن الزعيم الإيطالى بنيتو موسولينى كان قد نبّه فى المرحلة الأولى من الغزو إلى الحاجة لتصفية الشباب الإثيوبى المتعلم فى الغرب للقضاء على إمكانية تبلور مشروع فكرى وسياسى منظم ضد السيطرة الإيطالية.

كما عانت الكنيسة المسيحية فى إثيوبيا من الاضطهاد الفاشى، حيث أُعدم على الفور الكثير من الرهبان الوطنيين الذين قاوموا الوجود الإيطالى. وتمت تسوية كنائس بالأرض وأعدم شمامسة وقساوسة وأساقفة، ومنهم الأب (الأسقف) بيتروس **Abune Petros** والأب ميكايل **Abune Mikael**، بتهمة تشجيع الوطنيين الذين خططوا لاستعادة أديس أبابا من قوات الاحتلال. وبعد اكتشاف مخزن سلاح للمقاومة فى دير ديبرا ليبانوس بشيوان، بادرت القوات الإيطالية على الفور بتصفية ٣٥٠ راهبًا، وتم التخلص من جثثهم فى وادٍ ضيق قريب. وبعد ذلك عينت سلطة الاحتلال أسقفًا جديدًا للكنيسة المسيحية الأرثوذكسية لتكسر بذلك تقليدًا عمره قرون للتنسيق الروحى بين إثيوبيا والكنيسة القبطية المصرية.

وكان من أشهر وطنيى المقاومة الإثيوبية رجل من إريتريا عمره ٢١ عامًا ويدعى زيراى **Zerai**، وقد أُرسِل إلى روما ليقدم بعض رموز الاستسلام الإثيوبي- بما فيها سيف- فى احتفال عام شهده الزعيم الفاشى بنيتو موسولينى وملك إيطاليا. ولما كان الشاب غير واعٍ بأهمية المناسبة، فقد أدى بصعوبة دور ممثل الشعب الخاضع، وركع للصلاة وشعر بالحنق لما رأى شعار أسد يهوذا الذهبى الذى نزعه الإيطاليون من محطة السكك الحديدية بأديس أبابا. وقد حاول البوليس الإيطالى تقييده لكنه قتل بالسيف خمسة

ضباط فاشيين. وأصيب بالرصاص ليموت بإصابته بعد ذلك، لكن تم تخليد ذكراه بعد انتهاء الحرب كأيقونة للمقاومة الوطنية. وأطلق اسمه على السفية الحربية الأولى فى الأسطول الإمبراطوري.

ومن القصص الشعبية الأخرى للمقاومة الحربية ضد الإيطاليين فى شيوا، قصة دزجماتش فكرى ماريام **Dejazmatch Fikre Mariam** وجيما سيمبيتى **Gimma Sembete**. وعلى الرغم من أن الرجلين قُتِلا فى معركة، فإنه لم يُعثر على جثمان ماريم قط، ما أدى لانتشار القصة الشعبية بأن خوف الجنرال على معنويات جنوده وأنصاره دفعه وهو المصاب بجرح مميت لأن يزحف إلى كهف أو شق جبلى ليدفن نفسه.

ومن بطلات الجبهة الوطنية ويزيرو بالينش، لاكيتش ديميسو، وزيرو أياليش، كونجيت أبينت، ويزيرو ليكيلش بيان، ويزيرو أبيدتش تشيركوسى، ليك بيلش بيين، أبيتش تشيركوسى، كليمورك تيرونه، وكبيدتش سيوم. وربما كان الإنجاز الأشهر لهذه المجموعة هو لشواراجاد جيدلى **Shawaragad Gedle** التى منحت كل ما تملك- وقبل الانضمام للوطنيين- للصليب الأحمر الدولى العامل فى إثيوبيا. وقد قادتها مقاومة الاحتلال للجلد العلنى والسجن عدة مرات، وأشرفت على الموت المحقق فى معارك إقليم ديربا بيرهان. جدير بالذكر أن شواراجاد قد فقد ابنها فى حملة قمع إيطالية. وقد لقيت حتفها أخيرًا فى الاضطرابات التى أعقبت انتهاء الاحتلال.

على الرغم من القمع الإيطالى الشديد استمرت المقاومة الإثيوبية، بدعم من الكنيسة التى قدمت الإلهام الروحى والمظلة التوحيدية. وفى محاولة من الإيطاليين لمواجهة دور الكنيسة بادروا بالتظاهر بتفضيل المسلمين على أمل أن يخلقوا بديلاً أيديولوجيًا وتوسيع الشقاق فى السياسة الإثيوبية. وقد لوحظت هذه السياسة بشكل خاص مع إنشاء المستعمر مدارس عليا للدراسات الإسلامية فى هرر وجيما.

وهكذا رافق الغزو والاحتلال الإيطالى ارتكاب عدد هائل من الفظائع بما فيها الإعدامات الفورية للأسرى دونما محاكمة، وتصفية رجال الدين الأرثوذكس وكذلك زعماء غير مسيحيين وُصموا بأنهم "أطباء سحرة". وأرسلت حملات عقابية إلى مختلف المناطق مثل أنكوبير، وتم تفريغ مساحات واسعة من سكانها. وبعد محاولة اغتيال جرازيانى عاث

الفاشيون أصحاب القمصان السود فى أديس أبابا والبلدات المحيطة والكثير من الأبنية التاريخية، بما فى ذلك تدمير كاتدرائية سان جورج التى بنيت فى عهد منليك الثاني.

وأُعدِم نحو ٣٠٠ من الشباب الإثيوبى الذى أرسله سيلاسى للتعلم فى الخارج وليكونوا جيلاً جديدًا من الإنتلجنسيا. ويرى البعض أن اختفاء هذا الجيل قد ترك ثغرة فى التاريخين الفكرى والسياسى الإثيوبى. ويتساءل المؤرخون عما كان من الممكن أن يسديه هذا الجيل الضائع فى حل بعض تناقضات مشروع الحداثة بإثيوبيا. فقد كان الصدام على أشده فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بين الجيل الأكبر المتعجرف ذى النفوذ وبين الجيل الثورى. وقدّر بعض المصادر عدد المدنيين الإثيوبيين الذين لقوا حتفهم جراء الحملات القمعية الإيطالية بنحو ربع مليون شخص، لكن التقديرات بعد انتهاء الحرب كانت أكبر بكثير.

مشروعات التحديث الفاشية

فعل الإيطاليون الكثير خلال سنوات الاحتلال الخمس لتفكيك المؤسسات الوطنية الإثيوبية، وأحلوا محلها سلطات استعمارية اعتُبِرت بدائل أكثر حداثة. وفى الحقيقة أنها كانت أكثر ملاءمة لاستغلال ثروات البلد وإمكاناته الاقتصادية. وكان من أهداف موسولينى الأساسية هو توطين قسم من الطبقة المتوسطة وقطاع كبير من الطبقة الفلاحية الإيطالية، اعتقادًا أن هؤلاء يمكن أن يساعدوا فى استغلال قطاع الثروات المعدنية فى إثيوبيا، وتحويل القطاع الزراعى إلى سلة غلال لإيطاليا. كما انتقصت الإدارة الإيطالية من سلطة النخب التقليدية، وأنهت العمل الجبرى **gabber** للفلاحين المرتبط بالنظام المحلى لحيازة الأرض، كما ضخت كميات هائلة من رأس المال مع تطوير البنية التحتية للاقتصاد الإثيوبى المتخلف.

وعلى الرغم من كل تلك الجهود أصبح واضحًا فى نوفمبر ١٩٣٧ فشل سياسة الاحتلال. وكان الفساد وسط الرتب البيروقراطية من مثالب الإدارة الاستعمارية. فقد افتضح أمر الجنرال بادوجليو **Badoglio** باختلاس قرابة نصف مبلغ المليون وسبعمائة ألف تالر ماريا تريزا (عملة إثيوبية) الذى صودر من بنك إثيوبيا فور وقوع هزيمة إثيوبيا.

ونتيجة لما سبق ذكره من قصور، تم استدعاء الحاكم الإيطالى المارشال جرازيانى إلى روما، وبدأ إعمال سياسات جديدة، فأغلق العديد من معسكرات الاعتقال التى امتلأت بالإثيوبيين. وكجزء من النظام الجديد تم وضع برنامج جديد للتنمية الاقتصادية فى وزارات الصناعة والتجارة والزراعة. وكان من المتوقع مشاركة عائلات المستوطنين الإيطاليين فى تحقيق هدف التوسع فى إنتاج المحاصيل النقدية للتصدير. وأنشئت معاصر الزيوت والمطاحن وورش الأخشاب ومصانع النسيج والأسمنت كجزء من تجهيزات المشروع الإيطالى للحداثة الاستعمارية.

وكان من المنح الاستعمارية الحديثة الأخرى إنشاء طرق جديدة ممهدة، استيراد السيارات والشاحنات الإيطالية، وانتشار مهارات جديدة ذات صلة بصيانة وخدمات النقل فى البلاد. كما حمل المشهد المعمارى الإثيوبى بصمة الحضور الإيطالى فى أماكن مثل: هرر، جيمّا، جوندار، وأديس أبابا. وساعدت وزارة المستعمرات الإيطالية فى بناء المساكن منخفضة التكاليف فى بعض المدن الرئيسية والعاصمة أديس أبابا التى حصلت أيضًا وللمرة الأولى على إمداد كبير من التيار الكهربى فى الحضر. وعلى الرغم من وجود صور عديدة من الاتصال المهنى والشخصى بين الإيطاليين والمواطنين الإثيوبيين، فإن سياسة الفصل العنصرى فرضت الفصل فى المنشآت العامة، وحظرت الزواج البيني.

وقد أثبت المشروع الاستعمارى الإيطالى أنه كان مغاليًا فى الطموح. فخطة إعادة التوطين الزراعى لم تنتج فى النهاية العائد الكافى، واضطرت الإدارة إلى استيراد الحبوب. وقد تطلب غزو واحتلال إثيوبيا تخصيص ما يقرب من نصف مليون جندى، قُتِل منهم ١٥ ألفًا وجُرِح ٢٠٠ ألف. وبنهاية الاحتلال قدر المسئولون الإثيوبيون أن بلدهم قد فقد ٧٦٠ ألفًا من مواطنيه فى فترة الاحتلال.

من جانبهم استمر كثيرون من الحرس القديم للسياسة الإثيوبية الوطنية فى مقاومة السيطرة الاستعمارية فى قلب الإمبراطورية. وقد ظل راستا ديستا دامتيو **Rasta Desta Damtew** فى سيدامو، بوجورنود فيكرى سيلاسى **Bejorond Fikre Selassie** فى أروسى، ودجزماتش بيينا مريد **Dejazmatch Beyenna Merid** فى بالى، مسيطرين على مقاطعاتهم لوقت طويل. كما انتظمت جماعات المقاتلين الوطنيين تحت قيادة شخصيات مثل بالامباراس أبيبى أريجاى **Balambaras Abebe Aregai** وجيما سيمبيتى **Gimma**

Sembete فى جالا، فيتورارى بيدى Fitwrary Baide فى هرر، وبلاتّا تاكيلى Blatta Takele فى ساباتا.

بيد أن معارضة المثقفين الأكثر تنظيمًا للاحتلال الإيطالى جاءت من جماعة وطنية تسمى منظمة الأسد الأسود. وكانت القيادة السياسية والعسكرية فيها من النخبة المتعلمة، ولم يكتفِ الكثيرون منهم بالتعبير عن السخط على عدم الحصول على الضروريات المادية الحديثة فى إثيوبيا، وإنما سعوا أيضًا لإصلاح البنية التحتية الدفاعية للدولة. وتحت قيادة الطبيب البيطرى الدكتور ألاماوارق بيّانا Alamawarq Bayyana، ومجموعة أخرى من ذوى الثقافة الإنجليزية: فاقادا- سيلاسى هيروي Faqada-Sellase Heruy، وبنيام ويوسف وارقيناه Benyam and Yosef Warqenah ابنى الوزير الإثيوبى المفوض فى لندن، صاغت منظمة الأسد الأسود مانيفستو من عشر نقاط للمقاومة الوطنية وتجديد المجتمع. وتضمن دستور "الأسد الأسود": التأكيد على سيادة القيادة السياسية على العسكرية، المعاملة الإنسانية للسجناء وعدم التحرش بالفلاحين، حظر النفى، وتفضيل الانتحار على الوقوع فى أسر العدو.

وقد أبلغ الأعضاء نائب الإمبراطور المحاصر راس إمرو Ras Imru بالحاجة إلى تبنى مفهوم أكثر حداثة وديمقراطية للتنظيم والقيادة، وأناطوا به الدور القيادى فى إنجاز هذه المهمة. إلا أن إمرو اضطر للاستسلام للإيطاليين فى ديسمبر ١٩٣٦، وظل فى الأسر حتى قضى. وفيما بعد اضطلع بالقيادة العسكرية وسط "الأسُود السود" كل من كيفلى نسيبو Kefle Nasibu وبالاى هايلا- أب Balay Hayla-Ab. وقد تم تجنيدهما مع الكثيرين من تلاميذ مدرسة تافارى ماكونين ليصبحا طالبين فى كلية هولاتا الحربية. وعلى الرغم من البرنامج الطموح للجناحين السياسى والعسكرى للمنظمة فإنهما لم يحققا إلا نجاحًا محدودًا. ومع ذلك فقد تركا بصمةً واضحة على المجالين العملى والنظرى للمقاومة الإثيوبية ضد الفاشية الإيطالية. وقد أُلقِىَ القبض على كثيرين من قادة المنظمة مثل هابتا- والد Habta-Wald، فاقدا- سيلاسى Faqada-Selassie، بنيام، يوسف، كيلفى، وبالاى، وأعدموا على وجه السرعة فى أعقاب محاولة اغتيال نائب ملك إيطاليا فى إثيوبيا المارشال رودلفو جرازيانى.

وعلى الرغم من الخسائر الثقيلة التى عاناها الوطن فإن بعض النخب الإثيوبية، مثل أفوارق جبرا- ياسوس **Afawarq Gabra-Iyyasus** الممثل الثقافى والدبلوماسى فى روما، وقفوا إلى جانب الفاشية وبالغوا فى الترويج للاحتلال الإيطالى، خاصة فى مجال الإنتاج الزراعى والمبادرات الدبلوماسية. كما قام نبلاء آخرون، ومنهم بلاتا والدا- جيورجس **Blatta Walda- Giyorgis** ووالدا- يوحنس **Walda-Yohannes**، بإعلان ولائهم للإيطاليين. ومن الذين قدموا خدمات للإدارة الإيطالية: تاكلا- مرقس والدا-جبريل **Takla-MarqosWalda-Gabrel** السكرتير السابق للإمبراطور، بلاتن جيتا والدا- ماريام **Blatten Geta Walda-Maryam** وبرهانا مرقس **Berhana Marqos** الدبلوماسيان السابقان، وبالاتا أيالا جبرى **Blatta Ayyala Gabre** وبالاتشاو جماناه **Balachaw Jamanah** وهما من النبلاء البيروقراطيين فى الدولة.

ووصفت إحدى مدارس الفكر هؤلاء المنشقين بالانتهازيين الذين قبلوا النفاق الإيطالى عن الرسالة التمدينية فى إثيوبيا، وذلك لتحقيق أغراضهم الشخصية فى الحراك لأعلى. بينما يرى آخرون أن أولئك الأفراد قد انخدعوا بالقشرة التقدمية للأيديولوجية الفاشية، وأنهم بمجرد إدراك المهمة الحقيقية للسلطات الاستعمارية بدوا فى النهاية شخصيات مأساوية ومتناقضة، دفعهم الإحباط من التقدم وإصلاحات التحديث إلى التراجع التدريجى عن الخطأ وطريق الخيانة.

وقد واصل معظم الوطنيين والموالين للأسرة الإمبراطورية مقاومة فكرة الاحتلال البريطانى الدائم. وقد نتج عن حرب العصابات المستمرة، والتى اشترك فيها قرابة ٣٠٠ ألف مقاتل، أن اضطرت قوات الاحتلال إلى التراجع للثكنات الحصينة. وكذلك انكب الروائيون والشعراء والمسرحيون الإثيوبيون على تناول تجربة بلدهم مع الاحتلال الفاشى، ومنهم يذكر جيرماتشو تيكلا- هواريات **Germachew Tekla-Hawaryat**، أتو ولدي- جيورجس ولدي- يوحنس **Ato Welde-Giyorgis Welde-Yohannes**، سنيدو جبرو **Senedu Gebru**، وأصيفا جيبري- ماريام **Aseffa Gebre- Mariam**. وقد وفر هؤلاء البعد المكتوب للتقاليد والأغانى الشعبية الشفاهية للمقاومة الإثيوبية. كما نشر رئيس الوزراء بيتودد ميكونن إندلكاتشو **Bitwodded Mekonnen Endalkatchew** رواية تتناول بشكل خاص الحوادث التاريخية المحيطة بالغزو والاحتلال.

وعلى الرغم من أن الطبقة العسكرية والسياسية التقليدية فى إثيوبيا كانت أقل نجاحًا فى المعارك الرئيسية فى تيمبين وميتشيو، فإن جماعة جديدة برزت قرب نهاية الحرب. وقد تكونت من البلابات **balabat** أو العاملين الإداريين الوطنيين الآتين من المناطق الريفية المحيطة. كما تضمنت الجماعة العديد من النبلاء. وبرزت أيضًا جماعة أخرى تحركها الرغبة فى تفكيك وإصلاح ما اعتبرته دليلاً على رجعية النظام السياسى الإثيوبى. وقد تكونت الجماعة الأخيرة بشكل أساسى من متخرجين فى كلية هوليتا الحربية الجديدة أو كلية سان سير فى فرنسا. وكانت الرغبة فى الإصلاحات المحلية قد صُقلت بتعريف جديد للمصلحة الوطنية ولجهود يجب أن تُبذل بعد الحرب لتحقيق الإنصاف والسيادة فى إثيوبيا.

ويرى البعض أن المقاومة الوطنية الواسعة للاحتلال الإيطالى قد جعلت الغزو فى النهاية مجرد مرحلة عابرة فى مسار التاريخ الإثيوبى الحديث. غير أن هذا التوصيف لا يخفف من الأثر النفسى والبنيوى للعدوان الإيطالى على الكيان السياسى والمصالح الوطنية الإثيوبية.

وبينما حرص الكثير من وسائل الإعلام والمطبوعات الإيطالية والأوروبية على الإقلال من نشر الفظائع الإيطالية فى شمال شرق أفريقيا، عبرت مطبوعات دولية أخرى عن الانزعاج الكبير لمحنة الإثيوبيين. ومن أمثلتها **New Times and Ethiopian News** التى أسستها ورأست تحريرها الناشطة الإنجليزية سيلفيا بانكهرست **Sylvia Pankhurst** المدافعة عن حقوق المرأة، وقد اتخذت موقفًا قويًا من الفاشية، كما انتقدت المشروع السياسى البريطانى الرامى إلى هدم الدولة الإثيوبية المتحدة، وكرست ٤٠ سنة من حياتها لقضية إثيوبيا ومناهضة الفاشية. فقد كانت ثابتة فى تأييدها لإثيوبيا القادرة على أن تصبح الدولة المستقلة الأساسية فى أفريقيا.

كما حصلت إثيوبيا على تأييد فى الإعلام الدولى من دوائر ليبرالية أوروبية، وبخاصة من التقدميين والاشتراكيين فى المراكز الاستعمارية. ومن بينهم مودن رويدن **Mauden Royden** الرائدة فى الدفاع عن قضايا المرأة، وويلفريد روبرتس **Wilfred Roberts** عضو البرلمان البريطانى. لكن ظل الصوت الأعلى لسيلفيا بانكهرست. فبالإضافة إلى نشرها كتاب "إثيوبيا: تاريخ ثقافي" عام ١٩٣٦ بادرت بإصدار الصحيفة الأسبوعية المذكورة

التى ظلت تصدر لعشرين عامًا، وتبيع ٤٠ ألف نسخة، وكانت توزع بكثافة فى غرب أفريقيا وجزر الهند الغربية. وكانت سيلفيا محل تقدير الأفارقة فى القارة وخارجها، خاصة حملتها التى لا تهدأ لاستعادة استقلال إثيوبيا، ضد الإيطاليين أولاً ثم ضد المخططات البريطانية لما بعد الحرب. ورأى العالم دوبوا أن السيدة بانكهرست قد عملت بمفردها على تقديم "إثيوبيا السوداء لإنجلترا البيضاء، كى تمنح إمبراطور إثيوبيا الشهيد ملاذًا أثناء نفيه، ولتجعل الشعب البريطانى على دراية بأنه قد حان الوقت للاعتراف بالسود ككائنات إنسانية لها حقوق المرأة والرجل"(١) .

لم يتوقف هيلا سيلاسى طوال فترة نفيه عن مناشدة الديمقراطيات الأوروبية بتأييد قضيته. بيد أنه حقق نجاحًا محدودًا، إلى أن دخلت إيطاليا الحرب العالمية الثانية بجوار ألمانيا فى يونيو ١٩٤٠. ومع نشأة المحور الفاشى بدأت بريطانيا العمل ببرنامج حربى جديد جمع موارد دول الحلفاء إلى جانب موارد أفريقية شملت جنودًا من إثيوبيا، نيجيريا، غانا، السودان، وأفريقيا الجنوبية. كما جاء جنود آخرون من شبه القارة الهندية. وقد استهدفت المراحل الأولى من الحملات العسكرية إخراج الإيطاليين من إثيوبيا والصومال البريطانى الذى ضمه الإيطاليون عام ١٩٤٠. وكانت المهمة الثانية هى صد الخطر الإيطالى على مستعمرة بريطانية أخرى هى السودان. ووقع عبء قيادة هذه الحملة متنوعة الأهداف على قائد العملية العسكرية الإنجليزية- الإثيوبية الكولونيل وينجت **Wingate**. وكجزء من هذه المعادلة كانت الجبهات الوطنية الإثيوبية قادرة على تأمين دخول إثيوبيا من المستعمرات البريطانية فى كينيا والسودان.

وقد دعم هيلا سيلاسى صورته بوصفه إمبراطور المحارب، وإن كانت بملمح حداثى. ومن أجل توطيد حكمه وصورته السياسية فى المنفى، استطاع نشر وترتيب المنشورات التى يتم إسقاطها على إثيوبيا. وبمساعدة الكراسات والصحف والتقاليد الشفاهية وسِيَر القديسين والأغانى الوطنية والشعر، لم تتمكن إثيوبيا فقط من استدعاء تاريخها من أجل قضية النصر، وإنما أطلقت أيضًا دعوة قوية للوحدة الوطنية والتنمية.

---

(1) Mary Davis, *Sylvia Pankhurst. A Life in Radical Politics* (London: Pluto Press, 1999).

وفى ٢٠ يناير ١٩٤١ وصل هيلا سيلاسى إلى جوجام واضطلع على الفور بمهمة تشجيع جماعات المقاومة المحلية المحبطة وتطوير أنشطتها تحت قيادته العسكرية والسياسية. وقبل أن ينتهى هذا العام كانت القوات الإثيوبية قد انخرطت وانتصرت على القوات الإيطالية فى العديد من المعارك على الأرض. غير أنها ظلت تواجه خطرًا محليًا يتمثل فى بعض جيوب المقاومة من قوات محلية متمردة. فقد استغل كثير من المتمردين المناخ الفوضوى وإعادة بناء التحالفات السياسية وموازين القوى كى يشنوا الغارات لتحقيق أهدافهم المحلية الضيقة.

استطاع الإمبراطور دخول أديس أبابا فى مايو ١٩٤١ مدعومًا بالقوات الإنجليزية- الإثيوبية. كما طلب مساعدة البريطانيين، وحصل عليه بالفعل، فى قمع التمردات السياسية المحلية فى الأجزاء النائية من الإمبراطورية الإثيوبية. وفى إطار الترتيبات الجديدة وقع سيلاسى فى يناير ١٩٤٢ اتفاقية مع لندن ثبت فيما بعد أنها كُتِبت بلغة تعكس علاقات قوة جديدة وغير نِديَّة. فقد كان من نتائج دور بريطانيا فى تحرير إثيوبيا من الحكم الإيطالى أن منحها هذا نفوذا كبيرًا فيما يتعلق بإصلاحات ما بعد الحرب. وهو ما دعا سيلاسى للتعبير عن قلقه وتأكيده أن إثيوبيا ليست محمية بريطانية بحكم الأمر الواقع.

ومع ذلك فقد وقعت إثيوبيا عام ١٩٤٢ اتفاقية تمنح البريطانيين سلطة واسعة على مالية وإدارة وسلامة الأراضى الإثيوبية. كما حصلت الحكومة البريطانية على امتيازات دبلوماسية من خلال أدوار جديدة «لمستشارين» وقضاة فى الشبكات الإدارية الإثيوبية. وكجزء من المعادلة الجديدة أصبح لقائد القوات البريطانية فى شرق أفريقيا سلطة إبطال أوامر الإمبراطور سيلاسى فى تقرير حقوق العبور الجوى وإعلان الحرب وحالة الطوارئ.

وقد استطاع الإمبراطور فى عام ١٩٤٤ أن يستعيد معظم سلطاته وفق اتفاقية ثانية وقعت مع بريطانيا. ومنحت الترتيبات السياسية الجديدة إثيوبيا حق تعيين ممثليها فى الخارج. ومما كانت له أهمية خاصة استعادة إثيوبيا جزءًا من خط السكك الحديدية أديس أبابا- جيوتى، ما ضمن لها النفاذ إلى التجارة الخارجية إلى جانب واردات السلاح. وبمقتضى الاتفاقية الجديدة وضعت وزارة الحرب الإثيوبية الجيش تحت وصاية البعثة العسكرية البريطانية إلى إثيوبيا BMME فيما يتعلق بالتنظيم والتدريب والإدارة. كما

باشرت الحكومة البريطانية السيطرة على مناطق إثيوبية مثل إريتريا وأوجادين، بهدف تقسيم الأولى حيث يتم توحيد الأراضى المنخفضة مع السودان بسبب تشارك الاثنين جغرافيًا وعرقيًا ودينيًا، أما المرتفعات ذات الأغلبية المسيحية فيجب السماح لها بتكوين دولة مستقلة. وبالنسبة لإقليم أوجادين فإنه سيلحق بالصومال البريطانى والصومال الإيطالى سابقًا لبناء ما أطلق عليه الصومال الكبرى. وتسببت هذه القرارات فى الحفاظ على التقسيمات الإدارية التى وضعها الاحتلال الإيطالى، بل وأنكرت أيضًا حق إثيوبيا فى النفاذ إلى الساحل مع بذر بذور التمرد السياسى والصراعات العرقية فى المستقبل.

وشدد معارضو الاتفاقية على أنه على الرغم من المساعدة البريطانية فى التخلص من نير الاستعمار الإيطالى فإن البريطانيين يسعون للحلول محل الإيطاليين وفق علاقة استعمارية أكثر تطورًا. وتعتبر الأحداث التاريخية التى شهدها إقليم شمال شرقى أفريقيا فى الفترة ١٨٨٥– ١٩٣٩ مثالاً على التحديات والمعضلة التى واجهت الدول الأفريقية الحديثة فى فترة وصفت بأنها "ذروة نهار" الاستعمار الأوروبى.

وشُرِع فى تجديد دور الجيش الإثيوبى جراء أحداث لحرب العالمية الثانية. فالبنية التراتبية العتيقة المدعومة بالإتاوات المحلية تم إلغاؤها وإرساء رؤية عسكرية جديدة لبناء جيش حديث مهنى. كما استهدف إنشاء جيش وطنى قوى أيضًا: نزع سلاح قوات العصابات المختلفة والتى انتهز الكثير من أفرادها عدم الاستقرار الاجتماعى والسياسى فرصةً للانخراط فى الإثراء الشخصى والتوسع على الأرض. وقد تم إدماج الكثير من هذه العناصر المتمردة فى صفوف الجيش. كما وقعت إثيوبيا اتفاقًا مع لندن يضمن المساعدة العسكرية فى تدريب وتنظيم قوات مهنية تساعد فى إعادة البناء الاجتماعى والسياسى بعد الحرب.

وصف بعض المؤرخين انتهاء الاحتلال الإيطالى عام ١٩٤١ بأنه كان بمثابة فرصة ضائعة لإعادة بناء المجتمع الإثيوبى. وقد أحدثت الحرب العالمية الثانية ارتقاءً فى خطاب الحداثة الإثيوبية بما يتضمنه من إمكانية تحسين أحوال السكان الذين يتزايدون سريعًا ولهم احتياجات عادية وخاصة. غير أن التناقض الرئيسى الذى كان جزءًا دائمًا فى عملية التحديث الإثيوبى، قد عاد للبروز عند نهاية الحرب. فقد كان هناك انقسام عميق وسط النخب بين من يملكون روحًا نقدية مستقلة وملتزمين بالتحول الثورى للحياة الإنسانية

من جانب، وبين جماعة أخرى من "النبلاء المتعلمين". وبينما كانت الجماعة الأولى تتكون بالأساس من أفراد من الطبقة المتوسطة مستقلين عن ملكية الأرض، فقد دانت الجماعة الثانية بالولاء للإمبراطور سيلاسى وتبنت مقاربة الحد الأدنى من إصلاح دولة الحكم الفردى المحكومة بمَلَكية مركزية.

وقد تعرضت النخب المتعلمة فى الغرب للاتهام فيما بعد بالتخلى عن مسئولياتها الإصلاحية. فقد وضع الغزو الفاشى عام ١٩٣٥ نهاية لتجربة التعاون بين الإصلاحيين وتحديثات المستبد الخيِّر التى تضطلع بها القيادة الملكية. فقد تعرض كثير من المثقفين الإثيوبيين للقتل أو النفى جراء الغزو الإيطالى. وبالنسبة لأولئك الذين ظلوا على قيد الحياة فى الوطن كان بقاؤهم يعنى اكتساب صفة جديدة كالخادم الموالى والمخلص للدولة. وقد أسهم أيضًا فى هذا المنحى المحلى للأحداث تطورات السياسة الدولية والعلاقات الدبلوماسية.

إثيوبيا ما بعد الحرب ..

إعادة البناء، الإنصاف، التجديد:

على الرغم من الإدانة الواسعة للفظائع الفاشية أثناء الحرب من جانب عدد من المنظمات، فإن حقوق المواطنين الإثيوبيين ضحية هذه الفظائع لم تلق اعترافًا رسميًا من عصبة الأمم. ولم تصبح هذه الفظائع محل اعتبار قضائى دولى إلا بعد دخول إيطاليا الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٠. بل إن كثيرين ممن أيدوا إثيوبيا أثناء الحرب أذعنوا بعدها لمقتضيات سياسة يومذاك التى شددت أكثر على التحالف الاستراتيجي- والعنصرى كما يرى البعض- بين الدول الأوروبية الشقيقة بما فيها إيطاليا. ومن الأمثلة التى تُذكر كثيرًا فى هذا الصدد: فيليب نويل- بيكر **Philip Noel-Baker** وزير الدولة للشئون الخارجية والحائز على جائزة نوبل فيما بعد والذى أنهى سريعًا حملاته المؤيدة للحقوق الإثيوبية أثناء عضويته فى البرلمان عن حزب العمال، وذلك تمشيًا مع سياسة الخارجية البريطانية التى تهربت دائمًا من الرد على أى أسئلة عن جرائم الحرب الإيطالية.

وكما أوضحنا سابقًا أصبح الغزو الإيطالى لإثيوبيا عاملاً مساعدًا على تقاطع الأنشطة الأممية المناهضة للاستعمار مع حركة الحقوق المدنية ومناهضة العنصرية فى أفريقيا وأوروبا والأمريكتين. وحسبما قال المؤرخ جوزيف إى هاريس Joseph E. Harris: أدى الغزو إلى تبلور رأى دولى فى الولايات المتحدة والكاريبى وأوروبا وأفريقيا، يؤكد على هوية مشتركة وموقف مناهض للعنصرية والاستعمار وسط الأفارقة والمنحدرين من أصل أفريقى، ومن ثم تأسيس حركات ما بعد الحرب ضد العنصرية والاستعمار ومن أجل الحقوق المدنية. كما قادت الأحداث التى أعقبت غزو إثيوبيا الكثير من المثقفين السود إلى التساؤل عن صدق التزام الليبراليين الأوروبيين- خاصة الشيوعيين الأوروبيين- حينما تعلق الأمر بمخالفة الاتحاد السوفيتى لقرار عصبة الأمم بحظر التجارة فى المواد الحربية مع إيطاليا الفاشية. ووصف نصير الوحدة الأفريقية ماركوس جارفى Marcus Garvey (زعيم الاتحاد العالمى لتحسين أحوال الزنوج UNIA) موقف عدم الاكتراث الأوروبى بمحنة إثيوبيا بأنه من إرث العنصرية المحدثة. كما قام علماء نشطون مثل جورج بادمور George Padmore، سى إل آر جيمس C.L.R. James، راس ماكونين Ras Makonnen، جومو كينياتا Jomo Kenyatta، ووالاس جونسون Wallace Johnson.. بتأسيس المكتب الدولى لخدمة أفريقيا IASB عام ١٩٣٧ حيث ركزوا على الارتباط بين الاستعمار والعنصرية. وأجمعوا على ضرورة الاتحاد كشرط لتحقيق الديمقراطية العالمية. وقامت جماعات أخرى معادية للاستعمار، مثل اللجنة الدولية للشئون الأفريقية برئاسة ماكس يرجان Max Yergan ومعاونة نشطاء اجتماعيين وفنانين وعلماء مثل بول وإسلندا روبسون Paul and Eslanda Robeson، بإطلاق حملة الحرية لإثيوبيا. أما الاتحاد الوطنى للارتقاء بالملونين NAACP فلم يكتفِ بمناشدة الحكومة الأمريكية باتخاذ موقف أكثر فاعلية إزاء القضية الإثيوبية، وإنما سجل اعتراضه أيضًا على رياء الاتحاد السوفيتى بدعم رؤية الأمن الجماعى مع استثناء تطبيقه على الدول السوداء الحديثة.

وكان من تأثيرات التاريخ الإثيوبى على التقاليد الفكرية للشتات الأفريقى، أن وصف بعض الأكاديميين السود الراديكاليين الفاشية بأنها ليست نوعًا من الانحراف عن مسيرة البشرية وإنما هى تطور منطقى للحضارة الغربية نفسها. ورأت هذه الجماعة فى الفاشية قرينًا دمويًا للاستعباد والإمبريالية والأيديولوجيات العنصرية التى وجدت بالفعل منذ فجر الحداثة؛ ومن ثم دعوا إلى تحالف عابر للقوميات والأجناس للمساعدة فى حل بعض تناقضات الحضارات الحديثة.

تمت عودة هيلا سيلاسى بوصفه لاعبًا قويًا فى القرن الأفريقى بعد سنوات المنفى، بدعم من رئيس الوزراء البريطانى ونستون تشرشل **Winston Churchill** ووزير الخارجية أنتونى إيدن **Anthony Eden**، اللذين رأيا فيه شريكًا استراتيجيًا- وإن لم يكن على مستوى الندية- فى إقليم القرن الأفريقى. وبعد استسلام إيطاليا وسقوط موسولينى وانهيار الفاشية فى أوروبا، قبلت دول الحلفاء بإيعاز بريطانى عودة إيطاليا إلى الحظيرة، ومن ثم تجاهل مطالبات إثيوبيا. وحينما تأسست الأمم المتحدة مع نهاية الحرب، أنشأت المنظمة الدولية لجنة جرائم الحرب، لكن إثيوبيا كانت الحليف الرئيسى الوحيد للدول الغربية والذى تم استبعاده منها.

وقد أطلقت الحكومة الإثيوبية مبادرة دبلوماسية فى يوليو ١٩٤٦ بهدف التعامل مع جرائم الحرب الإيطالية. وبدأت الحملة بمراسلات دبلوماسية للفت الانتباه إلى فشل أوروبا فى الاعتراف بروح ومبادئ المواثيق الدبلوماسية. وتضمنت الفقرة رقم ٣٧ من الوثيقة الإثيوبية المطالبة "بأن تعيد إيطاليا كل الأعمال الفنية والمصنفات الدينية وذات القيمة التاريخية التى أخرجت من إثيوبيا منذ ٣ أكتوبر ١٩٣٥". لكن المعاهدة التى أقرتها المنظمة الدولية تعاملت فقط مع جرائم الحرب بالمعنى العام دون أى إشارة خاصة للطلب الإثيوبى. كما اقتصرت المناقشات بشأن معاهدات ما بعد الحرب على سفراء روما والاتحاد السوفيتى وبريطانيا والولايات المتحدة فقط.

أدرجت إثيوبيا شكاواها وقدمتها لكل من السكرتير العام للأمم المتحدة فى نيويورك، المحكمة العسكرية الدولية فى برلين، والممثلية البريطانية فى أديس أبابا. وبنصيحة من مستشار أمريكى هو البروفيسور جون إتش سبنسر **John H. Spencer** ضغطت إثيوبيا على المجلس ليُضمِّن نقطتين مهمتين فى وثيقة التفاوض على معاهدة السلام مع إيطاليا عام ١٩٤٦: (١) إن الحرب العالمية الثانية بدأت فى إثيوبيا يوم ٣ أكتوبر ١٩٣٥، تاريخ الغزو الإيطالى: (٢) إن الدول تقبل بمبدأ حق إعادة الأوضاع إلى أصلها **postlimitium**- أى أن الحكومة الإثيوبية قد استمرت فى ممارسة صلاحياتها بعد الغزو كما كان قبله. وبمقتضى هذا المبدأ تكون الدولة الإثيوبية قد باشرت وجودها بمجرد انتهاء الاحتلال المعادى كأنها كانت باقية دون انقطاع. وقد سعت إثيوبيا من خلال هذا إلى الإفلات من مصادرة ممتلكاتها، بما فى ذلك التنظيمات والأحكام التى فرضها الإيطاليون عليها

وواصلها البريطانيون والحلفاء. ونتيجة للحوارات والخطاب الدولى فى إطار ضغوط الحكومة الإثيوبية، استطاعت الأخيرة تضمين مواد تتعلق بالفظائع الإيطالية؛ غير أن عوائق أخرى كانت تنتظر إثيوبيا فى الأفق.

فبينما كان من المخطط توقيع المعاهدة عام ١٩٤٧ واجهت إثيوبيا عراقيل من جانب المملكة المتحدة والولايات المتحدة وكثير من الدول الأخرى التى اتخذت مواقف معارضة أو ملتبسة من المطالب الإثيوبية. وكان لدى إثيوبيا عدد محدود من الحلفاء الأوروبيين فى مسألة جرائم الحرب، منها أستراليا والنرويج وتشيكوسلوفاكيا. لكنها أعطيت خمسة شهور فقط لإعداد قضيتها للمراجعة. وبالإضافة إلى ذلك رفضت لجنة المراجعة توصيف جريمة الإبادة الجماعية، واكتفت بتوصيف جريمة القتل الجماعى. وقد وفرت هذه التفرقة أشكالاً مختلفة من شبكة الأمان لإيطاليا من ناحية، بينما زادت الحد الأدنى المسموح به للممثلين الدبلوماسيين والقانونيين لإثيوبيا من ناحية أخرى. وما أعاق الحكومة الإثيوبية ضيق الوقت المتاح أمامها، والافتقار إلى هيئة كبيرة من القانونيين المؤهلين، ونقص تعاون دول الحلفاء فى الإعداد للمرافعة، الأمر الذى اضطرها إلى التقدم بعدد محدود من الاتهامات. فقد كلفت محاميها السويدى إريك ليجونهوفود **Eric Leijonhufvud** بالتقدم بعشرة اتهامات فقط. وكجزء من التسوية تم التوصل إلى اتفاق على أنه إذا كان المتهم بارتكاب جريمة ضد مواطنين إثيوبيين قد قامت إيطاليا بتسليمه يجب أن يحاكم أمام محكمة أغلبيتها من القضاة الأوروبيين. ومن بين ٥٠ مشتبهًا تمت محاكمة عشرة فقط بتهمة "الإرهاب الممنهج"، وهم:

١. المارشال بيترو بادوجليو **Pietro Badoglio** القائد العام للقوات الإيطالية وقت الغزو.

٢. المارشال رودلفو جرازيانى **Rodolfo Graziani** قائد القوات الإيطالية فى الصومال والحاكم العام فيما بعد لشرق أفريقيا الإيطالى ونائب الملك فى إثيوبيا.

٣. أليساندرو ليسونا **Alessandro Lessona** وزير المستعمرات الإيطالى معظم فترة الاحتلال.

٤. جيدى كورتيسى **Guidi Cortese** السكرتير الاتحادى للحزب الفاشى القومى فى أديس أبابا وقت مذبحة جرازياني.

٥. الجنرال جوليلمو ناسى **Guglielmo Nasi** الحاكم الإيطالى لهرر.

٦. الجنرال أليساندرو بريزيو بيرولى **Alessandro Pirzio Biroli** الحاكم الإيطالى لأسمرة لبعض الوقت.

٧. الجنرال كارلو جيلوسو **Carlo Geloso** الحاكم الإيطالى لجالا- سيدامو.

٨. الجنرال سباستيانو جالينا **Sebastiano Gallina**.

٩. الجنرال روجيرو تراتشيا **Ruggero Tracchia**.

١٠. إنريكو سيروللى **Enrico Cerulli** رئيس المكتب السياسى لشرق أفريقيا فى وزارة الشئون الخارجية، المدير العام للشئون السياسية، نائب الحاكم العام لشرق أفريقيا الإيطالي.

كما نشرت الحكومة الإثيوبية كتابًا من مجلدين بعنوان "حضارة إيطاليا الفاشية" احتوى على نصوص وترجمات فرنسية لبرقيات فاشية بأوامر "لجرائم الحرب" مثل: استخدام الغازات السامة، الإعدامات الجماعية لأسرى الحرب، قتل "الأطباء السحرة" و"المشعوذين" بالرصاص، وقتل رهبان دير ليبانوس. كما تضمن الكتاب شهادات موثقة لضحايا الحرب مع صور فوتوغرافية لإثيوبيين أعدمهم الإيطاليون.

غير أن حكومات الحلفاء شككت فى صحة الاتهامات الإثيوبية ضد إيطاليا بزعم أنه من المستحيل تقريبًا تحديد تراتبية السلطة داخل السلطات الاستعمارية الإيطالية بما يسمح بمعرفة من أعطى الأوامر بعمليات قتل الإثيوبيين والاعتداءات على مراكز الصليب الأحمر الدولى. وفى الوقت نفسه اتبعت الولايات المتحدة سياسة غامضة إلى حد بعيد فيما يختص بالعدوان الإيطالى. وواجهت إثيوبيا مشكلة متزايدة فى التعامل مع البنية الإجرائية لما كان وقتذاك منبرًا جديدًا، خاصة أنها أثرت فى الإقرار بالحقوق الواجبة للشعوب غير الأوروبية فى المعاهدات الدولية الحديثة. كما واجهت إثيوبيا معارضة بريطانيا العظمى، العضو الوحيد من الدول الأربع الكبرى والذى وقعت معه إثيوبيا معاهدة حربية.

وأخيرًا قررت إثيوبيا إيقاف خسائرها، وطلبت من الدول الأربع الكبرى التى لها ممثلون فى روما أن يعملوا بالنيابة عنها، لكن طلبها رفض فى الحال لأسباب فنية. ولم يعد هناك سوى خيار واحد هو التعامل المباشر مع الحكومة الإيطالية. وإلى جانب الغموض الذى واجهته إثيوبيا من القوى الغربية، واجهت أيضًا معارضة صارمة من الصحافة الإيطالية. وعلى الرغم من فشل إيطاليا فى تحقيق هدفها الكلى من حملتها على إثيوبيا، فقد أصبحت الدولة الأولى التى تتهمها لجنة جرائم الحرب فى الأمم المتحدة بارتكاب جرائم ضد الإنسانية. ويتردد أن دول الحلفاء لم تُرد عزل دولة أوروبية شقيقة، ومن ثم كان الادعاء بأن الفظائع الإيطالية فى إثيوبيا والتى بدأت عام ١٩٣٥ "لا صلة لها" بالحرب الأوروبية التى بدأت فى سبتمبر ١٩٣٩. غير أن الناشطة السياسية سيلفيا بانكهرست أرجعت فشل إثيوبيا إلى قلة المصلحة البريطانية فى الاهتمام بجرائم الحرب التى ارتُكبت ضد غير الأوروبيين.

خرجت إثيوبيا من الحرب العالمية الثانية، ومن الاحتلال الإيطالى، وهى فى حالة من الضعف البنيوى البالغ، رغم أن فرصة توطيد السلطة السياسية الإمبراطورية كانت كبيرة تمامًا. وكما ذكرنا سابقًا فقد تعاون مع الفاشيين راس جوجسا فى تيجراى، وراس هايلو فى جوجام. وكان الأول حانقًا لأنه لم ينصب ملكًا لتيجراى. وكان كلا الرجلين من ضحايا السياسات التقسيمية التى اتبعها هيلا سيلاسى، والتى فضلت جماعات أخرى مثل رايا وأزيبو اللتين كانتا تقومان بإغارات للحصول على رءوس الماشية؛ ومن ثم اختار الرجلان مهاجمة قوات الإمبراطور المنسحبة فى ماى تشيو.

وعلى الرغم من هذه القوات المتمردة، شن مواطنون آخرون حرب عصابات ضد الحكم الأجنبى فى المناطق الحضرية والريفية على السواء. وتكونت قوات المقاومة من جيوش راس إمرو، راس ديستا، أبيبى أريجاى، بيلاى زيليكى فى جوجام، وأموراو وبينه فى بيجيمدير. وضمت أخرى: دزجماتش وندوسن كاسا، أسقف ويللو، أبيونى بطرس وقسم كبير من متعلمى الريف. ونتيجة لهذه المعارضة القوية للاحتلال الأجنبى لم يستطع الإيطاليون السيطرة على أكثر من ٣٥٠ ألف ميل مربع من مساحة إثيوبيا.

كان معظم الإثيوبيين الذين سقطوا أثناء الاحتلال من الشباب خاصة المتعلمين الذين اعتبروا بمثابة الأعمدة فى مشروع سيلاسى للحكم المطلق التحديثى. وقد حافظ

سيلاسى على صورته كالرمز الحى لإثيوبيا من خلال مشاركته الفاعلة المباشرة فى المجهود الحربى قبل انسحابه الاستراتيجى إلى المنفى. وكان إنجازه ملحوظًا منذ أن كان معظم المسئولين الاستعماريين والعسكريين الأوروبيين يتشككون فى إمكانية صوت أفريقى مستقل فى عصر بلغ فيما بعد نقطة الذروة فى الإمبريالية الرسمية بالقارة. ومع بدء شحوب النفوذ الأوروبى برزت الولايات المتحدة كالقوة السائدة عند نهاية الحرب العالمية الثانية.

فعندما حررت القوات الأمريكية جنوب إيطاليا عام ١٩٤٣ ساعدت فى تأسيس حكومة برئاسة الفيلد مارشال بادوجليو **Badoglio** نائب الملك السابق فى إثيوبيا. وقد أكد إعلان مبدأ ترومان[١] مع خطة مارشال[٢] الحماية الأمريكية "للعالم الحر" فى مواجهة التهديدات الشيوعية، كما أسهما فى تضاؤل سياسة الشتات الأفريقى. وكانت الجماعة الأخيرة قد استغلت الأزمة الإثيوبية للتخلص من الأفكار الحقيقية والمتخيلة عن المناطقية الضيقة وعدم التمكين، ولكن مع إعلان مبدأ ترومان أخذت الأصوات المحلية المنشقة فى الميل للتحفظ أو الصمت. ويضاف إلى هذا أن خطة مارشال التى كانت موجهة أساسًا للبلدان الاستعمارية الأوروبية، قد همشت أيضًا المصالح الأفريقية وطنية كانت أم قارية.

وعلى الرغم من هذه المصاعب فإن تلاقح الأفكار وتضامن المشاعر بعد غزو إثيوبيا قد أثر فى طبيعة مؤتمر أنصار الوحدة الأفريقية الذى عقد فى مانشستر بإنجلترا عام ١٩٤٥. ففى نهاية هذا المؤتمر دعت جماعات أفريقيا الشتات إلى إنهاء الاستعمار والتفرقة العنصرية. كما دعت إلى مشروع لإعادة بناء الاقتصاد الإثيوبى وبقية القارة الأفريقية. بيد أن سياسة الحرب الباردة التى تبعت الحرب العالمية قد أنتجت تصدعات وإعادة اصطفاف فى العلاقات المحلية والدولية، كان لها تداعيات كبيرة على إثيوبيا وأفريقيا والعالم كله.

---

(١) أعلنه الرئيس الأمريكى هارى ترومان Harry S. Truman فى ١٢ مارس ١٩٤٧ ونصه: "يجب أن تكون سياسة الولايات المتحدة تأييد الشعوب الحرة التى تقاوم محاولات الإخضاع من جانب أقليات مسلحة أو ضغوط خارجية" - المترجم

(٢) خطة أعلنتها الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب لإعادة بناء اقتصادات أوروبا الغربية، وبمقتضاها ضخت الولايات المتحدة ١٣ مليار دولار (ما يتجاوز ١٣٠ مليار دولار حاليًا) على مدى أربع سنوات - المترجم.

بل إن انتهاء الحكم الإيطالى فى إريتريا عام ١٩٤٧ قد ساعد فى تصاعد أقوى للحركة الانفصالية، وبخاصة وسط السكان المسلمين. وجاء قرار الأمم المتحدة عام ١٩٥٢ بمنح إريتريا الحكم الذاتى كحل وسط لاحتواء التناقضات بين الجانبين. ولاح أن خبرة إثيوبيا فى الحرب العالمية الثانية قد أقنعت الإمبراطور هيلا سيلاسى بحقيقة أن يواجه ساحة سياسية عالمية لا تعرف الأصدقاء الدائمين أو الأعداء الدائمين، وإنما توجد مصالح دائمة فقط.

ولما كان سيلاسى ممتعضًا من التحكمين الإدارى والمالى البريطانى فى بلده أثناء الحرب، فقد أخذ يتطلع صوب الولايات المتحدة كقوة موازنة يمكن أن تساعد طموحات إثيوبيا محليًا ودوليًا. كما كان البريطانيون يتخلون من جانبهم عن عبء الإمبراطورية، حيث أصبحت الولايات المتحدة القوة الجديدة المهيمنة سياسيًا واقتصاديًا.

وقع هيلا سيلاسى اتفاقيات تأجير أراضٍ مع الولايات المتحدة عامى ١٩٤١ و١٩٤٣، وكان من نتائجها وصول أول طائرة نقل إلى أديس أبابا عام ١٩٤٤. وفى العام التالى وقعت اتفاقية أخرى مع شركة الخطوط الجوية **TWA** وهو ما أدى فى النهاية إلى إنشاء الخطوط الجوية الإثيوبية **EAL**. وبموجب هذا الترتيب وافقت الشركة الأمريكية على توفير العاملين فى مجالى الإدارة والرقابة لثلاثة عقود، لكن إثيوبيا كانت أكثر اهتمامًا بإضفاء الطابع الوطنى على شركة طيرانها، وتم تعيين مدير عام إثيوبى لها عام ١٩٧١، كما تطورت شبكة محلية لتيسير إدماج ونقل السلع الزراعية.

وفى عام ١٩٥٣ تم توقيع اتفاق دفاعى يضمن مساعدات عسكرية أمريكية بقيمة إجمالية تزيد على ٢٠٠ مليون دولار على مدى ٢٠ عامًا. كما حصلت إثيوبيا على مساعدات من الهند والسويد وإسرائيل والاتحاد السوفيتى. وقد مكنت المساعدات العسكرية إثيوبيا من الاحتفاظ باستقلالها وإخماد التمردات المحلية. فبعد استعادة هيلا سيلاسى لعرشه استأنف سياسته السابقة بمركزة الدولة والحد من سلطات الأرستقراطية. غير أن جهوده فى التحديث تركت آثارًا أقرب للضعف من التماسك. ومن ناحية أخرى سمحت إصلاحات ما بعد الحرب للبيروقراطية الإمبراطورية بتدابير أقوى فى التحكم والقدرة الدفاعية.

وقد تقلصت أهمية النبلاء الإقليميين telek sawach (ومعناها الحرفى "الرجال الكبار") ذوى السطوة العسكرية والسياسية والاقتصادية، وإن ظلت قوتهم الاقتصادية هى الامتياز الأساسى الوحيد الذى احتفظوا به بما يجعلهم محافظين على أهميتهم. لكن الكثيرين منهم أجبروا على التنازل عن أراضى الجلت السابق ذكرها، وعن جيوشهم الخاصة واستقلالهم الإقليمي.

أدخل سيلاسى ثلاثة إصلاحات بنيوية رئيسية فى الإدارة الإمبراطورية. أولاً: أنشأ جيشًا دائمًا ذا تدريب بريطانى، كان تحت سيطرته بالكامل، ما أزاح جانبًا الجيوش الإقليمية وقادتها. ثانيًا: رتَّب نظامًا ماليًا جديدًا تحت إشراف وزارة المالية، ومن ثم أنهى الكثير من الضرائب والعمل الذى فرضته الكنيسة على الطبقة الفلاحية، وبخاصة الجابر (العمل الجبرى بلا مقابل). وللمرة الأولى صارت الضرائب المدفوعة بالعملة الجديدة تُجمع على نطاق واسع بواسطة موظفين مدنيين برواتب فى إطار وزارة المالية، وتذهب الحصيلة إلى خزانة الدولة مباشرة. وهى الخطوة التى أرست الطابع المهنى للبيروقراطية، وحرمت- نظريًا- القائمين على الإدارات المحلية من حق فرض إتاوات الخراج على الرعايا فى نطاقهم الإدارى فى صورة سلع أو القيام بخدمات. بل أصبح بإمكان هؤلاء الإداريين الاعتماد على رواتبهم الشهرية بالإضافة إلى تأجير أراضيهم الخاصة.

اضطلعت الحكومة الإثيوبية بمراجعات كثيرة لقوانين الضرائب خلال الفترة ١٩٤١ إلى ١٩٦١، فى محاولة منها لزيادة إيرادات الدولة من الزراعة، وزيادة إنتاجيتها. مع ذلك رأى البعض أن محاولات سيلاسى تفعيل الإصلاحات الزراعية قد أضعفها إلى حد كبير فشله فى الحد من امتيازات الطبقة الملكية، حيث فُرِضت الضرائب على الأراضى التى يزرعها الفلاحون وأعفيت أراضى النبلاء؛ ومن ثم كان التشديد على قدرات الجباية عند الدولة وليس التنمية. وفى ظل النظام الجديد لحيازة الأرض تعرض المستأجرون للاستنزاف وكثرت حالات الطرد من الأرض.

وقع أكبر عبء ضريبى على كاهل الفلاحين فى كل من الشمال والجنوب، وإن كان الأثر أكثر حدة فى الجنوب حيث شكل الفلاحون أغلب المستأجرين. وكان أمر صادر عام ١٩٤٥ قد جعل من الممكن للمعدمين والعاطلين المطالبة بعشرين هكتارًا من الأراضى

الحكومية لاستخدامه فى الزراعة الخاصة، غير أن النبلاء التقليديين استمروا فى السيطرة على خطاب الإصلاح الزراعى، وتعرض الفلاحون إما للحرمان الفعلى من أى تعويض وإما اضطروا للتنازل عن مطالباتهم بسبب الافتقار لرأس المال.

ومع تتجرة الزراعة ودخول رأس المال الأجنبى والمساعدات الفنية الأجنبية، استطاع بعض أرباب الأعمال المحليين (ومعظمهم من الشباب والمتعلمين فى الأسر المالكة للأرض أو التجار) استثمار كميات محدودة من النقود، جمعوها من التجارة، فى مشروعات جديدة.

وتمثل المستوى الثالث للإصلاح فى إعادة تنظيم إدارة المقاطعات بصدور قرار يقيد الكثير من السلطات الجزافية للحكام المحليين. كما أعيدت صياغة المديرين بوصفهم موظفين فى الداخلية، وتم تزويد معظم المسئولين فى الدولة بمجموعات معاونة تضم موظفين وسكرتارية يحصلون على رواتبهم من الدولة.

وقد اعتمد هيلا سيلاسى فى بقائه السياسى، أثناء الحوادث التى قادت للحرب العالمية الثانية، على عصبة الأمم والجيوش الأوروبية. واصطف الإمبراطور إلى جانب القوى الغربية، ولكن مع نشوب الحرب الباردة سعى أيضًا إلى تحقيق مستوى من الاستقلال بالانضمام لحركة عدم الانحياز. وقام سيلاسى بالزيارة الأولى من زياراته السبع لواشنطن عام ١٩٥٤ حيث التقى الرئيس دوايت أيزنهاور **Dwight Eisenhower**. وقد أسر له بخيبة أمله من ضآلة المساعدة المادية، وبخاصة المعونة العسكرية التى كان يتلقاها من الولايات المتحدة. وحينما نكثت الولايات المتحدة بوعدها بالمساعدة فى بناء سد أسوان على النيل، مدت يديها للاتحاد السوفيتى وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا، بل وأعلنت تأييدًا مذبذبًا لسياسة اشتراكية الدولة[1].

قسم بعض العلماء النخب المتعلمة الإثيوبية إلى مجموعتين رئيسيتين منذ ما قبل الغزو الإيطالى إلى ما بعده. وقد اعتبرت المجموعة الأولى الإمبراطورين منليك وسيلاسى

(١) من غير المقنع ذلك الربط الذى يعقده المؤلف بين امتناع الولايات المتحدة عن تمويل السد العالى فى مصر وبين اتجاه إثيوبيا إلى الكتلة الاشتراكية، والأرجح أن مناخ الحرب الباردة وسياسة عدم الانحياز كانت الدافع الأساسى وراء هذا التحول، بل ربما يصدق هذا أكثر على التحول الذى حدث وقتها فى السياسة المصرية. كما يبالغ الكاتب فيما سماه تأييد سياسة اشتراكية الدولة، وهو ما لم يقدم أى ملمح ظاهر له- المترجم.

فى مكانة الراعى والحليف، نظرت مجموعة النخب الثانية إلى الإمبراطور تيودروس باعتباره المحدِّث الراديكالى الرائد. وحدد المؤرخ باهرو زودى ثلاثة دوافع رئيسية لمثقفى القرن العشرين فى إثيوبيا:

١ - إرساء حكم نظامى تتحقق فيه العدالة والمساواة من خلال حكم القانون ودستور يحترمه الجميع .

٢ - استئصال الفقر بجعل الفلاحين يمتلكون منتجاتهم ويتحكمون فى وسائل إنتاجهم (المطالبة بنظام ضريبى عادل واقتراح إعادة الأرض لمن يفلحها، وهو الشعار الذى استفاد منه فيما بعد ثوار المستقبل بتأكيدهم أن العمل الإجبارى وضريبة الخراج يمثلان عقبة أساسية أمام التقدم).

٣ - ضمان العدل والمساواة بين الجماعات الدينية والقومية. وقد كان مشروع سيلاسى للتحديث ثمرة للنخب المتعلمة فى أمهرة وتيجرى .

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية جرى توطيد المشروعات فى المدن والبلدات، وإن كانت أديس أبابا وبعض الموانئ على ساحل البحر الأحمر قد شهدت مبادرات تنموية كبيرة. أما الزراعة التى كانت تاريخيًا النشاط الاقتصادى الرئيسى فى إثيوبيا، فقد نالت الاهتمام الأكبر حيث صدرت قرارات تهدف لتحسين القدرة الإنتاجية وتشجيع التتجرة. غير أن رجال الأعمال الوطنيين افتقروا إلى رأس المال اللازم للاضطلاع بهذه العملية. إذ إن الإثيوبيين القلائل القادرين على ضخ الاستثمارات جاءوا من الأرستقراطية الثرية والأسرة الملكية. كما كان المتوقع من المستثمرين الأجانب المشاركة فى تنمية قطاع صناعى حضري.

وقد شهدت الخمسينيات نموًا ملحوظًا فى عدد الإثيوبيين الحاصلين على درجات التعليم العالى. وتضمنت آمال وطموحات هذه الجماعة الحصول على فوائد الحداثة مثل الديمقراطية ومستويات المعيشة المرتفعة. وعلى الرغم من حجمها المحدود أصبحت هذه الجماعة ذات تنوع عرقى أكبر من سابقاتها، وإن ظل الأمهرة والتيجرى الأكثر تمثيلاً. وقد حدث عام ١٩٥٧ أن لخص الإمبراطور هيلا سيلاسى حكمه الذى بلغ ٢٧ عامًا فى قائمة من الإنجازات شملت: إقرار أول دستور للبلاد، أول انتخابات عامة، وإطلاق برامج عامة للرفاه والصحة والتعليم.

وبالنسبة للتجار والحرفيين الصغار فلم يأتوا فقط فى مرتبة أدنى من موظفى الحكومة المتعلمين من حيث الدخل والمكانة، وإنما ظلوا أيضًا فى عداد الغالبية. وكان للجماعتين الأخيرتين نفوذ محدود فى الحكومة التى كانت فى هذه المرحلة أكثر اهتمامًا بالبرامج التى ركزت على التوسع فى المشروعات الكبيرة كثيفة رأس المال، مع التركيز على الاستثمار الأجنبى. كما كان من الصعب التخلى عن إرث النظام الاجتماعى الإمبراطورى. فكانت أغلبية الحرفيين المهرة تنتمى للأقليات العرقية. أما العمال من الخلفيات العرقية المختلفة وعموم قوة العمل غير الماهرة فقد مثلوا أدنى درجات السلم الاجتماعى الحضري.

وقد اتُهِم الإمبراطور سيلاسى وقتذاك بإهمال سياساته الإصلاحية "للمسألة القومية". فقد تكونت الإمبراطورية من جماعات عرقية مخضَعة ثقافيًا، ولم تكن مدمَجة سياسيًا فى الأمة منذ أوائل القرن ١٩ حتى منتصف القرن ٢٠. وعلى الرغم من كثرة الحديث عن إثيوبيا المتحدة فقد انعكست سيطرة الأمهرة أيضًا فى توزيع الخدمات الاجتماعية وفرص الحراك الاجتماعى لأعلى.

وفى يوم ١٣ ديسمبر بينما كان الإمبراطور خارج البلاد وقع انقلاب بقيادة منجستو نيواى **Mengistu Neway** قائد الحرس الإمبراطورى. وقد اشترك فى الانقلاب أيضًا قائد الشرطة ومسئولو أمن الدولة وعدد من المثقفين الراديكاليين الذين كان للكثيرين منهم صلات بالجيش. وقد حقق الانقلاب نجاحًا مبدئيًا حيث استطاع الانقلابيون اعتقال ولى العهد وأكثر من ٢٠ وزيرًا إلى جانب عدد آخر من كبار المسئولين الحكوميين. وأصدروا بيانًا تضمن تشكيل حكومة وعدت بتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لعموم السكان.

حاول الانقلابيون التقرب من ولى العهد أصفا واسان **Asfa Wassan** الذى كان على علاقة متوترة مع أبيه الإمبراطور. فقد كان تأييد ولى العهد ضروريًا للحصول على مباركة الكنيسة. وقد استولى الحرس الإمبراطورى بقيادة زعماء التمرد على المواقع الاستراتيجية فى أديس أبابا، بما فيها جميع مراكز الاتصال. وبالفعل عَيّن ولى العهد رئيس وزراء جديدًا وأعلن من خلال الإذاعة أن الانقلاب يستهدف إنهاء ثلاثة آلاف عام من الظلم والفقر والجهل. كما وعد بإقامة نظام ملكى دستورى، وفى النهاية سمح بإقامة أحزاب سياسية.

بيد أن المؤامرة كانت سيئة التنظيم، وأخفق المتمردون فى تأمين المواقع الاستراتيجية فى البلاد والعاصمة. وبعد إحباطهم بسبب فشلهم هذا أطلق المتمردون الرصاص على عدد قليل من المسئولين وفروا إلى الجبال. وقد قوبل الإمبراطور سيلاسى بالهتافات المدوية لدى نزوله فى أسمرة بإريتريا التى استُعيدت تحت قيادة جنرال موالٍ. ومع ذلك فإن تلك الحوادث السياسية أنذرت بالتحديات الكبيرة التى تنتظر كلاً من النخب المتعلمة، والجماهير الفقيرة الآخذة فى الاتساع السريع.

يركز بعض الكُتَّاب على معاناة الإنتلجنسيا الإثيوبية من الحرب الإيطالية- الإثيوبية، حيث تمت تصفية جزء كبير منها بأيدى الفاشيين، أما فى عصر ما بعد الحرب فقد تم تهميش النخب المتبقية نتيجة لعدم الاستقرار السياسى والعلل الاجتماعية. وحسب الكاتب ميساى كبيدى **Messay Kebede** فإنه فى وقت عودة هيلا سيلاسى من المنفى وإعادته إلى العرش بواسطة البريطانيين، كانت إثيوبيا قد فقدت حريتها وسيادتها فعليًا رغم المخاوف العلنية من جانب الوطنيين. وقيل إن إثيوبيا أصبحت حلقة فى السلسلة الإمبريالية العالمية، وكلما تسارع إدماجها فى هذه البنية قلت فرص إصلاحات التحديث الحقيقية.

وزعم آخرون أن إثيوبيا، على النقيض من المجتمعات الرأسمالية التى أصبح سيلاسى يعتمد عليها، اتسمت بالمرونة التى سمحت بإصلاحات تقدمية وتجديد للنخب، الأمر الذى منحها القدرة على الاستمرار. وعلى الرغم من تطلعات المواطنين إلى حكومة حديثة ومبادرات تنموية، أدخل الإمبراطور إصلاحات شكلية مع تصوير نظامه كالمستبد الأبوى نصير الحداثة. ونتيجة لرضوخ إثيوبيا للمبادرات الرأسمالية الموجهة من الخارج، أصبحت التنمية الوطنية والحراك الاجتماعى والتحديث فى مرتبة ثانوية بالنسبة لتوطيد السلطة الإمبراطورية، ومن ثم التخلف.

كما رأى اليسار الإثيوبى أن المبدأ المحلى للحكم المطلق من قديم الزمن- وعلى الرغم من ثبوت عقمه- أو سياسة الاكتفاء الذاتى الوطنية، قد حل محلهما الاعتماد على الواردات والمساعدات الاقتصادية. وهكذا فقد مثلت فترة ما بعد الحرب لحظة ممتازة ولكنها ضائعة للقيام بإصلاحات تقدمية واسعة النطاق. وأدى تدمير الإنتلجنسيا حتمًا إلى خسارة الروح النقدية المستقلة والالتزام بالتحول الثورى للشرط الإنسانى، وهو ما قوض فى النهاية طاقات مشروع الحداثة الإثيوبى.

وبسبب عدم وجود قاعدة فكرية أو سياسية مستقلة تدعم الإمبراطور سيلاسى، مضى فى تدابير إصلاحية على طريقته. وقد أدى غياب الروح النقدية التى يمكن أن تتوسط بين احتياجات المحكومين والسلطات العليا، إلى مستوى مرتفع من التهاون الإدارى والرضا عن النفس. وإلى جانب اتساع الغضب النخبوى والشعبى كانت هناك الكوارث الطبيعية والعنف المتصاعد للحركات المتمردة، مما هدد سكان إثيوبيا وتكامل ترابها الوطنى. وانعكست غطرسة الأسرة الملكية ومؤيديها فى صورة مشروعات مظهرية وسفريات خارجية، وقد ساعد هذا كله فى تفاقم المحن الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى واجهتها إثيوبيا فى عقد الستينيات.

الفصل الخامس

المحافظون والإصلاحات الليبرالية

١٩٦٠ - ١٩٧٤

مع بداية الستينيات سمح مُرَكَّب المركزية السياسية والاقتصادية، والجهود الدبلوماسية، وتحديث الجيش.. سمح لإثيوبيا بتوسيع وتوطيد نطاق أراضيها. كما شرع الإمبراطور فى تأمين إدارته السياسية من خلال التوازن بين الاندماج التدريجى فى النظام الرأسمالى العالمى وبين التمسك بالمعالم المحافظة للبيروقراطية الإمبراطورية. وقد كان لهذه الرؤية غير المستقرة تداعيات مهمة بالنسبة للسلطات الملكية والدولة الإثيوبية.

كما استمرت إثيوبيا فى الظهور بوضعية وأهمية جديدة وأفضل فى القارة الأفريقية، والتى اكتسبتها أساسًا من الحوادث الحربية والسياسية المحيطة بالحرب العالمية الثانية وبعدها. غير أنه مع منتصف الستينيات كانت التناقضات والصراعات الكامنة والمنبثقة من سياسة حافة الهاوية للإمبراطور هيلا سيلاسى قد أدت إلى تفاقم التوترات فى الشئون السياسية الداخلية. وكانت الحقيقة الأهم هى أن الحضرنة والتصنيع والتتجرة قد أدت إلى تكوين طبقات قلقة جديدة وقفت بحدة ضد الجماعات القديمة والأكثر محافظة.

يضاف إلى ما سبق أن بذور السخط الحضرى قد انتشرت فى المواقع منخفضة التصنيع بالعاصمة أديس أبابا وأسمرة وديرى داوا. كما تسبب عدم النفاذ المتساوى للخدمات الحديثة فى إثارة أسئلة شائكة عن معنى الهوية العرقية، ومن ثم علاقة العرقية بالقومية والدولة- الأمة. كما كانت الجماعات المختلفة منشقة فى الغالب على أسس أكثر خصوصية فيما يتعلق بمواقفها من المسألة القومية. ونتيجة لهذا تسببت تطورات ما بعد

الحرب العالمية الثانية فى المزيد من تعقد شئون الدولة مع تبلور عرقيات جديدة، ومن ثم أدت المجادلات الصراعية فى النهاية إلى سلسلة من الصدامات العنيفة.

وفى مجال الدبلوماسية الدولية، برزت الولايات المتحدة فى صورة الدولة الأكثر تفضيلاً عند الدبلوماسية الإثيوبية وعلاقاتها الخارجية. وقد أملى هذا المسار رغبة إثيوبيا فى الحصول على المساعدة المالية والتقنية اللازمة لمشروعات التحديث إلى جانب استمرار البيروقراطية الإمبراطورية. كما كانت الولايات المتحدة محل تودد من جانب الحكومة الإثيوبية التى تريد منها موازنة التاريخ والإرث الاستعمارى لبريطانيا وفرنسا اللتين استمرتا فى حماية مصالحيهما ونفوذيهما فى إقليم القرن الأفريقى. وعند نهاية الحرب العالمية الثانية كانت الولايات المتحدة قد أصبحت أكبر شريك تجارى لإثيوبيا، حيث تستورد من إثيوبيا ٤٠٪ من صادراتها.

وعلى الرغم من إصدار إثيوبيا لبعض حوافز الأنشطة المنجمية، فقد كان هناك تحيز لصالح الواردات مقارنة برسوم التصدير. وتضمنت صادرات إثيوبيا: المسك، الجلود، الشمع، غير أن البن كان السلعة التصديرية الأكبر التى يذهب ٧٠٪ منها إلى الولايات المتحدة. وسيطر الأجانب على التجارة، على الرغم من وجود منافسة ضعيفة من طبقة وطنية ناشئة تعانى الافتقار للموارد. ومن خلال النفاذ المباشر إلى العائلة المالكة أو رعاية حلفاء الإمبراطور، استطاع بعض رجال الأعمال السيطرة على قطاعات اقتصادية محلية شملت مصانع النسيج والمشروبات.

وسيطر رأس المال الأجنبى على القطاع الصناعى الناشئ، وكان لهذا جانباه الإيجابى والسلبى. فقد افتقر أرباب الأعمال المحليون إلى رأس المال الضرورى للمشاركة فى تنمية القطاع الصناعى الحضرى، كما أن سعى الحكومة لزيادة إيراداتها من الضرائب الزراعية قد سجل نجاحًا محدودًا. ولهذا أصبحت الزراعة التجارية هى السياسة المفضلة، وتركزت المشروعات فى أقاليم مختارة مثل شوا، هررجى، تشيلالو، ولامو هوميرا، ووادى أواش. واتسعت العمليات الزراعية بفضل الاستثمارات الأجنبية. فحصلت شركة HVA الهولندية على مساحات واسعة لمزارع السكر وإقامة مصنع له فى ونجى.

غير أن هذه الأنشطة فى الوادى قد أعادت تشكيل الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للعديد من الجماعات الثقافية فى المنطقة. فجاء الأكثر تضررًا من شعوب: عفار، جيلى، كيريو، أورومو، حيث أزيح الفلاحين والرعاة لإفساح الطريق أمام توسع المشروعات التجارية.

كما تم إجلاء السكان شبه الرُّحَّل من المناطق المحيطة بالوادى، الأمر الذى زاد مشكلة الفقر الريفى تعقيدًا. كما كان من الآثار الجانبية للسياسات الحكومية إنهاك التربة الزراعية وانتشار الجفاف والمجاعات التى أزهقت مئات الآلاف من الأرواح، حيث تحولت المراعى التقليدية والمناطق العازلة بيئيًا إلى أيدى أصحاب المشروعات التجارية.

وواجهت إثيوبيا مشكلة بنيوية رئيسية أخرى فى محاولتها تصنيع القاعدة الزراعية. فقد أدى انخفاض أسعار المواد الأولية المصدرة وارتفاع أسعار الواردات إلى تقويض الأسس الاقتصادية لنمو الدولة. إلا أن الأهم كان افتقار القاعدة الاقتصادية الزراعية فى إثيوبيا للدعم المالى المطلوب من جانب الدولة للمنافسة الكفؤ فى السوق العالمية. وقد طالب رأس المال الأجنبى والمانحون الدوليون إثيوبيا بتفكيك ما وصفه كثيرون بالبنية الإقطاعية العتيقة المزعوم أنها تشكل العائق الأساسى أمام إدماج القطاع الريفى فى السوق العالمية.

ومثلما كان الحال فى معظم البلدان الأفريقية ما بعد الاستعمار من حيث اتسام اقتصادها السياسى بسياسات التنمية ذاتها، لجأت إثيوبيا إلى القروض الأجنبية لتضييق الفجوة بين الإيرادات والنفقات الوطنية. كما اتسم هذا العهد ليس فقط بالتبعية لرأس المال الأجنبى، وإنما أيضًا بالتبعات المنطقية لهذه العلاقة غير المتكافئة. وتضمن هذا التأثير الخارجى الساحق على البرامج المحلية فى القطاعات الاجتماعية والاقتصادية والدفاع الوطنى. وتضخمت ديون إثيوبيا للعالم الخارجى، حيث أصبحت الولايات المتحدة الدائن الرئيسى والمؤثر النافذ للسياسة الخارجية الإثيوبية.

كما كانت هناك عقبات أخرى تمثلت فى فشل الحكومة الإثيوبية فى إجراء إصلاح تقدمى للعلاقات الزراعية الفلاحية والاجتماعية- الاقتصادية. وأدت الطبيعة الأرستقراطية والحصرية لتصدير المواد الأولية إلى خلق فجوة بين النخب وبقية المواطنين. ولم تشجع

سياسات الإقراض المحلى الصناعات الصغيرة ولم تُزد حجم طبقة أرباب الأعمال المحليين. كما لم يكن مستوى الأمية المرتفع جدًا مساعدًا على بناء طبقة وسطى كبيرة الحجم بما يكفى لتنفيذ مبادرات تنموية وطنية طموحة. وعلى الرغم من امتلاك إثيوبيا لتاريخ طويل من التعليم إلا أنه كان مقتصرًا فى الغالب على الكتبة الرسميين فى القضاء والكنيسة.

وبينما كان أثر التطور البنيوى فى الممارسات الزراعية معتدلاً- وإن كان أساسيًا- بالنسبة للنخب، كان أثره أكثر حدة على الفلاحين. ففى الواقع أفادت تتجرة الممارسات الزراعية النخب مثل الحكام التقليديين، ولكن على الرغم من الاستفادة المالية للكثيرين منهم فإنهم لم يفقدوا استقلالهم السياسى فقط وإنما تآكلت أيضًا أهميتهم فى الأنشطة المحلية. وقد أدت التتجرة السريعة للزراعة- حسب المؤرخ تيشالى تبيبو **Teshale Tibebu**- إلى "إنهاء الطابع الفلاحي" للأسر المعيشية، حيث تمت خصخصة الأراضى الزراعية دون تمييز. وقال إنه كجزء من هذه العملية صارت خطط التنمية وسائل يستولى من خلالها الموظفون الفاسدون على الموارد تحت المظاهر الزائفة للعديد من مشروعات "الفيل الأبيض"(١)، وأصبح بعض أولئك الموظفين فيما بعد رجال أعمال جددًا.

قلبت تتجرة الزراعة العلاقات القديمة، كما أدى إنهاك التربة الزراعية إلى هجرة الفلاحين المتزايدة إلى المناطق الحضرية. وقد تسبب اختراق الاقتصادات التقليدية فى زيادة الضغوط السكانية والاضطرابات الاجتماعية التى فاقمت بدورها من الجريمة والبغاء فى الحضر. بيد أن إثيوبيا شرعت فى بناء مؤسسات جديدة لخدمة مبادراتها التنموية. ومن أمثلة ذلك إنشاء الحكومة وكالة أساسية لتعبئة وتوجيه رأس المال لصالح التنمية الزراعية من خلال "بنك التنمية الإثيوبى" و "المؤسسة الإثيوبية للاستثمار" اللذين اندمجا فيما بعد وكونا "بنك التنمية الزراعية والصناعية". وسمح البنك للبرجوازية الإثيوبية الناشئة بالسيطرة على بعض مزارع البن. غير أن معظم المستفيدين كانوا من أبناء الأسر الأرستقراطية أو الحاصلين على منح الأراضى الإمبراطورية، والذين كانوا قريبين جدًا من صياغة نظام رأسمالى ديمقراطى.

---

(١) تعبير يطلق على مشروعات ضخمة، تستهلك موارد هائلة، وليس لها أولوية منطقية (اجتماعيًا أو اقتصاديًا) ويفضلها الزعماء على سبيل الدعاية، وربما جنون العظمة- المترجم. وغالبًا ما تفشل.

اعتمدت خطة التنمية الخمسية الأولى فى إثيوبيا (١٩٥٧- ١٩٦١) على تنمية بنية تحتية قوية خاصة فى مجالات النقل والتشييد والاتصالات. ومن الناحية النظرية كانت تلك المشروعات جهدًا تكامليًا يستهدف إدماج الأقاليم الإثيوبية البعيدة، خاصة تلك خارج النطاق الحضرى لأديس أبابا العاصمة. كما كان من الفوائد الإضافية تقليل اعتماد إثيوبيا على الأجانب، حيث جرى التشديد على تأسيس كوادر محلية ماهرة قادرة على إدارة الاقتصاد الصناعى الناشئ.

غير أن التنمية كانت منحصرة فى المدن الرئيسية وتقاس فقط باستغلال الموارد الاقتصادية المتاحة فى كل إقليم وليس بتحسين نوعية الحياة فى المناطق الطرفية البائسة. وصُمِّمت الخطة الخمسية الثانية (١٩٦٢- ١٩٦٧) لتدشين برنامج من ٢٠ عامًا لتغيير الاقتصاد الزراعى فى إثيوبيا إلى اقتصاد زراعي- صناعى. وتضمنت مشروعات لتنويع الإنتاج وإدخال أساليب حديثة وتوسيع القدرة الإنتاجية من أجل زيادة معدل النمو. أما الخطة الخمسية الثالثة (١٩٦٨- ١٩٧٣) فقد استهدفت أيضًا زيادة الإنتاجية فى القطاع الزراعى، وبما يخدم صالح الفلاحين خاصة. كما تضمنت الخطة التوسع فى فرص التعليم.

وعلى الرغم من إجراء بعض التنويع فى الاقتصاد الإثيوبى، فى قطاعى الصناعات التحويلية والخدمات مثلاً، فقد استفاد المزارعون التجاريون وكبار الملاك بدرجة أكبر حيث كان حصولهم على الائتمان أيسر. وقد فشلت البرامج الاقتصادية فى تحسين حيوات معظم الإثيوبيين. إذ إن قرابة أربعة أخماس السكان كانوا من فلاحى محاصيل البقاء الذين يعيشون فى فقر. يضاف إلى هذا إجبار الفلاحين على دفع الضرائب والريوع والديون والرشا. لكن كان هناك مجال آخر أمكن للفلاحين من خلاله تحقيق بعض الربح، وهو إنتاج الجلود للتصدير. وقد ساعدت الدولة التربية التقليدية للماشية لتكون ثانى أكبر قطاع لتصدير السلع الأولية، ومع ذلك كانت الفوائد هامشية أو غير ثابتة.

تبين السجلات أن الميزان التجارى الإثيوبى مع العالم الخارجى فى الفترة ١٩٥٣- ١٩٧٤ قد حقق عجزًا دائمًا فيما عدا عام ١٩٧٣ حيث ساعدت مبيعات البذور الزيتية والبقول فى تخفيف الضغط على الاقتصاد. ونتيجة لهذا الوضع الاقتصادى لجأت إثيوبيا إلى المنح والقروض الأجنبية لتمويل العجز فى ميزان مدفوعاتها.

كما كانت هناك أيضًا آثار جانبية غير مرحب بها لخطط التنمية الإثيوبية. فعلى الرغم من تعويل الإمبراطور هيلا سيلاسى فى سياسة التحديث على النخبة المتعلمة، فإن المؤسسات التعليمية الرئيسية وغيرها من المرافق الاجتماعية أنشئت أساسًا فى مركز البلاد وسيطرت عليها عرقية الأمهرة الحاكمة. وكان معنى الإهمال العام للرعاية الصحية والإسكان والصرف الصحى والمياه، انعدام تدابير الأمان المحلية اللازمة للتعامل مع مشكلات الفقر والجهل والمرض. وشاعت التمردات الفلاحية، لكنها كانت غير منظمة فى أغلب الأحوال وافتقرت إلى القيادة الاستراتيجية. كما وقعت أيضًا حركات مقاومة متفرقة مثل الانتفاضات ضد الضرائب فى بالى ١٩٦٤ وجوجام ١٩٦٨.

وقد حاول الأجانب مثل أرباب الأعمال الآسيويين ومتطوعى "فيلق السلام الأمريكي" سد بعض ثغرات وفشل الخدمات الاجتماعية. وتسببت أوجه اللا مساواة الكبيرة فى توليد الغضب على نتائج سياسة الدولة وسط جماعات متعددة مثل أورومو، صومالى، والإريتريين. وزعم بعض معارضى الحكم أن مسار عمل الدولة هو فى حقيقته استراتيجية سياسية للتهميش المنظم للمواطنين بحرمانهم من الفرص الاقتصادية والسياسية.

وشدد آخرون على أن المركز لم يُبْدِ اهتمامًا بالاستمرار الثقافى والتاريخى لمختلف الجماعات المخضَعة. وقد أدى الأثر الاجتماعى لسياسات التنمية التى تتبعها الدولة، وبشكل تدريجى، إلى تقويض، بدلاً من دعم، نظام الإمبراطور هيلا سيلاسى. وعلى الرغم من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية المفصلة سابقًا، فقد استمر الإمبراطور فى تعزيز صورته، بوصفه المستبد الخيِّر ونصير الحداثة. كما حافظ أيضًا على التوازن الدقيق بين الإصلاحية السياسية، والنشاط الخيرى، والحكم المطلق، وأصبح أكثر حنكة فى حشد الأنصار والعقاب أيضًا، بهدف حماية سلطته السياسية ومنعها من التآكل. واستطاع من خلال التوظيف المرن للجيش والبيروقراطية والنخب المتعلمة أن ينجح تمامًا فى ترسيخ منظومة قيم الهيمنة الإمبراطورية حتى الستينيات.

لكن أصبحت معارضة الإمبراطور وسياساته أكثر تشددًا، خاصة وسط المثقفين وأعداد متزايدة من الطلبة الراديكاليين. وجدير بالذكر أيضًا أنه قد وجد وسط أولئك الطلبة بعض أبناء الأرستقراطية وجيل جديد من المتعلمين فى الخارج تحت الرعاية الإمبراطورية.

أصبيت جماعات النخب الفكرية بالإحباط بسبب الفرص المحدودة للتعبير عن آراء سياسية أخرى أو بديلة، كما تبلورت جماعة كبيرة الحجم أخذت تطالب بإصلاحين اجتماعى وسياسى جذريين. ومن المثقفين المعروفين فى هذه الأنشطة جارمامى نيواى Garmame Neway المتعلم فى الولايات المتحدة، والذى ارتفعت أسهمه وسط المثقفين بسبب مهاراته فى التنظيم الشعبوى والإصلاح المبدع والتقدمى فى مجال الخدمة المدنية. لكن المؤسسة السياسية اعتبرته خطرًا وحاولت عزله جماهيريًا، وهو ما أسهم فى زيادة إحباطه السياسى. وانتهى به الأمر إلى التحول لأخيه الجنرال منجستو نيواى Mangestu Neway قائد الحرس الشخصى للإمبراطور، وشرع الشقيقان فى تنفيذ انقلاب عام ١٩٦٠.

الانقلاب العسكرى:

ضرب الشقيقان ضربتهما يوم ١٣ ديسمبر ١٩٦٠، بينما كان الإمبراطور هيلا سيلاسى يقوم بزيارة رسمية فى أمريكا الجنوبية. وأصدر الانقلابيون بيانًا شجبوا فيه تخلف إثيوبياخاصة بالمقارنة مع دول أفريقية أخرى بعد انتهاء الاستعمار، ووعدوا بتوسيع القاعدة الصناعية والتعليمية للبلاد. كما توددوا للجيش للحصول على تأييده، مقابل زيادة الرواتب. وسجل الانقلاب مكاسب أولية فى العاصمة، فاحتجزوا ولى العهد وأكثر من ٢٠ وزيرًا ومسئولاً حكوميًا. وأمروا ولى العهد بقراءة بيان عبر الراديو، تضمّن أنه على الرغم من تاريخ إثيوبيا الذى يمتد لثلاثة آلاف عام لم يتحقق سوى القليل أو لم يتحقق أى تقدم على الإطلاق فى الزراعة أو التجارة أو الصناعة. كما تأسَّف الخطاب على "جهل ومستوى معيشة" الشعب الإثيوبى. وساعدت هذه الكلمة فى ضمان التأييد من جانب طلاب الجامعة، وقد تظاهر الكثيرون منهم فى أديس أبابا لتأكيد موقفهم المعارض.

لكن هذه الثورة المقترحة تقوضت بسبب سوء التخطيط. وعلى الرغم من وعد الانقلابيين بتحسين الأحوال الاجتماعية للفلاحين فإنهم أقروا فى الوقت نفسه باستمرار السلطة المَلَكية. كما وعدوا باحترام الالتزامات الدولية السابقة. بيد أن الأمر الذى جلب التبعات الأكثر مأساوية على المخططين كان الافتقار إلى تأييد الحرس الإمبراطورى. وعلى الرغم من أن الجيش كان بمثابة العمود الفقرى للتمرد فقد فشل المخططين فى إبلاغ الأعضاء

الرئيسيين من ضباط الجيش أو سلاح الجو. ونتيجة لهذا التقصير استطاعت القوى الموالية للعرش استغلال ما تحت يديها من قوات فى سحق المتمردين، وقتل جارمامى فى المواجهات بينما أصيب شقيقه منجستو ووقع فى الأسر حيث شُنِق فيما بعد فى محاكمة قصيرة.

وعلى الرغم من تظاهر طلاب الجامعة تأييدًا للانقلاب فإن القوة الرئيسية فى الجيش والطيران ظلت على ولائها للإمبراطور. كما رفضت الكنيسة المحاولة الانقلابية، وأدان بطريرك الكنيسة الإثيوبية المتمردين بوصفهم خونة وأعداء للدين وأقام الصلوات لنصرة أولئك الذين حاربوا من أجل النظام المحافظ. بل ودعت الكنيسة المواطنين إلى تأكيد واجبهم التقليدى فى إظهار الولاء للإمبراطور.

وعاد الإمبراطور سيلاسى إلى العاصمة يوم ١٧ ديسمبر ليستعيد عرشه وسط آلاف المبتهجين. ورأى البعض أن سيلاسى استطاع الحفاظ على شعبيته وسط السكان لأسباب تاريخية ووجودية. فقد رأى فيه كثير من الإثيوبيين رمزًا مقدسًا للبسالة الوطنية، والحاكم الذى استطاع تجاوز مصاعب ما قبل وما بعد الحرب العالمية الثانية، كما نظرت إليه الأجيال القديمة بوجه خاص كتجسيد لكل من النظام التقليدى والطموح للدولة الحديثة.

وعلى الرغم من فشل الانقلاب، فقد عمَّق الانشقاق السياسى خاصةمن جانب الساخطين بسبب غياب الإصلاحين السياسى والاقتصادى. ويضاف إلى هذا أن الطبقة المتوسطة الإثيوبية وطبقة المتعلمين الحديثة، وبخاصة التكنوقراط الذين لم يجدوا وظائف أو فرصًا تناسب طموحاتهم الخاصة فى الحراك لأعلى، استمروا فى هجاء النفوذ الدائم للنبلاء التقليديين وكبار ملاك الأراضى. وانتقد كثيرون ما وصفوه بالجمودين الاجتماعى والاقتصادى فى الخدمة المدنية وغيرها من الهيئات التى تديرها الحكومة. وقد ازداد إحباطهم حدة بمقارنة السياسات الإثيوبية المحافظة بسياسات الدول الأفريقية الأخرى الأكثر طموحًا تحت قيادة وطنييها فيما بعد الحرب والاستعمار.

وما يساوى ما سبق فى الأهمية نشوء حركة راديكالية جديدة كانت أكثر جرأة وسط الطلاب الغاضبين من دخول إثيوبيا رسميًا فى "أطراف الأسواق العالمية" التى تسودها الاقتصادات الغربية. وقد أدانت هذه الجماعة من المثقفين ما اعتبرته سياسات تنموية على النمط الاستعمارى ترسخ مستقبل إثيوبيا بوصفها عاملة أبدًا فى العلاقات الاقتصادية الدولية.

ولما كانت التنمية الاقتصادية الإثيوبية معتمدة- إلى حد كبير- على إنتاج البن، فإن عرقية الأورومو التى تشكل الكتلة الرئيسية من السكان فى الإقليم الزراعى قد عرفت تعزيزًا كبيرًا لعلاقات المالك- المستأجر. وقد ازداد إنتاج إثيوبيا من البن فى الفترة من ١٩٦١ إلى ١٩٧٢ من ٧٥ ألف طن إلى أكثر من ١١١ ألف طن، وحيث جاء أكثر من نصف الإنتاج من مقاطعتى كافًا وسيدامو المعروفتين بغلبة السكان الأورومو.

وتسببت التوترات بين المستوطنين الأمهرة- التيجراى والفلاحين الأورومو فى وقوع صدامات عنيفة، نتيجة لحقيقة أن المستوطنين والمستثمرين والمضاربين هم من كانوا يجنون أرباح المبيعات بينما يصارع الفلاحون من أجل إطعام أسرهم. كما نتج عن انتزاع المناطق المجاورة الغنية بالبن من مقاطعتى سيدامو وجيديو وقوع نوبات تمرد عنيفة كان يعقبها عادة حملات قمعية وعقابية من جانب الحكومة.

ومن المحركات الأخرى للاضطرابات والسخط الاجتماعى التباين فى ملكية الأرض بين الإقليمين الشمالى والجنوبى فى إثيوبيا. ففى مقاطعات الأمهرة- التيجراى الشمالية، أى قاعدة السلطة الإمبراطورية، كانت ملكية الأرض ممنوحة لجماعات القرابة. وظلت الملكية الفلاحية محمية بنظام الرست **rist** الذى يلزم الرعايا بدفع الضريبة. كما كان للنبلاء والكنائس الحاصلين على منح الأراضى الإمبراطورية وفق نظام الجلت **gult** استخلاص الفوائض من الفلاحين فى صورة ضريبة ومنتجات وإيجارات وخدمات. أما فى الجنوب فقد عرف وجود الملاك الغرباء **neftagna** والرؤساء التقليديين المحليين **balabbat** الذين كانت لهم أيضًا وضعية كبار الملاك. وبالإضافة إلى استخدام الإجبار والقانون، وفر الدِّين المؤسسات السياسية والأيديولوجية الرئيسية التى ساعدت فى إعادة إنتاج هذه السلسلة من العلاقات غير المتكافئة.

ونتج عن تنمية الملكية الخاصة للأرض نزع أراضى الفلاحين الذين أجبروا على التحول لمستأجرين. وفى مناطق أخرى تسبب نفوذ المستوطنين (ومعظمهم مسيحيون) على الأغلبية من السكان المسلمين أو الوثنيين، تسبب فى المزيد من تعقيد الشعور السائد بالاغتراب وسط الفلاحين. ويضاف إلى هذا تعطل العلاقات الثقافية- الاجتماعية التقليدية نتيجة إدخال الزراعة الآلية كبيرة الحجم. وعلى سبيل المثال أنهى إعلان عام ١٩٦٦ بتعديل ضريبة الأرض حقوق حيازة الأرض بنظام الرست والجلت، بينما احتفظ

كبار الملاك بملكية خاصة لأراضيهم الواسعة. وكان من نتائج الجمع بين سياسة التاج فى منح الأراضى، وهى من سمات علاقات الزبائنية السياسية، وبين التوسع فى تتجرة الزراعة، زيادة فجوة اللا مساواة الاجتماعية والاقتصادية فى الريف.

وقد حاولت الحكومة تخفيف العبء الضريبى عن الفلاحين، فأدخلت عام ١٩٦٧ تعديلاً على ضريبة الدخل أنهى ضريبة العشور، وأحل محلها ضريبة تصاعدية على الإيرادات الزراعية، بما فيها الإيجارات. غير أن هذا التعديل أثار غضب الملاك، فقامت العناصر المحافظة بتعبئة البرلمان الذى أوقف تنفيذ القانون عمليًا. ونتيجة لذلك تزايد السخط على السياسات الاقتصادية للحكومة، وتنامت معارضة ثورية فى المدن والريف.

وعلى الرغم من أن الخمسينيات والستينيات قد شهدتا معدل نمو سنوى فى الصناعات التحويلية يقترب من ١١٪، ظلت شروط عمل وحياة العمال بائسة فى القطاع الاقتصادى- الصناعى الحضرى. فقد كان العامل الصناعى المتوسط يحصل يوميًا على ما يتراوح بين ٤٠ سنتًا و ١,٢٥ دولار أمريكى، وقد هدد انخفاض الأجور واتساع البطالة الحضرية بقاء البيروقراطية الإمبراطورية. ولكن رغم تنامى هذا الخطر استمرت السلطات فى السياسات ذاتها دون تروٍ، وفى الوقت نفسه توسعت فى القدرات الأمنية والدفاعية للدولة.

وفى أغلب الأحيان أدت حملات القمع الحكومية إلى سقوط قتلى من الفلاحين فى مختلف أنحاء البلد. وحُذِّرت النقابات العمالية من الشروع فى تنظيم احتجاجات، وعومل المنشقون بالتدمير الفورى للممتلكات وغيرها من أشكال عنف الدولة. وقد تسببت البيئتان الاجتماعية والسياسية فى استمرار وإذكاء صعود إنتلجنسيا ثورية وحركة طلابية راديكالية.

ويرى البعض أن ازدياد راديكالية الطلاب الإثيوبيين يرجع إلى مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية. فالطلاب انطلاقًا من قواعدهم المؤسسية الخاصة يعتنقون غالبًا "حقوق الأمم فى تقرير مصيرها". وعبر آخرون عن عدم رضاهم عن التراتبية الاجتماعية والسياسية فى وطنهم، وحركتهم الرغبة فى بناء إثيوبيا تقوم على فكرة "المساواة والرضا". وجاءت تأثيرات أخرى على الطلاب الإثيوبيين من تواصلهم مع نظرائهم الطلاب من بلدان أفريقية أخرى والعالم بشكل عام.

وجاء نقد تاريخى فكرى لإثيوبيا فى غمار الانتقال من المفكر باهرو زودى Bahru Zewde الذى شدد على أنه على الرغم من رغبة المثقفين قبل الغزو الإيطالى فى ضمان المساواة بين كل الأقاليم، وفصل الكنيسة عن الدولة، فإن نظرياتهم عن التقدم اتسمت بحدود دنيا من المنهجيات القويمة للبحث العلمى. أما أنشطة مثقفى ما بعد الغزو، وبخاصة الحركة الطلابية، فقد كانت مدفوعة إلى حد كبير برغبة نظرية فى تصفية القهر والهيمنة الطبقية والعرقية. غير أن هذه الجماعة قد عانت من أوجه قصور رئيسية بسبب كون معظم النشطاء / الباحثين يمتلكون خبرة قليلة بالتقاليد الديمقراطية والنقدية. ونتيجة لذلك كانت نزعة تحطيم الأيقونات التقليدية هى السائدة دون تحديد دقيق للفوارق. وعلى الرغم من هذه التحفظات استنتج زودى أن هذين الوسطين الثقافيين قد حملا بكرامة عبء مقاومة البيروقراطية الإمبراطورية، وبروزا بوصفهم أبطال فى التاريخ الإثيوبي.

وكان صعود المعارضة الطلابية مثلاً آخر على المفارقة التاريخية لإثيوبيا فيما بعد الحرب العالمية الثانية. وكان العامل الأولى فى هذه الظاهرة هو انتشار مؤسسات التعليم الثانوى والعالى. فقد باشرت وزارة التعليم منذ ديسمبر ١٩٤٩ خطة لجامعة المستقبل. كما أسهمت الإرساليات المسيحية وأفراد آخرون فى نمو الاستثمارين العام والخاص فى التعليم. وفى عام ١٩٥٠ تأسست جامعة أديس أبابا بناء على طلب الإمبراطور سيلاسى وبمساعدة عضو الجيزويت الكندى الدكتور لوسيان ماتى Lucien Matte. وبدأت المؤسسة ككلية من عامين دراسيين عرفت بكلية أديس أبابا الجامعية UCAA وتوسعت فيما بعد لتشمل كليتى الهندسة والبناء فى أديس أبابا. وعلى الرغم من بدء العمل بالجامعة عام ١٩٥١ فقد انتسبت لجامعة لندن فى غضون عامين. وعلى درجة الأهمية نفسها أنشئت كلية الزراعة كثمرة للتعاون مع كلية أوكلاهوما للزراعة والميكانيكا OAMC. وافتتحت مدرسة جيما الزراعية والتكنيكية فى أكتوبر ١٩٥٢ لتكون مصدر إمداد أساسى بالطلاب لكلية الزراعة والفنون الميكانيكية IECAMA والتى أطلق عليها فيما بعد كلية زراعة أليمايا ACA. كما أنشئت كلية للصحة العامة فى جوندار. وفى عام ١٩٦١ اختير عدد من الكليات المختلفة لتشكل ما عرف بجامعة هيلا سيلاسى الأول.

وعلى الرغم من أن التركيز أصبح على التوسع فى المنشآت التعليمية، واستمرار زيادة أعداد الطلاب المحليين المسجلين، فإن الكثير من الشباب الإثيوبى استمروا فى

طلب التعليم العالى خارج البلاد، وكانت الولايات المتحدة هى المقصد المفضل لهم. ومن ثم برزت فيما بعد كيانات طلابية بالخارج مثل اتحاد طلاب إثيوبيا فى أمريكا الشمالية ESUNA واتحاد الطلاب الإثيوبيين فى أوروبا ESUE، وغيرها من الكيانات التى شاركت بفاعلية فى الأنشطة السياسية داخل الوطن.

وقد بدأ العمل ببرنامج مهم آخر عام ١٩٦٤ وهو برنامج خدمة الجامعة الإثيوبية EUS والذى تطلب من كل طالب أكمل العام الأكاديمى الثالث بأن يقضى عامًا فى خدمة البلاد فى مجاله. ونتج عن البرنامج احتكاك الطلاب بالحياة فى الريف، حيث قاموا فى الغالب بمهام تدريس فى المدارس الثانوية، وهو ما ساعد فى اطلاع أجيال شابة جديدة على الأفكار الاجتماعية والسياسية الوطنية. والأهم أن كثيرًا من الطلاب شاهدوا للمرة الأولى الأوضاع المؤلمة التى يعيشها أغلب الفلاحين، الأمر الذى ساعد فى تحول كثير من الطلاب إلى السياسة الراديكالية وازدياد أنشطتهم المعارضة للوضع القائم. كما انتشرت المطبوعات السياسية، والنقد الاجتماعى، والسخرية وسط السكان، وامتد هذا إلى الشعر والتجمعات.

ومع أواسط الستينيات بدأت الأفكار الماركسية تنتشر وسط الحركة الطلابية. وصاحب هذا نشأة نواة راديكالية عرفت باسم "التماسيح" وسط الكادر القيادى للحركة الطلابية. وقد وفرت الماركسية اللينينية طريقًا مبدئيًا لرفض الغرب الذى يدعم هيلا سيلاسى وما وصفه النقاد بتخلف إثيوبيا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، كما مثلت طريقًا نحو تحقيق الرفاهية المادية الحديثة خارج النفوذين الاقتصادى والسياسى للغرب. وقد تأسست الدعاوى التاريخية للأهداف الطوباوية للماركسية الإثيوبية على الثورتين الروسية والصينية كموقعين للتحول التاريخى البديل. غير أن أقلية طلابية- ولكنها بارزة- عبرت عن رغبتها فى الحرية والسياسية وتقرير المصير بلغة الليبرالية الغربية.

وأضافت مجموعة أخرى من المثقفين الشباب صوتها إلى صوت جيل ما بعد الحرب فى المواقع الكوزموبوليتانية الأفريقية. وعبروا عن التوق العارم إلى إدخال تغييرات لتحقيق تحولات اجتماعية وسياسية ذات طابع ثورى، وكذا تضامنهم مع الفورة المعادية للإمبريالية والاستعمار فى أفريقيا والعالم. وقد عرفت تلك الفترة ازدهارًا فى أدب الأمهرة والفن التجريدى، وشخصيات مثل منجستو لامّا Mangestu Lamma وتسجاى

جبرا- مادهن Tsagaye Gabra-Madhen فى كتابة الدراما المسرحية، وروائيين مثل برهانو زرهون Berhanu Zerihun، بألو جرما Ba'alu Germa، وهديس ألامياهو Haddis Alamayahu، وجربا- كريستوس داستا Garba-Krestos Dasta فى الفن التجريدي.

وأصبحت الشعبية المتنامية هى صيحة المعركة الماركسية ضد البرجوازية، والجمل الليبرالية الأثيرة مثل "حرية الكلام" و"تقرير المصير"، مبعث إحباط للحكم الذى كان لا يزال يعانى آثار المحاولة الانقلابية. وكان تكوين الهيئة الجامعة باسم اتحاد الطلاب الجامعيين فى أديس أبابا USUAA تعبيرًا عن صعود اليسار في السياسة الطلابية. وقد ردت السلطات على الاحتجاجات الطلابية بفصل النشطاء وإغلاق المؤسسات.

ويعد عام ١٩٦٥ نقطة تحول حيث رفع شعار "الأرض لمن يفلحها" الذى أصبح أنشودة شعبية، وعلامة على الانتقال من عهد إصلاحى إلى عهد ثورى فى الإطار الإدراكى والعملياتى للأنشطة المعارضة. وحينما بدأ البرلمان فى مناقشة تنظيم الإيجارات الزراعية عام ١٩٦٥ عبَّر الطلاب عن آرائهم بإدانة واضحة للنظام الإثيوبى. واتهم بعض العلماء الطلاب بأنهم يخطئون بسلوك طريق الثورة من نهايته. فرأى الفيلسوف ميسى كبيدى Messe Kebede أن شعار "الأرض لمن يفلحها" - فى انبهاره البالغ بالأرثوذكسية الاشتراكية- يجهض بذور النمو الممكن الكامن فى الحياة السياسية الإثيوبية، وأن هذا ينطبق- بشكل خاص- فى الجنوب حيث تمثل جذور المشروع الفردى أفضل فرص البقاء. واستخلص أن الثورة الغوغائية ستؤدى بالكفاح من أجل تحرير الفلاحين إلى نتيجة ليست فى الحسبان بانعدام كامل للثقة فى المشروع الخاص والسوق. أما إمكانية سلوك طريق بديل صوب التقدم فترتبط فى أن تقوم الدولة فيما بعد بتجميع الأراضى الخاصة لأغراض تجارية.

وبينما نشط الطلاب والمثقفون فى معظم الأحوال من قواعدهم فى المدن، خاصة أديس أبابا، نشبت التمردات الفلاحية المتفرقة فى الريف ضد سياسات الدولة. وكان للاضطراب الاقتصادى والفقر المتفشى فى الريف أن يجتمعا مع التمرد السياسى المتنامى، وشكوى الجماعات العرقية والسياسية من مركزة السلطة فى يدى التاج الإثيوبى.

كما ساعد فشل البنية الإدارية الفيدرالية الإمبراطورية فى إدامة وليس تخفيف اللا مساواة الاقتصادية. فقد أدى نقل السلطات المحلية إلى المعينين من قِبل الدولة كجزء من إصلاحات ما بعد الحرب العالمية الثانية، إلى فقدان سيطرة القيادات التقليدية على شئون الأقاليم لصالح شخوص السلطة المركزية فى أديس أبابا. وعلى الرغم من أن بعض الجماعات الثقافية والدينية قد عبرت عن مقاومة ضعيفة لدورهم ووضعهم الهامشى فى الدولة الأيوبية، التقط البعض الآخر نقاطًا حساسة لينطلقوا منها مثل هيمنة الكنيسة الأرثوذكسية على المسلمين والأرواحيين، والهيمنة المستمرة للممارسات الاجتماعية والثقافية والسياسية الأمهرية على جماعات الأقلية.

وأرجع البعض التشديد الكبير على العرقية فى الدولة الإثيوبية فى القرن ٢٠ إلى تزايد الحاجة إلى الحياة الحديثة، الاستهلاك الفردى، وعدم كفاءة آليات الدولة فى الإدارة وإعادة التوزيع. فعلى النقيض من المجتمعات الحديثة حيث يقوم الاقتصاد على المنافسة فى خلق موارد جديدة، عرفت إثيوبيا تخلفًا مزمنًا عبر عن نفسه بشكل غالب فى التنافس العنيف على الموارد النادرة. وأدت زيادة معدل النمو السكانى والانتشار غير المتساوى للتعليم الحديث فى إثيوبيا إلى تفاقم كل من الندرة والتنافس. ونتيجة لهذا أصبح الطريق الوحيد للسيطرة على الموارد هو انتزاع السلطة وإعمال مختلف أشكال السياسات الاستبعادية من جانب الدولة وحلفائها.

المسألة القومية فى إثيوبيا بعد الحرب العالمية الثانية:

وبينما كانت إثيوبيا تواجه تلك المشكلات الاقتصادية الضاغطة، شهدت الدولة أيضًا انفجار صراع المصالح والطموحات المتباينة، ما هدد النسيج الاجتماعى للبلد. وتزايدت طموحات التمرد بفعل اجتماع العوامل الجيو سياسية المحلية والخارجية. فالدولة الإثيوبية تعير القليل من الاهتمام، أو لا تهتم على الإطلاق، بالإشارة فى سردياتها الرسمية أو وثائقها المكتوبة إلى التنوع العرقى واللغوى والدينى. وبالإضافة إلى هذا كانت هناك لا مساواة هيكلية فى تمويل المشروعات التنموية ودعم الثقافات والديانات واللغات المختلفة. وفى أعقاب التطورات الجيو سياسية المتسارعة التى وسمت الحرب

العالمية الثانية، انكشف الكثير من الوعود الجوفاء مثل اقتراح الحكومة البريطانية بدعم المطلب القومى الإريترى شرط تمرد الأخيرة على مصالح الاستعمار الإيطالى.

لقد كان هناك اعتراف عام بكون القرن الأفريقى منطقة غنية بتاريخ من علاقات الفائدة المتبادلة بين جماعاتها مع وقوع بعض الصراعات الدورية. غير أن أواخر القرن ١٩ شهدت نشوء دوافع سياسية شوهت هذا المنطق الجيو سياسى المتبادل فى الإقليم. ووجه الاتهام للتاج الإمبراطورى بمحاولته فرض وضعية "الرعايا" و"التابعين" الطرفيين على الجماعات الثقافية الأخرى بهدف تطويعها بدلاً من حمايتها. ونتيجة لهذا اتخذت جماعات كثيرة مواقف أكثر صرامة فى معارضتها للحكم الملكى المطلق والضرائب والسياسات المتعلقة بالأرض.

وأدى عدم الرضا عن البنية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التراتبية للدولة الإثيوبية (القائمة على السيطرة الثقافية الأمهرية) إلى التعجيل بنشأة مشروعات جديدة لسرديات تاريخية جديدة. وكانت السرديات القديمة قد دأبت على وصف رعايا الدولة الإثيوبية القديمة بوصفهم جماعات ثقافية تعمل فى وجود متوازٍ. وهو ما برز فى نشأة نظم معرفية مزدوجة وثنائية الرؤى للعالم. ومع منتصف القرن ٢٠ برزت هذه الجماعات فى المجال العام والساحة الدولية كحركات قومية ذات تعبيرات متزايدة العنف وأساطير متناقضة عن أمجاد الماضى والمستقبل. وأسهم فى تفاقم التوتر جمود وتخلف الاقتصاد الإثيوبى.

خرجت إثيوبيا من الحرب العالمية الثانية تملؤها الرغبة فى النفاذ إلى ساحلها التقليدى على البحر الأحمر الكائن فى المنطقة الإريترية. وقد حرصت المصالح الاستعمارية فى القرن الأفريقى خاصة أثناء الحكم الإيطالى لإريتريا، على أن تظل إثيوبيا دولة حبيسة. وبينما دافعت إثيوبيا عن الروابط بين الدولة القديمة وإريتريا رفض القوميون الإريتريون الادعاء الإثيوبى وأكدوا أنهم قد تمتعوا دومًا بعلاقات تاريخية مستقلة مع الدول بما فيها تلك التى أنشأتها السلالة الملكية السليمانية. كما زعموا أن إريتريا المحكومة إيطاليًا لم تقع قط تحت سيطرة إثيوبيا الحديثة.

ظلت إريتريا تدار بعد انتهاء الاحتلال الإيطالى بواسطة بريطانيا العظمى حتى ١٩٥٠، حينما قررت الأمم المتحدة توحيد إريتريا فيدراليًا مع إثيوبيا. ودعا قرار الأمم

المتحدة لأن تكون لإريتريا سلطات تشريعية وقضائية وتنفيذية مستقلة ذاتيًا. وكجزء من الوضعية "الفيدرالية" داخل الدولة الإثيوبية حصلت إريتريا أيضًا، نظريًا، على بعض الصلاحيات فى الشئون المحلية والعلاقات الدولية والتجارة الخارجية والدفاع والاتصالات والعُملة. وبالإضافة إلى ذلك، يتشكل مجلس فيدرالى إمبراطورى يتكون من عدد متساوٍ من الأعضاء الإثيوبيين والإريتريين، ويكون مسئولاً عن الحكم الجيد وصياغة دستور خلال فترة انتقالية حتى سبتمبر ١٩٥٢.

وقد أنشأ القانون الفيدرالى لسنة ١٩٥٢ جمعية تشريعية إريترية، وسمح بقيام منظمات سياسية كانت تعمل بشكل سرى. وكان على الجمعيات أن تعمل وفق إطار سياسى يقر ويراعى الهويات الدينية والحقوق المرتبطة بمحل الميلاد وآثار الولادة. وقامت الجماعات المختلفة باستثمار الروابط الدينية والثقافية من أجل برامج لزيادة سلطات الحكم الذاتى داخل الدولة الإثيوبية أو إعلان أجندة ترتب لدولة انفصالية مستقلة.

وقد نشأت ثلاثة أحزاب فقط هى: الكتلة الوحدوية الذى تكون بالأساس من الإريتريين المسيحيين؛ والحزب الديمقراطى الذى كان رسميًا فى السابق باسم الكتلة المستقلة وأغلبيته مسيحية مع بعض الأعضاء المسلمين؛ والرابطة الإسلامية فى الإقليم الغربى. غير أن نتائج الانتخابات كشفت عن مساومات بين الجمعيات السياسية السائدة، وقد توحدت جميعًا تحت شعار الحكم الذاتى لإريتريا. ورفع العلم الإريترى ذو الخلفية الزرقاء– تعبيرًا عن الأمم المتحدة– عام ١٩٥٢ وظل قائمًا حتى إعادة إدماج الإقليم فى إثيوبيا عام ١٩٥٩، ثم جرى اعتماد "علم التحرير" عام ١٩٩٣ عندما تحقق الاستقلال الفعلى.

عملت الحكومة الإثيوبية منذ ١٩٥٢ على التفكيك المنهجى للاستقلال الذاتى الإريترى. وبدأت هذه العملية بتعطيل الدستور، ثم حظر النقابات بعد ذلك بعام. وضغط الإمبراطور على رئيس الهيئة التنفيذية المنتخب كى يستقيل، وجعل الأمهرية اللغة الرسمية بدلاً من العربية والتيجرانية، وأوقف استخدام العلم الإريترى، وفرض الرقابة على الإعلام، وأخرج الكثير من مشروعات الدولة من إريتريا. وفى عام ١٩٥٦ تم حظر الأحزاب السياسية الرئيسية، وتعليق أعمال الجمعية الوطنية مؤقتًا. وبالإضافة إلى ذلك حل العلم الإثيوبى محل الإريترى، والقانون الإثيوبى محل الإريترى.

وفى عام ١٩٦٠ تم إنهاء الترتيب السياسى الفيدرالى عمليًا حين اقتنعت الجمعية الوطنية بطلب السلطات الإمبراطورية وصوتت لصالح تغيير اسم "الحكومة" الإريترية إلى "الإدارة" الإريترية. وفى ١٤ نوفمبر ١٩٦٢ أكملت الجمعية عملية الانتقال بإدماج إريتريا الكامل فى إثيوبيا واعتبارها المقاطعة الرابعة عشر. وقد أثارت هذه الإجراءات استياء الإريتريين الطامحين فى نظام سياسى أكثر حرية. ونشأت بينهم معارضة راديكالية مبكرًا حين تأسست حركة التحرير الإريترية ELM عام ١٩٥٨. وعملت هذه الحركة، المكونة أساسًا من المثقفين والطلاب وعمال الحضر، وفق برنامج يتجاوز هدفه السياسى الحكم الذاتى، حيث أصبحت تطالب بإنشاء إريتريا ككيان منفصل. كما بدأ قادة الحركة فى نشر أفكار المقاومة والوعى الوطنى وسط المواطنين الإريتريين العاديين.

غير أن حركات المعارضة، ومن بينها حركة التحرير الإريترية، تعرضت للتقويض المنهجى من جانب السلطات الإثيوبية التى ألحقت إريتريا بها من جانب واحد عام ١٩٦٢. وبالفعل تعرضت الحركة للاختراق وأنشطتها للتقويض التام عام ١٩٦٤، ولكن لتحل محلها كيانات متمردة أخرى، مثل جبهة التحرير الإريترية التى أسسها الإريتريون المسلمون فى المنفى عام ١٩٦١، خاصة فى الشرق الأوسط. وعلى العكس من حركة التحرير الإريترية، نشأت جبهة التحرير كجيش للتحرير برنامجه المعلن هو الإعداد لحرب تحرير وطنية طويلة الأمد.

ونظرت قلة من الدول العربية الراديكالية الحديثة، مثل سوريا، إلى إريتريا كجزء من "الأمة" (جماعة المسلمين)[1] وأعلنت استعدادها لمساندة الحركة. وبالفعل أدت حرب العصابات التى شنتها الجماعات الإريترية إلى إدخال إثيوبيا فى أزمة كبيرة فاضطر الإمبراطور عام ١٩٧١ إلى إعلان حالة الطوارئ فى الإقليم ونشر نصف الجيش الإثيوبى هناك لاحتواء النضال الوطنى الإريترى. كما تكونت ثلاث جماعات انفصالية رئيسية أخرى هى: قوات التحرير الإريترية وقاعدتها إقليم باركا، قوات التحرير الشعبية المتمركزة فى منطقة البحر الأحمر، وجبهة استقلال إريتريا التى تأسست فى إقليم أكالا جوزاى.

(١) بالطبع هذا خطأ أو تجاوز فادح من الكاتب، لأن مفهوم «الأمة» عند سوريا البعثية هو «الأمة العربية». وهو ما يعكس توجها ما عند الكاتب للتركيز على البعد الدينى أكثر من أى عامل آخر - المترجم

واجتمعت تلك الفصائل عام ١٩٧٢ لتشكل جبهة التحرير الإريترية وقوات التحرير الشعبية ELF-PLF، ثم أعيد تشكيل هذا التحالف بعد وقت قصير تحت اسم جبهة التحرير الشعبية الإريترية EPLF. واستمر الصراع المسلح فى إريتريا من ١٩٦١ إلى ١٩٩١. وأجهضت المبادرات القليلة الداعية للحل السلمى للصراع المسلح بسبب عدم حماس الجانبين.

وبعد ثورة ١٩٧٤ - بشكل خاص- أصبح الخيار العسكرى هو الخيار الوحيد عند كل من النظام العسكرى الإثيوبى الذى صعد إلى الذروة، وحركة العصابات الإريترية التى أصبحت مقتنعة باستحالة هزيمتها. ومع أواخر الثمانينيات تحولت المواجهات الحربية بشكل حاسم لصالح الإريتريين. وفى مايو ١٩٩١ تمكنت قوات التحرير الشعبية الإريترية EPLF من الدخول المظفر إلى أسمرة الإريترية، ومن ثم تدشين دولة إريترية مستقلة.

ونظرًا للتحالف الذى عقدته جبهة التحرير الشعبية الإريترية مع القوة التى استولت على السلطة فى إثيوبيا فى الوقت نفسه- أى الجبهة الديمقراطية الثورية الشعبية الإثيوبية EPRDF، وتأييد الأخيرة لمنح إريتريا الاستقلال، بدا أن البلدين مقبلان على عصر من السلام والتعاون. فعلى السطح بدا كل شيء سلميًا، لكن احتمالات المتاعب ظلت مكانها، خاصة فيما يتعلق بمسائل الحدود والعملة ومئات الآلاف من الإريتريين المستمرين فى الإقامة بإثيوبيا. ومثلت هذه المسائل جذور جولة جديدة من الصراع اندلعت عام ١٩٩٨ وظلت غير محلولة حتى اليوم.

وكان صراع آخر قد أثارته أهداف جيو ستراتيجية واقتصادية حديثة لإثيوبيا ونشأت مع إنشاء الحدود الجديدة عام ١٩٤٨؛ حيث وضعت خريطة جديدة الرعاة الصوماليين تحت الإدارة الرسمية الإثيوبية. وقد نشأت مسألة السيطرة الإثيوبية على أوجادين كمسألة أكثر أهمية عند الشخصيات السياسية والوطنية، بسبب وجود موارد مهمة كالماء والنفط فيما بعد فى ذلك الإقليم. ومن أجل إدماج الصوماليين بوصفهم رعايا للدولة الإثيوبية استخدمت الأخيرة أسلوب الجزرة والعصا.

قامت الدولة الإثيوبية بمبادرات تنطلق من العلاقات الروحية والإنسانية التاريخية بين الجانبين. لكن المقاومة الصومالية أدت فى النهاية إلى نشر الحملات العسكرية فى الإقليم. وترجع المقاومة الصومالية للسلطات الإثيوبية فى هذا الإقليم إلى حقبة طويلة من

الأحداث السياسية والاقتصادية استمرت من ١٨٨٧ إلى ١٩٥٥. وعندما ضمنت إثيوبيا الاعتراف بمطالبتها بأوجادين، عبر سلسلة من المعاهدات مع بريطانيا وفرنسا وإيطاليا، بلغت الهيمنة الإثيوبية على الإقليم ذروتها فى أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات.

وبالمقابل قامت المقاومة الصومالية على برنامج الأصل "القومي" فى العصور القديمة. فقد أعلن الصوماليون فى جمهورية الصومال وجيبوتى والإقليم الشمالى الشرقى بكينيا وأوجادين فى إثيوبيا أنهم يملكون إرثًا مشتركًا يربطهم من خلال اللغة والعادات والدين الإسلامى وبنيات التنظيم الاجتماعى- السياسى. كما تغذت القومية الصومالية على إرث أيقونات ثقافية مثل محمد عبد الله حسن(١) وأسطورة أحمد جران(٢).

ونشأت جبهة تحرير الصومال الغربى فى مقديشو كإحدى حركات المقاومة الأكبر. وحينما نال الصومال استقلاله عام ١٩٦٠ ربط نفسه على العكس من إثيوبيا بالموروث الإسلامى، وهو ما أضاف مزيدًا من التعقيد على بذور الصراعات الإقليمية التى بذرها الاستعمار بخرائطه لشرق أفريقيا. ولم يكُفّ الصوماليون فى المقاطعات الإثيوبية مثل دالو، وابى، الكيرى، وجنالى عن التمرد على الدولة، بل قاوموا وجود الجيش والشرطة وميليشيات المستوطنين الإثيوبيين.

وكان إقليم تيجرى مصدرًا آخر للصراع القومى، حيث يشكل الأورومو الجماعة العرقية الأكبر عددًا فى إثيوبيا (بين ٤٥٪ - ٥٠٪). ويعيش الأورومو فى المناطق الجنوبية الغنية زراعيًا، لكنهم كانوا مهمشين فى علاقاتهم الثقافية والسياسية والاقتصادية بالدولة الإثيوبية خاصة منذ منتصف القرن ١٩. ورأى القوميون الأورومو أن الحلفاء الأجانب للتاج السليمانى بقيادة الأمهرة قد أساءوا الفهم وتغاضوا عن وساعدوا فى استمرار سيطرة الشماليين عليهم. وشددوا على أن الأصدقاء التاريخيين والحديثين للدولة الإثيوبية كانوا مهتمين أساسًا باستثمار الأهمية الاستراتيجية للدولة القوية، ومن ثم ارتضوا التغاضى عن التناقضات الداخلية فى إثيوبيا.

---

(١) قائد دينى وزعيم سياسى صومالى شهير، ولد عام ١٨٥٦ وخاض سلسلة طويلة من المعارك «الجهادية» ضد بريطانيا وإيطاليا وإثيوبيا، وأطلق عليه الإنجليز لقب «الملاّ المجنون» بسبب جيشه من الدراويش والبعد الدينى لدعوته السياسية، ومات متأثرًا بإصابته عام ١٩٢١ إثر معركة استخدم فيها البريطانيون كل الأسلحة الفتاكة بما فيها الطيران- المترجم.

(٢) سبقت الإشارة إليه فى الفصل الثاني- المترجم.

كما تأسست قومية أورومو على تاريخ مشترك ونظام إدارى خاص عرف باسم جادا **Gadaa** وهو تراتبية اجتماعية مبنية على مجموعات عمرية كل منها ثمانى سنوات. وتنتقل كل مجموعة عمرية إلى المجموعة التالية بعد كل ٨ سنوات حتى سن الأربعين وهو مستوى يسمى لوبا **Luba** ويعنى الذكور الكبار المسموح لهم بالاقتراع. وفى كل مرحلة يتعلم أعضاء الجادا تاريخ أورومو والاستراتيجية الحربية والقانون والحكم. وعلى الرغم من أن الجادا لم تعد تمارس على نطاق واسع فإنها لا تزال مؤثرة.

وقد تعرض الأورومو لتنصير منتظم على أيدى الكنيسة الأرثوذكسية السائدة وحيث كان يتم تدمير المزارات والأضرحة المحلية لصالح الكنائس كجزء من عملية فرض الهيمنة الإثيوبية. ومن حلقات مقاومة الأورومو عبر الزمن تمرد أزيبو- رايا **Azebo-Raya** ١٩٢٨ -١٩٣٠، حركة استقلال أورومو ١٩٣٦، تمرد بالى فى الإقليم الجنوبى الشرقى ١٩٦٤- ١٩٧٠. كما وقعت احتجاجات جيديرو أو داراسا فى مقاطعة سيدامو الجنوبية ومنطقة جوجام فى الشمال الشرقى.

وفى عام ١٩٣٦ تشكل اتحاد للأورومو من هاراجى، شوا، جيما، وإيلوبابور، تحت اسم اتحاد أورومو الغرب. وقد أرسلت هذه الجماعة نداءها المبنى على حق تقرير المصير إلى عصبة الأمم عام ١٩٣٦. وقد استثمر متمردو أورومو الإسلام كأيديولوجية قومية من أجل مشروعهم الوطنى. وفى منتصف الستينيات هيمن ميشا- توليما **Mecha-Tulema** على قومية أورومو، وهو اتحاد للمساعدة المتبادلة ذو خصائص سياسية وثقافية ويقوده الزعيم تاديسى بيرو **Tadesse Biru** الذى انتهت به أنشطته ونفوذه القومى إلى اعتقال حكومة هيلا سيلاسى له عام ١٩٦٦. وصدر عليه حكم بالإعدام، ثم خفف الحكم فيما بعد إلى السجن مدى الحياة.

وفى مقاطعة بالى برز الزعيم المحلى واكو جوتو **Wako Gutu** كأحد أهم أعداء الدولة فيما اعتُبرت معركة لتحرير الأورومو من سلطة الأمهرة. وقد بدأ مقاومته المسلحة فى الأربعينيات واستمر يقاوم حتى وفاته عام ٢٠٠٦. وتراجعت مقاومة الأورومو فى الستينيات لكنها عادت للصعود مع تأسيس جبهة تحرير الأورومو **OLF** عام ١٩٧٣. وهكذا استمرت معارضة هيمنة الدولة، من جانب الصوماليين والإريتريين والأورومو وعفار.

كانت إنجازات الإمبراطورين منليك الثانى وهيلا سيلاسى قد ساعدت فى تصوير إثيوبيا كمثال للاستقلال الأفريقى وتقرير المصير. فقد قدم هذان القائدان السياسيان المجتمع العالمى صورة اثيوبيا كدولة [illegible]

وفى إدانة ربما كانت الأقوى لبنية المساعات الغربية لأفريقيا، وصف العالم وليام إسترلى **William Easterly** المقاربات المعاصرة فى هذا الشأن بأنها إعادة صياغة لمفهوم القرن ١٩ عن "رسالة الرجل الأبيض"، وحيث تتقاطع الدوافع الإنسانية والنوايا الحسنة غالبًا مع دوافع دعائية وأقل إيثارًا عند الدول وصانعى السياسات الإقليميين. وقال إن مشروعات التحديث حققت نتائج أقل من المتوقع لأنها كانت مملاة وفق مصالح واحتياجات خارجية، وبواسطة "مخططين" لا "باحثين". ويضيف إسترلى: إن بعض النشطاء المذكورين يجب أن يُشكروا على جهودهم ولفتهم الانتباه إلى المشكلات فى أفريقيا والأقاليم الأخرى الفقيرة فى العالم، لكن هذه الجهود كانت أقل بنائية ونجاحًا.

ومن الفروق المهمة التى لاحظها إسترلى أن الجماعة المسيطرة على عمال المعونة هم من المخططين وليس الباحثين. فالنوع الأول يميل إلى رفع التوقعات لكنه لا يقبل الاضطلاع بأى مسئولية فى تحقيقها. ومن الأمثلة الأخرى التى قدمها أن المخططين يحددون ما يتم الإمداد به، بينما الباحثون يكتشفون ماذا يحتاج الناس. والمخططون يطبقون خططًا عالمية معدة سلفًا، أما الباحثون فيقومون بتكييفها مع الأوضاع المحلية.

وربما كان أهم استنتاجاته أن المخططين يعتقدون أنهم يعرفون الإجابات مسبقًا، ويفكرون فى الفقر كما لو كان مجرد مشكلة رياضية تقنية لا بد لإجاباتهم أن تحلها. بينما يعترف الباحثون فى المقابل بأنهم لا يعرفون الإجابات مقدمًا، وينظرون إلى الفقر كتشابك معقد من العوامل السياسية والاجتماعية والتاريخية والمؤسسية والتكنولوجية. ويدعو إسترلى فى حملته وكالات المعونة إلى اقتفاء نهج منظمة غير حكومية بريطانية تسمى "معونة المياه" والتى نجحت فى مباشرة مشروع للمياه فى الصدع الأعظم يديره الإثيوبيون بالكامل مع ممثلين من القرى المستفيدة. وعلى الرغم من تنوع المقاربات، يحتاج الاقتصاد الإثيوبى فى المستقبل القريب مساعدات أجنبية، كما يجب على الحكومة أن تبحث عن الحلول فى الداخل[1].

(1) William Easterly, *The White Man's Burden: Why the West's Efforts to Aid the Rest Have Done So Much Ill and So Little Good* (New York: Penguin Press, 2006).

تعرضت الحكومة الإثيوبية فى السنوات الأخيرة لانتقادات حادة فى الداخل والخارج على سلوكها الاستبدادى والعنيف. ففى عام ٢٠٠٠ فقط تم طرد أكثر من ٤٠ أستاذًا ومحاضرًا من جامعة أديس أبابا. وفى عام ٢٠٠١ اندلعت حركة احتجاج طلابى للمطالبة بالحقوق الأكاديمية التى تتجاهلها السلطات السياسية. ونالت الاحتجاجات التى شارك فيها عشرة آلاف طالب جامعى تأييد الطلاب من الجامعات والكليات فى مختلف أنحاء البلد، وانتهت إلى التعطيل الفعلى لمؤسسات التعليم العالى فى إثيوبيا. طالب المحتجون بإخراج الشرطة من الحرم الجامعى، وبحقوقهم فى التعبير الحر. واتهمت الحكومة أعضاءً من حزبى المعارضة الرئيسيين (المنظمة الشعبية لعموم الأمهرة AAPO، الحزب الديمقراطى الإثيوبى EDP) بإثارة الاحتجاجات. بيد أن الدولة كانت قلقة أكثر من التعاطف الشعبى العام مع مطالبات الطلاب بخروج الشرطة من الجامعة وحقوقهم فى التعبير الحر.

وعلى الرغم من إشادة مراقبين كثر أول الأمر بالدور الإثيوبى فى حل الصراعات السياسية والاضطرابات الاجتماعية فى السودان، اتهمت جماعات حقوق الإنسان الإثيوبيين بممارسات هجمات ذات طابع عرقى على جيرانهم الجنوبيين الأشقياء الذين كانوا يبحثون عن ملجأ فى جيوب مثل جماعات أنواك الثقافية. واتهم نشطاء حقوق الإنسان الدولة الإثيوبية بتنفيذ تطهير عرقى منهجى ضد اللاجئين الذين تتهمهم الحكومة بـ "احتلال" سلة الخبز المحتملة فى إقليم جامبيلا.

ادعى آخرون أن ملاحقة هذه الجماعات كانت بسبب مسألة "الاختلاف الثقافي" أو لون جلودهم الأكثر إعتامًا. وردت الحكومة على هذه الاتهامات بادعاء أن أنشطتها العسكرية فى الإقليم تجلب الاستقرار للريف، حيث النهب واللصوصية يهددان رفاه المواطن الإثيوبى والاتصالات والأنشطة التجارية. وقد خضع قاطنو جنوب إثيوبيا للظلم والتغريب عن الأرض والإخضاع العسكرى والسياسى. وقادت مشاعر الغضب النضال من أجل الحرية، خاصة مع استفادة المسئولين والجمعيات من اللا مساواة التاريخية فى إثيوبيا.

أجرت إثيوبيا انتخابات عامة فى ١٥ مايو ٢٠٠٥ على مقاعد الجمعية العمومية ومجالس الحكم الإقليمى الأربعة. ووعدت الحكومة بإجراء انتخابات حرة ونزيهة، كما

رحبت بالمراقبين الدوليين من الاتحاد الأوروبى ومركز كارتر الأمريكى. وفرضت الحكومة حظرًا عامًا على الاحتجاجات طوال فترة الانتخابات، وهى الخطوة التى زعمت ضرورتها لضمان السلم والاستقرار الاجتماعى.

وكانت الحملات المنظمة ضد حكومة الجبهة الثورية الديمقراطية الشعبية قد بلغت أقصى قوتها فى المناطق الحضرية. وقد عرفت العاصمة أديس أبابا الكثير من الشباب الإثيوبى العاطل ومئات الألوف الفارين من المناطق الريفية إلى المدينة بحثًا عن سبل العيش، لكنهم لم يجدوا شيئًا ومن ثم شكلوا قاعدة جماهيرية كامنة لانتفاضة سياسية مقبلة. وأدت فعاليات المسرح السياسى بما فيها المناظرات المتلفزة إلى زيادة الوعى وسط الجمهور الإثيوبى بمشكلات البطالة والجوع حيث أصبح الأخير محل قلق كبير.

أعلنت النتائج الأولية فى ١٦ مايو وبدا منها أن المعارضة فى طريقها للفوز بالأغلبية فى البرلمان، رغم إذاعة نتائج ثلث الدوائر الانتخابية فحسب. وفى نهاية اليوم أصدر الحزب الحاكم بيانات تقول بأنه قد فاز بـ ٣٠٠ مقعد، بينما أعلن حزبا المعارضة الرئيسيان (ائتلاف الوحدة والديمقراطية **CUD**، والقوى الديمقراطية الإثيوبية المتحدة **UEDF**) فيما بعد فوزهما بـ ١٨٥ مقعدًا من إجمالى ٢٠٠ مقعد أعلنت هيئة الانتخابات الوطنية **NEBE** نتائجها الأولية.

كانت هذه النتيجة تحولاً جذريًا فى المعادلات السياسية عن الانتخابات السابقة. فما كان من رئيس الوزراء إلا أن أعلن حالة الطوارئ فى المساء، وجرم أى تجمعات عامة، وتولى القيادة المباشرة لقوات الأمن. ومعنى الإجراء الأخير إبدال شرطة العاصمة بالشرطة الفيدرالية والقوات الخاصة المستجلبة من وحدات النخبة بالجيش. وأوقفت هيئة الانتخابات إعلان النتائج لمدة أسبوع تقريبًا.

أخذت تصرفات السلطات القائمة تشعل المقاومة المنظمة لنتائج الانتخابات. ولم تنجح أحزاب المعارضة فقط فى زيادة تمثيلها بالبرلمان زيادة كبيرة، بل إن ائتلاف الوحدة والديمقراطية (ويضم الرابطة الديمقراطية الإثيوبية، حزب وحدة عموم إثيوبيا، الحزب الديمقراطى الإثيوبى المتحد- حزب ميهن، قوس قزح إثيوبيا: حركة الديمقراطية والعدالة الاجتماعية) قد فاز بجميع مقاعد العاصمة الـ ٢٣ بفارق أصوات كبير. وزعم

الائتلاف بزعامة المهندس المدنى هيلو شاول **Hailu Shawil** أنه يمثل بديلاً ليبراليًا للجبهة الحاكمة، وشن الحملات من أجل خصخصة الأراضى للأغراض التجارية والاقتصادية.

وقد تشكل ائتلاف الوحدة والديمقراطية من أربعة أجنحة على الأقل، كما تشكلت القوى الديمقراطية المتحدة الأصغر حجمًا من عدة أحزاب فازت بمقاعد فى البرلمان خاصة فى أوروميا والأقاليم الجنوبية. ومعظم مؤيدى ائتلاف الوحدة والديمقراطية هم من الأمهرة فى الشمال، ويقال إن بعض أعضائه غاضبون مما يعتبرونه سيطرة للتيجرانيين على السلطة. ومن أهم قيادات الائتلاف: الدكتور مرارا جودينا **Marara Gudina** الكاتب والأستاذ بجامعة أديس أبابا، والدكتور بينى بيتروس **Beyene Petros** عضو البرلمان البارز عن المعارضة.

أما القوى الديمقراطية الإثيوبية المتحدة فتتكون من مؤتمر أوروموالوطنى، الحزب الاتحادى الديمقراطى الاجتماعى، الائتلاف الديمقراطى الشعبى بجنوب إثيوبيا، المنظمة الشعبية لعموم الأمهرة، وحزب الوحدة الديمقراطى، بالإضافة إلى أعضاء آخرين مثل: جبهة الوحدة الديمقراطية الثورية فى عفار **ARDUF**، الحركة الاشتراكية لعموم إثيوبيا **MEISON**، حزب الوحدة الديمقراطى الاتحادى للشعب الإثيوبى، الحزب الثورى الشعبى الإثيوبى **EPRP**، الجبهة الديمقراطية المتحدة لشعب جامبيللا **GPUDF**، منظمة تحرير شعب أورومو **OPLO-IBSO** وتحالف تيجرى من أجل الديمقراطية **TAND**.

انعكست الأحداث السياسية فى إثيوبيا بشكل متزايد فى صورة سخط الريف والحضر، ووجهت الحكومة طاقتها لتطويع الإقليم الريفى الكبير. وفى المدن مثل أديس أبابا التى نمت إلى أكثر من ٥ ملايين نسمة كان هناك مستوى مرتفع من معارضة السياسات الحكومية مثل تدابير إدارة المدن التى أزالت العشوائيات الكبيرة، وهو العمل الذى حول الكثيرين إلى معدمين.

لكن على العكس من المدن تعزز النجاح الانتخابى للحكومة فى المناطق الريفية. ويزعم المنتقدون أن الحكومة كانت مالك الأرض والداعم لقاطنى الريف، فهى تزودهم بالسماد والأدوات الزراعية بالأجل، كما توزع المساعدات الغذائية عند وقوع الجفاف والمجاعة. غير أن الجبهة الديمقراطية الثورية الشعبية ما زالت تستفيد من حسن ظن

مؤيديها الذين لا يزالون يعترفون بدورها فى الإطاحة بنظام الدرج الاشتراكى، وفى تقديم التسهيلات للكثيرين على مدى العقد السابق. كما لا تزال إريتريا تمثل مانعة صواعق لمعارضى الحكومة الإثيوبية. كذلك كانت هناك دعوة لاستعادة "الأراضى الإثيوبية على البحر الأحمر" وهى إشارة مبطنة لإريتريا.

وفى عام ٢٠٠٤ اختير ميليس زيناوى عضوًا فى لجنة أفريقيا التى شكلها رئيس الوزراء البريطانى تونى بلير **Tony Blair**. وأعلنت اللجنة من بين أهدافها الحكم الرشيد وخفض الفقر فى القارة.

وعند نهاية القرن ٢٠ وبداية القرن ٢١ أخذ دارسو ومراقبو الشأن الإثيوبى يحاولون فهم ما سماه البعض الدائرة الجهنمية للأزمة الناجمة عن نمط عمل الجماعات السياسية الحاكمة فى إثيوبيا. ويزعم البعض أن إثيوبيا قد سبرت "أيديولوجية الثالوث" فى الحداثة عن خلال النزعة المحافظة للإمبراطور هيلا سيلاسى، وسبرت اشتراكية الدرج وليبرالية الجبهة الديمقراطية الثورية الشعبية، وأنها جميعًا لم تكن فاعلة فى علاج أزمة الدولة لأن القادة السياسيين كانوا مضلَّلين بتلك الأيديولوجيات على التوالى.

خلاصة : الحداثة الأفريقية والقرن الإثيوبي

استهلال إلى الضمير الأفريقي

"يُرَوَّض لينحني

إلى المقاعد الموديل

المصنَّعة لهذا الغرض

فى فاروس[1] الصديقة وقتها

فيرفرف الضمير الأسود

(١) جزيرة فاروس ذات التاريخ العريق قبالة الإسكندرية وكان بها المنارة الشهيرة التى اعتبرت من عجائب الدنيا السبع - المترجم.

ينظر يمينًا

ينظر يسارًا

ويغفل أن ينظر فى نفسه :

النيْر المكسور يهدد بالعودة

فقط، هذه المرة

بصورة لها غواية

برفاهية وسلاسل ذهبية

تُحرر الجسد

وتستعبد العقل.

وفى الرأس

الشمس التنينية العجوز

تتنفس الآن حضارةً متوهجة

والعقول الحكيمة

لأبناء القبائل الأقوياء

تلهث

باختناق أكثر غرابة

بوعى جديد بالذات

(رغم العِلل القبلية)

تهفو إلى ترميم

أرواحها الممزقة معًا:

فسادة ماضيها وحاضرها

(بجيش أشباحهم

التى بقيت تخيم على الأرض)

يسرقون روحها من الجوف

ويمزقونها بددا:

والضمير الأفريقي

ما زال يئن من العدوان

وما زالت تُجتَث جذوره"[1]

تسيجاى جبري- ميدهن

كان الأفارقة ضحايا لأكبر عملية تهجير قسرى فى تاريخ البشرية، وصنع المنحدرون من أصل أفريقى ما وصفوه بشتات متعدد الأوجه. وبالنسبة لإثيوبيا، تسببت الاضطرابات الناجمة عن الحروب الداخلية والإقليمية فى عواقب اجتماعية وسيكولوجية وسياسية واقتصادية سلبية على المواطنين، وغالبًا ما كانت تتبعها موجات من الهجرة وإعادة توزيع السكان. وتضمنت تلك الملاحم "الأوديسية" هجرات من الريف إلى الحضر، عبر الأراضى والثقافات والأزمان. كما كان هناك رحيل فرضه السعى وراء الفرص الاقتصادية والهرب من الاضطرابات الاجتماعية جراء الحروب والمجاعات والقهرين السياسى والثقافى.

ويجب على المرء أن يسجل هنا أن المواطنين العاديين، الفقراء والمستضعفين، هم من يدفعون فى الغالب ثمن مباريات القوة الدولية والحسابات الاستراتيجية للقوى المحلية والعالمية. وقد أسهم الإثيوبيون بقسط كبير فى حركة الشتات الأفريقى بعد

(1) *Tsegaye Gabre-Medhin* (2005 -1936)

تجارة الرقيق عبر الأطلنطى والتى بدأت فى أواخر القرن ١٩ وبلغت أوجها فى النصف الثانى من القرن ٢٠.

تقول إليزابث هارنى Elizabeth Harney: إنه منذ سقوط النظام العسكرى الماركسى عاد إلى إثيوبيا فنانون كُثر من منفاهم الإجبارى على سبيل الزيارة أو حتى الإقامة فى بعض الحالات. وتضع هارنى التاريخ الإثيوبى والمظاهر الفنية والثقافية من القرون الوسطى إلى الخبرات الحديثة وما بعد الحداثية أو العابرة للقوميات، تضعها فى إطار تاريخ الشتات الأفريقى؛ حيث تزعم أن تواريخ أفريقيا قد شكلتها دائمًا تواريخ الهجرة.

كذلك الأمر بالنسبة للتجارة المربحة فى الموارد، إلى جانب أحواض الأنهار العظيمة والموانى فى أفريقيا، حيث أسهمت فى تشكيل التاريخين السياسى والثقافى للقارة. وقد تجاوب التجار والصناع والفنانون والمثقفون والزعماء الدينيون والسياسيون الإثيوبيون مع تلك المؤثرات وكان عليهم إعادة النظر وإعادة التفاوض بشأن انتسابهم للموطن والهوية والجماعة المحلية.

ففى الستينيات ذهبت النخبة الإثيوبية وأبناؤها إلى الخارج سعيًا وراء التعليم الغربى. وفى عقدى السبعينيات والثمانينيات تسبب سقوط نظام هيلا سيلاسى فى هروب عدد من أعضاء نظامه بحثًا عن ملجأ خارج البلاد.

ويعتبر الإثيوبيون والإريتريون ثانى أكبر جماعة أفريقية تستقر فى الولايات المتحدة بمقتضى قانون اللجوء لعام ١٩٨٠ والذى كان أول سياسة رسمية للتعامل مع طالبى اللجوء الأفارقة. ففى الفترة ١٩٨١- ١٩٨٤ دخل الولايات المتحدة نحو ٤٥ ألف أفريقى. جاء أغلبهم من القرن الأفريقى. وفى أواخر الثمانينيات تسبب الجفاف والمجاعة والحرمان الاقتصادى والقلاقل السياسية فى انضمام عدد من سكان الريف إلى موجات الهجرة العالمية.

وتستنتج هارنى أن تدفق الأفكار بين إثيوبيا والعالم الأكبر قد تزايد هو الآخر فى النصف الثانى من القرن ٢٠. وتضيف: إن أجيال المهاجرين تحمل معها فى الشتات تواريخها وتخيلاتها للوطن، كما أن الفنانين الإثيوبيين ذوى المساهمات الغنية فى الفن الحديث قد طرحوا خيارات مختلفة بخصوص علاقاتهم بمجتمع الشتات الإثيوبى الأوسع.

بنى الفنانون الإثيوبيون فوق الأساسات التى أرساها رواد الفنون الحديثة مثل ألكسندر بوجوسيان "إسكندر" Alexander "Skunder" Boghossian، جبرى كريستوس ديستا Gebre Kristos Desta وأفويرك تيكلى Afewerk Tekle. ويستثمر الجيل الجديد من المثقفين والفنانين الإثيوبيين الوسط العالمى للشتات ليقدموا الإرث الثقافى الغنى لإثيوبيا، ويعبروا عن ممارساتهم الحديثة المتفردة.

بالإضافة لما سبق، يجب الإشارة إلى السلع المحلية التى تعتبر هى الأخرى منتَجًا لإبداع مؤثر عركه الزمن. وقد عانت المنتجات الثقافية الإثيوبية من الإهمال بسبب الدعاية السياسية للقوى المهيمنة، أو عجز أو عدم رغبة العلماء المحدثين فى وضع هذه المنتجات فى إطار الفهم العام والتقييم النقدى للفن والأفكار والإبداع والذاتية الأفريقية. بينما كان يجب سد الفجوة بين تجليات ما بعد الحداثة فى الشتات الإثيوبى والطموحات وسط الجماعات المحلية الإثيوبية فى وسائل الراحة الحديثة. فيزعم البعض أن إثيوبيين كثيرين، مثل معظم الأفارقة فى السياقين الوطنى والمتعدى للقوميات، ما زالوا يحملون ندوب الحداثة ويعانون من الاستعراض المستهتر للسلطة ومنتجات الحداثة الأيديولوجية والمادية المدمرة. وما زالت إثيوبيا واحدة من أفقر بلدان العالم، وتعترض التنمية فيها عقبات كبيرة مثل الجفاف الدورى ونقص الغذاء. كما يتسبب سوء الطرق والاتصالات فى إعاقة الأنشطة الاقتصادية.

ويمكن لأصوات المواطنين والمثقفين والفنانين الإثيوبيين المحليين والعالميين أن تقلل من تلك الأنباء والصور التى لا تفعل سوى القليل فى مواجهة أمراض البلد. وهناك حاجة إلى جماعة ضغط تقدمية تساعد فى تحسين الأحوال الاجتماعية والاقتصادية السيئة فى المجتمعات المحلية الإثيوبية. فيمكن لإصلاح الخدمات الاجتماعية والبنيات التحتية، ودعم الدولة للمشروعات الاقتصادية، أن يفيد تطلعات وطموحات إثيوبيا والقارة الأفريقية.

كان التطور الأهم هو نمو الشتات الإثيوبى فى الولايات المتحد وأوروبا والشرق الأوسط. ويقدر بأن هناك ما يزيد على مليون إثيوبى فى الشتات، أكثر من نصفهم فى أمريكا الشمالية وحدها. ويمثل الإثيوبيون رقمًا مهمًا وسط المهاجرين فى بعض مدن أمريكا الشمالية. فيوجد فى منطقة واشنطن الكبرى أكبر تركز إثيوبى خارج أفريقيا، حيث

ترك الكثيرون منهم وطنهم لأسباب اجتماعية وسياسية واقتصادية مختلفة. وبالإضافة إلى واشنطن توجد جاليات إثيوبية رئيسية فى إقليم خليج سان فرنسيسكو، أتلانتا، بوسطن، نيويورك، هيوستون، دالاس، لوس أنجلوس، سان ديجو، سياتل، ومنيابوليس / سان بول... بل ويطلق اسم "إثيوبيا الصغيرة" على طريق فيرفاكس بمقاطعة كارثاى بلوس أنجلوس.

وقد أظهر الإثيوبيون قوة اقتصادية وحققوا نجاحات تعليمية وفى الأنشطة المهنية والتجارية. ويمكن للمرء أن يجد مطعمًا إثيوبيًا فى كل مدينة أمريكية كبيرة، كما تنتشر الكنائس الأرثونكسية. وفى معظم المدن التى يقطنها إثيوبيون استثمر الأخيرون فى الممتلكات والأعمال الحرة التى تلبى احتياجات السكان عامة والحاجات الخاصة للجماعات الثقافية الإثيوبية. كما استثمروا فى قطاع الخدمات وإنشاء مراكز ثقافية.

يحتفظ إثيوبيو الخارج بارتباط عميق ببلدهم الأصلى. فالكثيرون منهم يرسلون التحويلات المالية التى تقارب أحيانًا الدخل السنوى للدولة من صادراتها للخارج. وكان محصول التصدير الرئيسى، البن، قد عاد بإيرادات للدولة بقيمة ٢٦٧ مليون دولار عام ١٩٩٩ عن تصدير ١٠٥ آلاف طن. كما نظم مسئولون حكوميون فى إثيوبيا حملات وندوات حول استغلال موارد الشتات لسد فجوة الكفاءات التى تحتاجها التنمية الاقتصادية لوطنهم الأصلى.

وأفادت مصادر بأن عدة آلاف من المهاجرين قد عادوا إلى أديس أبابا، وأن هناك حملات قوية لاجتذاب المزيد منهم، بعرض الخصومات الضريبية على استيراد ممتلكاتهم والمرونة فى قوانين تملك الأراضى. ويقوم بعض المسئولين فى السفارة الإثيوبية بواشنطن بحملات طرق الأبواب على الأحياء التى يسكنها الإثيوبيون- الأمريكيون، ويحثون أصحاب الأعمال ذوى النزعات الوطنية على العودة للبلاد.

وقد أعلن البنك المركزى الإثيوبى NBE فى سبتمبر ٢٠٠٦ أن إجمالى تحويلات الإثيوبيين من الخارج ارتفع إلى ٣٧١ مليون دولار- أى بارتفاع ٦٠٪ خلال السنوات الثلاث السابقة. ويقال إن الرقم الحقيقى للموارد المقبلة من الخارج سوف يتضاعف إذا أدخلت المعاملات غير الرسمية فى الحساب.

وتجتمع الجاليات الإثيوبية بشكل منتظم فى الفضاءات الحقيقية والافتراضية لتنظيم أنشطة مدنية وثقافية واجتماعية. وتشدد الجمعيات الإثيوبية على أنشطة المساعدة المتبادلة والرفاه والرياضة والفنون والترويح. فينظم المجلس الإثيوبى- الأمريكى والاتحاد الرياضى الإثيوبى فى أمريكا الشمالية مهرجانًا سنويًا لكرة القدم والثقافة فى لوس أنجلوس.

غير أن تلك الأنشطة لا تخلو من ممارسات غير مواتية من النوع الذى يعرفه الوافدون عادة، حيث يقتصر نطاق حركتهم أحيانًا على هوامش الاقتصادات الحديثة وما بعد الصناعية. ويواجه الإثيوبيون، مثل الكثيرين غيرهم من جيل المهاجرين الأول، التمييز والأخطار المهنية فى موطنهم الجديد. كما فقدت المشروعات المملوكة لإثيوبيين بعض أرضيتها أمام التطور ما بعد الحداثى والمشروعات المتقدمة فى الشتات.

كذلك ثارت خلافات بين المهاجرين الإثيوبيين والمجتمعات التى وفدوا إليها، إذ لا ترجب الجماعات الأخيرة بأن تفقد أرضًا أمام المهاجرين الجدد. ويمتلك إثيوبيون كُثر مؤهلات أكاديمية ومهنية متقدمة، لكنهم يضطرون إلى قبول الأشغال المتدنية والأعمال الخدمية.

ومع نمو حجم الشتات يتزايد بالمثل احتمال زيارتهم لإثيوبيا مستفيدين من رحلات الطيران الإثيوبية من واشنطن ونيويورك إلى أديس أبابا. وفيما يتعلق بالأهمية السياسية والاقتصادية للشتات بالنسبة للعلاقات الأمريكية- الإثيوبية، فإنها لم تصل بعد إلى مستوى واضح.

وقد اهتمت الآداب والوثائق التاريخية والأفلام السينمائية الإثيوبية بنقد فشل الثورة الاشتراكية، وكذلك نقد نفوذ الحداثة فى صورة الرأسمالية الطليقة والتغريب الضار بالثقافة الإثيوبية. ويدعو جرمتشيو تيكلى هواريات Germachew Tekle Hawariat إلى حل الصراع بين التقليد والحداثة عن طريق عملية العلمنة لفصل الروحى عن الزمنى. كما يلقى كبيدى ميكايل Kebede Mikael فى كتابه "ما هى الحضارة؟" اللوم فى فشل التحديث على الاغتراب، فقدان الهوية والمعايير الأخلاقية، والنزعة الاستهلاكية.

ومن الجوانب الأقل إيجابية للشتات عادة إثارتهم للصراعات، ويقال إن أفراد الشتات الإثيوبى يتبنون المظالم لزمن أطول، ويمولون الصراعات، ويقدمون الإرشاد الأيديولوجى للتمرد. وزعم البعض أن الشتات يحن أيضًا إلى تعريف هويته بالأماكن الجديدة التى يتمتع فيها بالحماية من العنف والنجاة من الصراعات.

استمرت التطورات العالمية والقارية والإقليمية فى تأثيرها فى تاريخ إثيوبيا. ومع بداية القرن الحادى والعشرين استعاد القرن الأفريقى أهميته الجيوبوليتيكية العتيدة. فقد كان الإقليم قريبًا دائمًا من الخطاب السياسى والدبلوماسى العالمى، خاصة فى الصراعات المزمنة حول الهوية، الموارد، والملكية العقارية فى الشرق الأوسط، على الرغم من أن السرديات الذائعة قد سلطت الضوء سطحيًا على عدم الاستقرار السياسى وسوء الحكم فى الإقليم حيث تجرى لعبة القوة بين القادة المحليين.

ومع نهايات القرن ٢٠ شكل انتشار الراديكالية الدينية والسياسية تحديات جديدة تتطلب أطرًا تحليلية جديدة. ففى عام ١٩٩٣ كانت معركة مقديشيو بين مقاتلى العصابات الصوماليين (الموالين لأمير الحرب محمد فرح عيديد **Mohamed Farrah Aidid**) والقوات الأمريكية، هى ما لفت نظر العالم إلى الإقليم. ففى الصدام الشهير الذى شد المخيال الشعبى العالمى بفضل الأفلام والنشرات تحت عنوان "سقوط طائرة بلاك هوك".. فقد ما بين ألف وألف وخمسمائة من رجال الميليشيات الصومالية أرواحهم فى المعركة، وتراوحت الإصابات بين ٣ و ٤ آلاف جريح، كما لقى ١٨ جنديًا أمريكيًا حتفهم وجرح ٧٣ جنديًا.

كان موقع إثيوبيا الاستراتيجى فى القرن الأفريقى قد استعاد أهميته فى أعين القوى الكبرى بعد انتهاء الحرب الباردة. وكان ما ساعد فى اشتعال الصراع بين إثيوبيا والصومال شك كل بلد فى نوايا الآخر من حيث التوسع والتطرف السياسى. وقد انخرطت إثيوبيا والصومال فى حروب بالوكالة لقرون عديدة، وذلك كجزء من المعركة الأيديولوجية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى. ونتج عن هذا الصراع خسائر هائلة فى الأرواح، وتمزق التنظيم الاجتماعى- الاقتصادى للمجتمع، وتقويض الأداء الاقتصادى.

ومنذ ذلك الوقت اتخذت إثيوبيا موقف الحليف طويل الأجل للرئيس الصومالى عبد الله يوسف Abdullahi Yusuf وساعدته فى مواجهة تهديد الميليشيات الإسلامية التى اكتسبت المزيد من القوة فى العقد الأخير من الألفية. وقد عرفت الصومال منذ هذا الوقت الفوضى جراء تقسيم أمراء الحرب للعاصمة إلى كانتونات منفصلة. كما تأثر اهتمام إثيوبيا بما يجرى فى الصومال بوجود جماعات المتمردين الإثيوبية هناك، وبالتحديد: جبهة تحرير أورومو والجبهة الوطنية لتحرير أوجادين (جماعة من أصول صومالية).

وبعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ أصبح القرن الأفريقى بؤرة اهتمام فى صراع الولايات المتحدة مع تنظيم القاعدة الإسلامى الراديكالى. وبسبب هذه التطورات برزت على السطح القيمة الاستراتيجية للإدارات الاستراتيجية العلمانية فى أفريقيا مثل إدارة زيناوى فى إثيوبيا. وفى أمثلة أخرى منح الغرب تأييدًا مستترًا لنخب دينية طيعة رغم كونها غير ليبرالية.

وحدث فى يوليو ٢٠٠٦ أن عبرت القوات الإثيوبية الحدود للتدخل فى الأحداث المضطربة بالجارة الصومال. وبالمقابل هددت الميليشيات الإسلامية الصومالية بشن الجهاد المقدس ضد إثيوبيا. وأعربت إثيوبيا عن أملها فى أن التسامح المتبادل الذى استمر لأجيال عديدة بين المسيحيين والمسلمين لن تقوضه الضغوط المتزايدة على الدولة. وجرى التشديد على أن المصالح الأمريكية فى مواجهة الإرهاب لا يجوز أن ترجح على الطموحات الإثيوبية الحداثية فى بنية تحتية اجتماعية قابلة للحياة وتنمية اقتصادية مستدامة. وربما كان الأكثر أهمية أن الإثيوبيين فى الداخل والخارج أيضًا لم يكونوا ليحبوا التضحية بمصلحتهم فى الحكم الرشيد وحقوق الإنسان من أجل تلبية احتياجات السياسة والقوى الاقتصادية العالمية. فدعا البعض الحكومات الغربية إلى فرض بعض القيود على الحزب الحاكم فى إثيوبيا، واتهموا إدارة زيناوى بالديكتاتورية وسجن النشطاء الاجتماعيين والسياسيين الذين كانت كل جريمتهم العمل من أجل تأسيس أطر لنظام ديمقراطى نام.

أصبح من الصعب جدًا الحفاظ على الأهمية السياسية الدولية لأفريقيا. وعلى الرغم من أن رئيس الوزراء زيناوى كان أحد أعضاء لجنة تونى بلير لأفريقيا، والتى دفعت إلى المقدمة شعار مكافحة الفقر، فقد بقى من المهم معرفة ما إذا كانت إثيوبيا ستحصل على

أى دعم رئيسى لمبادراتها الاقتصادية وصراعاتها السياسية على السلطة والموارد. فإذا استمر الإطار الذى تأسس وفق الجغرافيا السياسية لما بعد الحرب العالمية الثانية، سيكون على الغرب التركيز على توسيع أو توطيد مجالات نفوذه من خلال الوسائل العسكرية بدلاً من التنمية.

بيد أنه فى عهد ما بعد الحرب الباردة تَقوَّضت أهمية الضغوط السياسية التقدمية متعدية القوميات لتحقيق الرفاه العالمى، على أيدى السوق والعقلية الجيو عسكرية والفساد السياسى، وتمتع الخيار العسكرى بشعبية كبيرة. ففى أغسطس ٢٠٠٦ أعلن أن البنتاجون والجيش الأمريكى أصبحا على وشك الاتفاق على خطط لقيادة عسكرية أفريقية، مع التشديد على اتخاذ تدابير استباقية ووقائية بدلاً من الاحتفاظ بمواقف دفاعية صُممت لملاءمة الحرب الباردة.

أما مشروعات إعادة البناء بعد الحرب العالمية الثانية التى فشلت فى تنمية الاقتصادات الأفريقية على نمط برنامج الإنعاش الأوروبى (خطة مارشال) فلم تعمل فقط على تثبيت صورة القارة المنبطحة، بل وتكشف أيضًا الآن عن انكشافها أمام الأنشطة الراديكالية والمتطرفة. وفى هذا الصدد تجلت أهمية القرن الأفريقى، مشكلاته، والخيار العسكرى الحتمى فى كلمة الجنرال الأمريكى جون أبى زيد **John Abizaid** أمام لجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ فى مارس ٢٠٠٥ حيث قال:

"القرن الأفريقى معرض للاختراق من جماعات إقليمية متطرفة، والنشاط الإرهابى، والعنف العرقى. ولتنظيم القاعدة فى هذا الإقليم تاريخ فى التخطيط والتدريب والقيام بهجمات إرهابية كبيرة، مثل تفجير السفارتين الأمريكيتين فى كينيا وتنزانيا. وهناك جملة من التحديات المتسببة فى الاضطرابات التى يشهدها الإقليم، من بينها الفقر المدقع، الفساد، الصراعات الداخلية، المنازعات الحدودية، عدم ضبط الحدود ونزاعات المياه الإقليمية، ضعف القدرات الأمنية، وتخلف البنية التحتية. وكل هذه التحديات الخطيرة يخلق بيئة خصبة يستغلها المتطرفون والمنظمات الإجرامية"(١).

(1) U.S. General John Abizaid, speech to the Senate Armed Services Committee, 24 August 2006, *New York Times*.

وبالإضافة إلى التصريح السابق، أضاف الجنرال أبى زيد: إن القيادة العسكرية الأمريكية الوسطى عملت من قاعدتها فى جيبوتى المسماة قوة المهام المشتركة فى القرن الأفريقى CJTF-HOA مع موظفى السفارات الأمريكية فى الإقليم على إحباط اختراقات الإرهابيين ودعايتهم. وقال: إن هذه الأنشطة تتضمن تدريب الأمن المحلى وقوات حرس الحدود، والقيام بمشروعات مدنية بسيطة مثل حفر الآبار وبناء المدارس وتوزيع الكتب، وإنشاء عيادات طبية وبيطرية فى القرى النائية.

وعلى الرغم من الأهداف المرحب بها التى ذكرها الجنرال أبى زيد، فإن نتائج هذا الجمع بين التدخلات العسكرية والهندسة الاجتماعية بقصد تعزيز السلم والديمقراطية والتنمية، جاءت أبعد ما تكون عن النجاح. فقد أدت تلك الجهود إلى تنمية ما سماها الكثيرون أشكالاً جديدة من "الوصاية" أو الإمبريالية الليبرالية أو إمبريالية ما بعد الحداثة. وتعتبر العوامل الدولية سابقة الذكر قليلة الأهمية إذا قورنت بمدى حاجة إثيوبيا إلى التعامل مع ما وُصِف بثقافة التطرف والمشكلات المزمنة للنفاذ غير المتكافئ للموارد والسلطة. وقد كشف رئيس الوزراء زيناوى عن سلوك فظ ووحشى تجاه المعارضة. وتتسم الحوارات والأنشطة السياسية الإثيوبية فى غالبها بتبادل الاتهامات والملاسنات؛ وهو ما يمثل عقبة أمام تنمية ثقافة سياسية ناضجة وراقية.

من المهم أيضا لنمو إثيوبيا اضطلاع الحكومة بمسئولية تنمية اقتصاد مختلط يضمن أنشطة الأعمال الريادية إلى جانب تطوير آليات التكامل الاقتصادى والسياسى والاجتماعى بين المكونات المجتمعية المختلفة. وقد يبدو هذا إشكاليًا فى ضوء حقيقة نمو الاقتصاد الإثيوبى بمعدل سنوى ٢,٦٪ خلال العقود الأربعة الماضية، بينما نما السكان بمعدل أعلى من هذا خلال الفترة نفسها، كما تهدد التحديات البيئية الجديدة مثل التلوث وتآكل طبقة الأوزون بتدمير أكثر لنوعية حياة الإثيوبيين.

وقد تطلع علماء ودارسو التاريخ الإثيوبى إلى الوراء، وتحديدًا إلى تحديث النظام الإمبراطورى، أولاً كإقرار بأن ذلك النظام هو من وضع أساس الدولة الحديثة، وثانيًا كإلهام للطموحات الجديدة فى الاستقرار السياسى وتحسين نوعية الحياة. فقد كان الإمبراطور تيودروس أول من اعترف بجمود التنمية فى إثيوبيا. فبدأ مشروعه التحديثى بتوحيد الكيانات السياسية المفتتة تحت شعار "الحكم المنظم" ser'at وبعد هذا طلب

المساعدة من البلدان المتفوقة تكنولوجيًا، وبالأخص إنجلترا. أما الإمبراطور منليك فقد رسخ سلطته الإمبراطورية ودافع عن استقلال إثيوبيا، وبدأ عملية لبناء ودعم نخبة إثيوبية حديثة متعلمة مع تطوير البنى التحتية. ومن المعترف به للإمبراطور هيلا سيلاسى دوره فى إدخال المنشآت والبنية التحتية والبيروقراطية الإدارية الحديثة فى إثيوبيا.

وعلى الرغم من النقائص الرئيسية فى النظام الإمبراطورى فإنه قد عرف استقرارًا نسبيًا بالمقارنة مع القلاقل الاجتماعية والسياسية التى أحدثتها النظم المتعاقبة فى العقود الأخيرة من القرن العشرين. ويُحسب للنظام الإمبراطورى تأسيس إطار تشريعى للأنشطة المدنية والتجارية الحديثة. وقد رأى بعض العلماء أن استمرار وثبات مؤسسات مثل الخطوط الجوية الإثيوبية، الخدمة المدنية، البنك المركزى، ووزارة المالية، جنبًا إلى جنب مع المؤسسات الوطنية والقواعد الاجتماعية التقليدية العتيقة والفريدة، قد أدى إلى حماية إثيوبيا من الانهيار الشامل بفعل بيئة سياسية غير مستقرة، وتقلبات النظام العنيفة، وسوء الحكم.

ولقد وُسِّد جثمان هيلا سيلاسى أخيرًا فى كاتدرائية الثالوث المقدس بعد ٢٥ عامًا من وفاته. وكان من بين من حضروا حفل إعادة الدفن فى أديس أبابا ريتا مارلى أرملة أيقونة الريجى الشهير المغنى بوب مارلى **Bob Marley** . فقد جاءت توقيرًا للإمبراطور نيابة عن ملايين الراستافاريين فى جامايكا، والذين لا يزال معظمهم يعتبرون هيلا سيلاسى التجسيد الأرضى للرب، ويضعونه على رأس أيقونات الفكر الاجتماعى والسياسى الأفريقى الحديث. ومن أعظم ما يُنسب إلى هيلا سيلاسى من مكانة وبعد نظر باعتباره أحد أهم رجال الدولة فى القرن العشرين الدور المهم الذى لعبته إثيوبيا على المسرح العالمى، وهو ما تمثله أغنية بوب مارلى بعنوان "الحرب". وقد استُلهِمت هذه الأغنية من الكلمة التى ألقاها الإمبراطور سيلاسى عام ١٩٦٣ أمام مؤتمر للأمم المتحدة فى نيويورك. دارت تلك الكلمة حول السلام والمساواة بين الجميع دون اعتبار للعرق، الطبقة، أو القومية. ويشدد مارلى فى أغنيته على أن الحروب تظل مشتعلة حتى اليوم ما دام لم يوجد مجتمع المساواة. وكان الإمبراطور قد دعا أيضًا فى كلمته هذه مسئولى الأمم المتحدة وممثلى البلدان المختلفة إلى نزع الأسلحة النووية وإنهاء أشكال الاستغلال الدولى (خاصة فى أفريقيا). ويمجد بوب الإمبراطور هيلا سيلاسى الأول مطالبًا بالعمل ضد التفرقة العنصرية وأشكال الظلم الدولية. وفيما يلى جزء من كلمة سيلاسى التى استخدمها مارلى فى أغنيته:

"فيما يختص بمسألة التفرقة العنصرية فقد علّم مؤتمر أديس أبابا درسًا جديدًا لمن يريد أن يتعلم، وهو أنه إلى أن تتم إدانة والتخلى نهائيًا ودائمًا عن الفلسفة القائلة بوجود جنس أرقى وجنس أدنى، وإلى أن يتوقف تمامًا وجود مواطنين من الدرجة الأولى ومواطنين من الدرجة الثانية فى أى أمة، وإلى أن يتوقف إسباغ أى أهمية على لون جلد الإنسان أو لون عينيه، وإلى أن يتم ضمان حقوق الإنسان الأساسية للجميع من كل جنس، إلى أن يأتى هذا اليوم سيظل حلم السلام الدائم والمواطنة العالمية وحكم الأخلاق الدولية مجرد سراب وهمى نعدو إليه ولا نلحقه أبدا. وإلى أن يتم إسقاط وتدمير النظم الوضيعة والخسيسة التى تقهر إخوتنا فى أنجولا وموزمبيق وجنوب أفريقيا وتحاصرهم فى استرقاق لا إنسانى. وإلى أن يتم إحلال التفاهم والتسامح والنوايا الحسنة محل أنانية التعصب والتعسف والخبث واللا إنسانية. وإلى أن يستطيع جميع الأفارقة النهوض والحديث بوصفهم أحرارًا متساوين فى أعين الجميع كما هم فى أعين السماء... إلى أن يأتى هذا اليوم لن تعرف القارة الأفريقية سلامًا. ونحن الأفارقة سنقاتل كلما كان هذا ضروريًا، ونحن على يقين من انتصارنا بقدر يقيننا بانتصار الخير على الشر".

هيلا سيلاسى الأول

ظلت خصائص الثقافة الإثيوبية التقليدية والكنيسة الأرثوذكسية الوطنية محل تقدير مجحف إلى حد كبير. ويرجع الفيلسوف ميساى كبيدى **Messay Kebede** هذه الظاهرة إلى تشرُّب النخب الثقافية الإثيوبية للنظريات الاجتماعية الغربية التى تزاوج بين العلمنة والتحديث؛ فهو ينظر إلى إعادة تحديث إثيوبيا بما يطبق الثقافة الإثيوبية التقليدية حسب واقع العالم الاقتصادى والسياسى الحديث. إذ بالإضافة إلى منجزات التقاليد الإثيوبية فى المنتَج الدينى والفنى والفكرى، استطاعت أيضًا صيانة الاستمرار العضوى للمجتمعات فى السياقات الحضرية والريفية وحتى فى الشتات.

فعلى سبيل المثال ساعدت أسواق النقود المحلية وجمعيات المساعدة الذاتية فى خلق واستمرار نظام سوق مزدوج فى البيئات والظروف المتنوعة. ومن أمثلتها الإكويب **Iqulb** وهو عبارة عن جمعية تنشأها مجموعة صغيرة من الأفراد تقدم تمويلاً دوارًا

للأعضاء من أجل تحسين حياتهم وظروف معيشتهم. أما الإدير Idir فهى جمعية يؤسسها الجيران أو العمال لتدبير أموال يتم اللجوء إليها للمساعدة فى الحالات الطارئة، مثل وفاة العضو أو أحد أفراد أسرته. ويمارس هذان التقليدان القاعديان وغير الرسميين على نطاق واسع وسط الإثيوبيين.

تتجاوز هذه الظاهرة الوطنية للمؤسسات التقليدية الخلفيات اللغوية أو الدينية أو العرقية بين الإثيوبيين. كما لعبت هذه الشبكات وتعاونيات الدعم الاقتصادى والاجتماعى والنفسى المتوارثة من قرون، دورًا أيضًا كمصدر للتأمين والاستقرار الاجتماعى بعيدًا عن مجالات نفوذ الرفاه العام أو المانحين الأجانب.

وفى القرن ٢٠ أسس الإمبراطور هيلا سيلاسى البيروقراطية ذات الرواتب للقيام بوظائف الحكومة وتوفير السبل التى يمكن من خلالها تبلور الطاقات الخلاقة لتنمية الصناعات المحلية والمنافذ السوقية والمجتمع المدنى. ويتم التشديد أيضًا على حقيقة أن برنامج سيلاسى الاقتصادى فى الستينيات قد صاحبه أعلى مساهمة من رأس المال، كإحدى نتائج خطط التنمية الثلاث التى نفذها النظام الإمبراطورى. وكان من المنتظر من الاستثمار فى المزارع التجارية كثيفة رأس المال والصناعات الغذائية إسهامه فى تحويل الجماعة الأرستقراطية الإقطاعية العتيقة إلى طبقة ناشئة من رواد الأعمال.

على الرغم من التقدم الحادث كان النظام الاجتماعى- الاقتصادى إبان الحكم الإمبراطورى "إقطاعيًا" مكونًا من طبقتين متمايزتين: الأرستقراطية والفلاحين. ووقفت الأسرة الملكية فى قمة المجتمع. بينما حصر الإقطاع الثروة فى قلة مختارة تسببت سيطرتها على الإنتاج الفلاحى من الأرض فى تكبيل فكرة المبادرة الفردية. وكانت الأسرة الملكية والرؤساء الإقليميون وكبار الموظفين (مدعومين جميعًا من الكنيسة) معنيين أساسًا بتوطيد الهيمنة والامتيازات العسكرية والاقتصادية. وهناك إجماع وسط معظم الدارسين لتاريخ إثيوبيا الحديثة على أنه ما لم، وإلى أن، يتم إصلاح سياسى حقيقى فيها يجعل الحكم مسئولاً أمام الشعب، سيكون من المحتم وقوع المزيد من الصراعات والعنف.

وهناك أيضًا الرأى بأن الديمقراطية والإصلاح السياسى لا يمكن أن ينجحا فى ظل استمرار الجمود الاقتصادى، وأن أصوليى السوق يمكنهم فقط تهيئة القرن الأفريقى

ليكون بمثابة أرض لتفريخ المغامرين والسياسيين الانتهازيين والأصوليين الدينيين الراديكاليين. بيد أن كثيرًا من الإثيوبيين يأْسُون للصور المستهلكة في الإعلام العالمي للشعب الإثيوبي بوصفهم ضحايا لا حول لهم. ويرون أن هذه الصور تشخص الأوضاع في أفريقيا في ضوء القليل أو الغياب الكامل من تحليل السياقات السياسية أو الاقتصادية لتخلف القارة.

كما يقترح البعض أن الصورة السلبية الجامدة لإثيوبيا تستند إلى رؤية قصرية للحداثة الغربية تستبعد معظم الأفارقة إلى حد اعتبار القارة ما زالت خاضعة للمصالح السياسية والاقتصادية للأقوياء. وبالمثل يؤكد آخرون أن تلك الصور تشكل جزءًا من مقولة أيديولوجية تجسد علاقات القوة غير المتكافئة بين الأغنياء والفقراء في الاقتصاد العالمي.

ما زالت إثيوبيا تتلقى المعونات بدلاً من الاستثمار الأجنبي، على الرغم من حجم البلد وإمكانيات النمو الكامنة فيه من موارد بشرية وطبيعية غير مستغلة. وقد عرف الاستثمار الأجنبي المباشر **FDI** في إثيوبيا بالضآلة رغم الإصلاح السياسي واللبرلة الاقتصادية. ويسلط الضوء غالبًا على أن الحضور الأجنبي الرئيسي في الاقتصاد الإثيوبي هو لشركة ميدروك **MIDROC** المملوكة للشيخ محمد حسين العمودي، وهو ملياردير سعودي له جذور في إثيوبيا. وقد استثمرت الشركة في التنمية الصناعية والخدمات والصناعات الزراعية، ما جعل الشركة أكبر مستخدم للعاملين في إثيوبيا.

وقد بذلت جهود كبيرة لتحديث المجتمعات المحلية المنعزلة والمناطق ذات التضاريس الوعرة، والتي شكلت عائقًا رئيسيًا أمام تأسيس اقتصاد ناجح. ويقال إن انعدام الأمان الاقتصادي هو ما يسود النظام كقاعدة، وأن إنفاذ العقود وتأمين حقوق الملكية يقومان على قواعد سياسية قلقة. وبغض النظر عن أثر أوجه القصور تلك، فإنه من الملاحظ أيضًا أن المواد الخام الإثيوبية لا تزال تشق طريقها من المزارع الريفية إلى الأسواق العالمية، وبخاصة الولايات المتحدة وغرب أوروبا.

وحسب تعبير المؤرخ بهرو زودي فإن مستقبل إثيوبيا يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمستقبل أفريقيا عامة والقرن الأفريقي خاصة. وأكد فكرته هذه بتسليط الضوء على

الروابط العرقية بين شعوب الإقليم الفرعى مثل عفار الموجودة فى جيبوتى وإريتريا وإثيوبيا، والصوماليين المتواجدين فى جيبوتى وإثيوبيا والصومال وأرض الصومال، والتيجرانيين المتواجدين فى إريتريا وإثيوبيا. وعلى أساس هذه الخلفية يدعو زودى إلى تخفيف القيود عبر الحدود التى خلقها المستعمر فى الإقليم. واستشرف زودى مستقبلاً تكون فيه إثيوبيا بموقعها الجغرافى ومواردها المادية والبشرية بمثابة القلب لاتحاد كونفيدرالى فى القرن الأفريقى. وأضاف فى الوقت نفسه: إن على إثيوبيا أن تشرع فى إصلاح ثقافتها السياسية وبنياتها التحتية، وأن تطور أيضًا قطاعها الخاص مع توفير الحماية للمستثمرين الأجانب. وسيمكّنها بهذه الخطوات من أن توقف خسارة قوتها العاملة الذهنية والفنية الماهرة التى تتحرك إلى الخارج بحثًا عن بيئات جغرافية أو اقتصادية أو مهنية أفضل.

وقد أسهمت طبيعة الموجة الثانية من العولمة فى فشل مشروع الحداثة بإثيوبيا، فقد اتسمت هذه الموجة بالاقتحام الأجنبى للقرن الأفريقى خاصة توسع رأس المال الأوروبى المدفوع بالبحث عن الموارد والأسواق، مصحوبًا باعتبارات جغرافية استراتيجية وتمدد دينى. ففى الفترة من ١٨٦٨ إلى ١٨٩٦ شملت التدخلات الخارجية ثلاث مواجهات مع المصريين، وأربعة مع الدراويش، وخمسة مع إيطاليا، وواحدة مع البريطانيين. وقد تسببت تلك الصراعات الممتدة فى تفاقم الصراعات الداخلية، وتعزيز عسكرة الثقافة السياسية الإثيوبية الحديثة. كما كان للصراعات أثر سلبى على التنمية الاقتصادية للبلد.

وعلى الرغم من تذرع كثير من الأوروبيين بالعبودية المحلية كسبب للتدخل فى المنطقة أواخر القرن ١٩ وأوائل القرن ٢٠ ، فإن الشواهد تثبت أن المشروع الاستعمارى فى القرن الأفريقى كانت وراءه دوافع قومية سياسية واقتصادية أوروبية مستترة، ومتسلحة ضمنيًا بالنظرية الداروينية الاجتماعية التى تنظر باستعلاء للثقافات والأفكار والمصالح الأفريقية. كما يجب الاعتراف بمساهمة المغتربين الدينيين والعلمانيين الذين حرّكتهم، حتى فى ذلك العصر، الرغبة فى مساعدة الفقراء والمحرومين فى إثيوبيا من خلال الدعمين المادى والمعنوى. وتذكرنا هذه الجماعات بما نراه اليوم من جهود المنظمات غير الحكومية والنشطاء الأفراد اليوم فى شن الحملات بالنيابة عن إثيوبيا ومواطنيها المحرومين. فنحن نعيش اليوم عصرًا آخر من العولمة له اتجاهاته الخاصة وبعضها مألوف إلى حد ما.

لقد استكشفنا عصرين رئيسيين للعولمة فى مسار تاريخ إثيوبيا الحديث، فشل كلاهما فى تلبية احتياجات البسطاء فى أفريقيا. وبحسب كلمات الفيلسوف أولوفيمى تايو **Olufemi Taiwo** فقد بالغ العلماء وصناع السياسات فى أهمية العولمة المدفوعة بنيويًا على حساب العولمة المدفوعة ذاتيًا. واستخلص أن التعامل السليم مع العولمة فى دورتها الثانية يتطلب الاهتمام بالموارد الكبيرة بما يمكن الأفارقة ليس فقط من مجرد العيش بوصفهم كائنات إنسانية، وإنما الأهم هو أن يحرر طاقاتهم الكامنة من أجل البقاء المشترك ومجتمع مزدهر بأنشطته التجارية والسياسية الحرة. وليست هناك مبالغة فى الإقرار بأهمية هذا التحليل لدراسة الحداثة الإثيوبية.

ومع خلفية السردية السابقة بشأن تقلبات الوجودين الاجتماعى والسياسى الإثيوبى، أطلِقت دعوات حديثة بأن يتخلى مفكرو إثيوبيا عن اتجاه تأكيد ثنائية التقليد والحداثة. وزعموا أنه فى إطار مشروع تحديد مفاهيم الحرية، الهوية، والتاريخ، يجب النظر إلى إثيوبيا كذات لها أسس متفردة، وليست كمجتمع يعاد تشكيله وفق نموذج خارجي.

وفى هذا الصدد ألقى الضوء على أربعة مفكرين إثيوبيين نجحوا فى إبراز الثقافة الإثيوبية، ومن ثم الأفريقية، على الساحة العالمية: سكندر بوغصيان **Skunder Boghossian** المولود عام ١٩٣٧ والشخصية الرئيسية فى تاريخ الفن الأفريقى، وقد أقام فى الغرب للمرة الأولى عام ١٩٥٥ حين ذهب إلى إنجلترا للدراسة بمنحة حكومية. والثانى مولاتو أستاتقى **Mulatu Astatqe** الملحن والموزع الموسيقى والمعروف بـ "أبى الجاز الإثيوبي" ، والمولود عام ١٩٤٣ فى مدينة جيما بالغرب الإثيوبى، وتلقى تعليمه فى لندن ونيويورك وبوسطن. والثالث هو هيلى جيريما **Haile Gerima** المخرج والمنتج السينمائى وأستاذ الجامعة الذى جاء إلى الولايات المتحدة عام ١٩٦٨. وأخيرًا المغنية الشهيرة أستر أويكى **Aster Aweke** المولودة عام ١٩٦١ فى جوندار، وهى ممن أخرجهم مسرح هاجر فيكير فى أديس أبابا، والذى يعتبر أقدم وأفضل مسرح وطنى فى أفريقيا.

بالنسبة لسكندر بوغصيان– المتوفى عام ٢٠٠– فقد قادته أعماله للطواف فى العالم حيث تفاعل مع المثقفين والفنانين الأفارقة الذين كانوا جزءًا من حركة الزنوجة. كما اشترك على نحو نقدى مع السورياليين الفرنسيين وفنانى الجاز الأمريكيين من أصول أفريقية. وقد برع سكندر فى تضمين الموروث الثقافى الإثيوبى والأفريقى فى أعماله.

ويقول نقاد: إن براعته تنبثق من رؤيته الثاقبة القادرة على استدعاء الموتيفات البصرية والأساطير وأشكال الخط اليدوى. ويقال إنه قد نجح فى تحويلها إلى عالم من نسج خياله الخاص تمامًا، لكنه عالم يمكن أن يعيشه الجمهوران الإثيوبى والعالمى معًا.

أما مولاتو أستاتقى فهو مؤلف وموزع ومايسترو وعازف موسيقى رائد فى إثيوبيا. وقد نجح فى صهر الموسيقى الإثيوبية مع طائفة عريضة من المؤثرات التى احتك بها لدى دراسته فى الخارج. وقد حدث فى ذروة الحرب الباردة أن قامت وزارة الخارجية الأمريكية بتنظيم جولة فنية عالمية لأسطورة الجاز ديوك إلنجتون **Duke Ellington**، وكانت إثيوبيا من المحطات الرئيسية للجولة. ويقول بينى فون إيشن **Penny von Eschen** إن هذا التفاعل أثمر تعاونًا موسيقيًا مع أستاتقى اعتبره مسئولون أمريكيون النجاح الأكبر للجولة. وقد اقتبس فون إيشن تقريرًا لخدمة المعلومات الأمريكية جاء فيه: "اجتمعت الساكسفون والبوق النحاسى والترمبون مع آلات ماسينكو وواشينت الإثيوبية التقليدية. وحسب قول أحد أعضاء فرقة إلنجتون "لم تعد الموسيقى كما كانت قط".

وبرز هيلى جيريما من خلال أفلامه الناجحة مثل "سنكوفا" (روائى ١٩٩٣)، "حصاد ٣ آلاف سنة" (١٩٧٥)، "عدوة: انتصار أفريقي" (وثائقى ٢٠٠٠)، وأصبح أحد كبار صناع الأفلام الذين اهتموا باستكشاف تاريخ وذاتية وهوية الشتات الإثيوبى والأفريقى ضمن إنتاجه السينمائى والثقافي.

أما أستر أويكى فقد بدأت الغناء الاحترافى أواخر العقد الثانى من عمرها فى نوادى وفنادق أديس أبابا، مع فرق مثل كونتننتال باند، فرقة فندق دافريك، شبيلى باند، وإبكس باند. بعد هذا مارست عملها منفردة، لكن اختنقت بسبب نقص الحرية السياسية والفنية فى وطنها. فذهبت عام ١٩٨١ إلى الولايات المتحدة واستقرت فى واشنطن. وأخذت تقدم عروضها فى المطاعم الإثيوبية فتكاثر معجبوها، ثم قامت بجولة فى أوروبا والولايات المتحدة عام ١٩٨٥. وهى تمتلك الآن شعبية هائلة فى الشتات، ووصفت بأنها صوت كل شعبها وربما المغنية الأشهر فى إثيوبيا.

لقد كان تاريخ وحضارة إثيوبيا بالغ الأهمية كسردية مضادة للتمثيلات التى تقصى أفريقيا من سرديات الحداثة، أو تضع القارة خارج الإنسانية المشتركة. ويمثل الإنتاج

الثقافى للمثقفين والفنانين بعض أبعاد الحداثة. وربما كان النموذج لهذه الروح هو تسيجاى جبري– ميدهن Tsegaye Gabre-Medhin (١٩٣٦– ٢٠٠٥) الذى يوصف بأعظم كاتب كاتب مسرحى وشاعر فى إثيوبيا. وطبقًا للمؤرخ ريتشارد بانكهرست Richard Pankhurst كان تسيجاى شديد الفخر بالتاريخ العريق لإثيوبيا المستقلة وإرثها الثقافى الفريد.

كذلك استخدم المسرح لنشر قصص أبطال إثيوبيا فى الماضى، كما عرف فى سنواته الأخيرة باهتمامه الكبير بمسائل السلام، حقوق الإنسان، وكرامة البشر. وقد تمتع فى حياته بشعبية كبيرة سواء فى إثيوبيا أو فى العالم. وقد دار أحد اهتماماته الأساسية حول النضال من أجل استعادة كنوز إثيوبيا المنهوبة. وقد ساعد، بالتعاون مع نشطاء فى إثيوبيا والعالم بمن فيهم بانكهرست، فى الحشد الشعبى المؤيد لمطلب إثيوبيا باستعادة مسلة أكسيوم التى نهبها فاشيو إيطاليا عام ١٩٣٧ بأمر من موسولينى شخصيًا. جدير بالذكر أن عمر المسلة ١٧٠٠ عام ويبلغ ارتفاعها ٢٤ مترًا ووزنها ١٦٠ طنًا. وقد عادت إلى البلاد فى أبريل ٢٠٠٥ بعد أكثر من ستة عقود نصبت فيها بأحد ميادين العاصمة الإيطالية روما. وقد استقبل المسلة فى مطار أديس أبابا العديد من رجال الدين ومسئولى الدولة والمواطنين المبتهجين.

وما زال معلقًا الطلب الإثيوبى من بريطانيا بإعادة المخطوطات والصلبان والخيام وغيرها من التحف التاريخية التى تم الاستيلاء عليها من قلعة الإمبراطور تيودروس الجبلية فى مجدالا عام ١٨٦٨. ويوجد بعض هذه المواد الآن فى المتحف البريطانى والمكتبة البريطانية، وكذلك فى المكتبة الملكية البريطانية بقلعة وندسور التى تقتنى حاليًا ست مخطوطات إثيوبية بها رسوم بالغة الدقة. كما نجح رياضيون إثيوبيون مثل أبيبى بيكيلا، موروسى (ميروتس) يفتر، مامو ولدى، أديس أبيبى، ديرارتو تولو، هيلى جيبرسيلاسى، فاتوما روبا.. فى تمثيل إثيوبيا ووضع الأسماء الإثيوبية فى قوائم التتويج الرياضى العالمية.

لقد ركزنا كثيرًا فى هذه الدراسة على التاريخ السياسى والاقتصادى والفكرى والثقافى الإثيوبى، كما يتضمن الكتاب تقييمًا نقديًا للعولمة والأشكال الحديثة للتنمية الليبرالية الدولية ونظم الرفاه. وتتيح الألفية الجديدة نماذج استرشادية منافسة للخطاب

الغربى المسيطر عن التحديث الاقتصادى. فالأفكار الجديدة مثل تعاون الجنوب- جنوب والتعاون بين الدول الأفريقية، تكسب أرضية جديدة، وهى على العكس من الليبرالية الدولية لما بعد الحرب العالمية الثانية، تمثل مقترحات جديدة أقل تجذرًا فى إرث الأرثوذكسيات الأيديولوجية العنصرية والاقتصادية، وأكثر تجذرًا فى التعاون المتبادل والمصالح الوطنية المتكاملة.

وقد حلت فى العام ٢٠٠٦ الذكرى الخمسون لإقامة العلاقات الدبلوماسية بين الصين والبلدان الأفريقية، وهى المناسبة التى احتفلت بها قمة بكين بين الصين والرؤساء الأفارقة. ودعا الإعلان الصادر عن هذه القمة الدول الأكثر غنى إلى تقديم المزيد من العون للدول الأفريقية لمساعدتها فى مكافحة الفقر وإيقاف التصحر والتغلب على عواقب الكوارث الطبيعية.

وأثناء إلقاء رئيس الوزراء الإثيوبى ميليس زيناوى جزءًا من إعلان القمة، أكد أن لدى الصين وأفريقيا أهدافًا مشتركة ومصالح متقاربة ما يتيح أفقًا عريضًا للتعاون. وبالمثل عبر السكرتير العام للأمم المتحدة كوفى عنان **Kofi Annan** عن أمله فى أن يستفيد الأفارقة من الخبرة الصينية التى حققت نجاحًا كبيرًا فى النمو المستدام وخفض الفقر. كما عبر الكثير من خبراء التجارة، بمن فيهم البنك الدولى، عن ثقتهم بأن تنامى التجارة الصينية والهندية فى القارة الأفريقية ينطوى على إمكانات كبيرة للنمو الاقتصادى. ففى عام ٢٠٠٦ استقبلت الصين ٢٧٪ من الصادرات الأفريقية، وثلاثة أضعاف المسجل عام ١٩٩٠. كما تنمو الصادرات الآسيوية إلى أفريقيا بمعدل سنوى ١٨٪- أى أسرع من أى إقليم عالمى آخر.

غير أن بعض المسئولين الغربيين والأفريقيين قد عبروا عن قلقهم من أن يحمل الدور الصينى فى أفريقيا خطرًا لاستعمار جديد، وقد ردت على هذا وزيرة المالية النيجيرية نجوزى أوكونجو إويلا **Ngozi Okonjo Iweala** بأن هناك علاقات صينية- أفريقية أكبر مما تراه العين. واعترفت بأنه يجب على البلدان الأفريقية التأكد من ألا تستبدل بأحابيل الارتباط القديمة أحابيل جديدة براقة. لكنها أضافت: إنه بمناسبة الحديث عن التحول الاقتصادى والاجتماعى فإن لدى الصين الكثير والمناسب الذى يمكن أن تقدمه لأفريقيا اليوم.

وقالت الوزيرة النيجيرية: إن الصين تعرف معنى أن تكون فقيرًا، وقد طورت صيغة ناجحة لخلق الثروة تود مشاركة البلدان الأفريقية فيها. كما يتم التودد للصين للمساعدة

فى توفير الاستثمارات المطلوبة للبنية التحتية الأفريقية، والتى تقدر بعشرين مليار دولار خلال العقد المقبل.

ويقترح البعض أنه فى الوقت الذى يبدو النموذج الإرشادى الليبرالى السائد للتنمية الأفريقية غارقًا فى المعونة الأجنبية بدلاً من الاستثمار الاقتصادى الأجنبى، تبدو الصين راغبة فى الاستثمار فى مشروعات السكك الحديدية، الطرق، الموانى، والاتصال الريفى فى أفريقيا. وبناءً على هذا تستخلص الوزيرة النيجيرية ضرورة ترك الصين لتصوغ بنفسها شراكتها الفريدة مع أفريقيا، وأن على الغرب ببساطة أن يتعلم المنافسة (BBC News, October 24, 2006).

كما يجب الاعتراف بأن العلاقات الاقتصادية الحالية بين الصين وأفريقيا أبعد من أن تكون متكافئة. ففى عام ٢٠٠٤ شكلت الصادرات الصينية إلى إثيوبيا أكثر من ٩٣٪ من التجارة الثنائية بين البلدين. وقد تبين أن واردات الصين من بقية بلدان القرن الأفريقى (جيبوتى، إريتريا، والصومال، أرض الصومال) فى النصف الأول من ٢٠٠٥ كانت ضئيلة. ويمكن أن يتسبب هذا الاختلال فى نفور تلك البلدان الأفريقية من النفوذ الصينى فى نهاية المطاف.

ويتم التأكيد فى أغلب الأحوال على كون الشركات الصينية أقل التزامًا "أخلاقيًا" فى أنشطتها الاقتصادية بأفريقيًا من نظيراتها الغربية. لكن هذا الاستنتاج الشائع يمسك بجانب هامشى من الحقيقة، إذ إن انخراط أفريقيا مع الغرب ينطوى على "حالة فصام" فى أحسن الأحوال. فقد أوضحت الدراسات أن الأفكار المتأصلة فى الليبرالية الحديثة غالبًا ما تتم التضحية بها من أجل مشروعات عالمية أكثر إغراءً تدفعها "المصالح القومية" لشركاء أفريقيا الأقوياء. ولا يمكن المبالغة فى تشديد هذه القوى على أهمية قضايا حقوق الإنسان، الديمقراطية، الحرية والنمو الاقتصادى، كجزء من الآليات الضرورية لبقاء ونمو أفريقيا فى الألفية الجديدة.

وفى هذا الصدد يمكن للمنظمات غير الحكومية الغربية أن تواصل لعب دور مهم فى التوعية والضغط بالنيابة عن الديمقراطيات الفتية فى أفريقيا بما فيها إثيوبيا. وباختصار يجب التشديد على كل المستثمرين الأجانب فى أفريقيا وشركائهم المحليين بأنه لا يجوز التضحية بالاحتياجات الفردية والمجتمعية لصالح توسعهم الاقتصادي.

كما أن غياب فرص العمل والمنافذ الخلاقة وترتيبات للمواطنة ملزمة وقابلة للحياة بين الدولة ومواطنيها، سيؤدى لأن تصبح الأشكال الثيوقراطية وخيارت التمرد الأخرى بدائل جذابة. وقد وجهت الاتهامات إلى وسائل الإعلام الحديثة الرئيسية بإهمالها التقييم النقدى لتطورات الجنوب خارج أمراضه، وبالأخص فيما يتعلق بأفريقيا.

وقد أعلن وزير الخارجية الإثيوبى سيوم ميسفن Seyoum Mesfin فى ختام القمة الصينية- الأفريقية عام ٢٠٠٦، أن القادة المشاركين فى المؤتمر عبروا عن استيائهم من التغطية الإعلامية "المشوهة" فى الغرب التى وصفت المؤتمر كمجرد تجمع "للحكام الديكتاتوريين الأفارقة الذين عثروا على موطن وصداقة جديدين للتملص من الضغوط الغربية، والتهرب من المحاسبة وحقوق الإنسان" (Seattle Times, November 06, 2006).

ومن الملاحظات الإيجابية التى سلط عليها الباحثون الضوء: زيادة الإنتاج الأكاديمى، وانتشار الإعلام البديل عن أفريقيا، ومرور عقد من السلام فى القرن الأفريقى، مع تولد صور جديدة من الانخراط العالمى بين الحضارات القديمة والأمم الحديثة. فقد أصبحت إثيوبيا تستفيد من ازدهار السياحة إلى المزارات السياحية الرئيسية بما فيها الممر التاريخى الشمالى الذى يشمل بهير دار، جوندار، أكسيوم، ماكلّى، لاليبيلا. كما تظل العاصمة الاقتصادية والإدارية أديس أبابا مقصدًا سياحيًا رئيسيًا.

ولا تزال إثيوبيا تمد يديها نحو العالم. ففى عام ٢٠٠٦ استقدمت ٦٠٠ أستاذ نيجيرى للتدريس فى جامعاتها الاثنتى عشرة الجديدة. وقد شجع إثيوبيا على هذا أداءات النيجيريين الذين خدموا فى فيلق المساعدة الفنية TAC وهو برنامج تطوعى دولى أطلقته الحكومة النيجيرية عام ١٩٨٧ فى إطار تعاون الجنوب- جنوب.

لقد طور الإثيوبيون عبر الزمن فكرتهم عن الحضارة والحداثة لتشمل أفكارًا جديدة، لكنهم قاوموا بطرق كثيرة فرض نظام حداثى تراتبى وإقصائى من الخارج. ويسمح لنا تاريخ إثيوبيا بتقدير ذاتية الأفارقة، ومدى تعقيد الحاوية المسماة الدولة- الأمة، ودراما ظاهرة العولمة، والجدال بشأن مناسبة الخصوصيات التاريخية والثقافية لتطبيق ما يمكن اعتبارها سرديات الحداثة.

ملحق

أعلام فى تاريخ إثيوبيا

أبرهه ، سيي

Abraha, Seeye

أحد أبرز الشخصيات فى الربع الأخير من القرن العشرين. ففى الثمانينيات كان القائد الحربى للجبهة الشعبية لتحرير تيجرى، وفى التسعينيات كان وزيرًا للدفاع تحت رئاسة ميليس زيناوى، وكان أحد الأعضاء الثلاثة للمجلس العسكرى للجبهة الديمقراطية الشعبية الثورية الذى أدار إثيوبيا فى الفترة ١٩٩١- ١٩٩٥ قبل الانتخابات التى دشنت الديمقراطية الجديدة.

أفوارق ، جبرا ياسوس

Afawarq, Gabra Iyasus

(١٨٦٨- ١٩٤٧) أول كاتب روائى إثيوبى نال شهرة واسعة. أحد أوائل الإثيوبيين الذين تلقوا تعليمًا بالخارج. عمل مبكرًا فى القرن ١٩ بكنيسة مريم فى إنتوتو، وأرسله الإمبراطور منليك فيما بعد للدراسة على يدى المبعوث الإيطالى كونت أنتونيللى. درس الفن فى أكاديمية ألبرتينو فى تورين بإيطاليا، لكنه سرعان ما هجر الفن إلى الأدب والسياسة. وقد ثارت بصدده خلافات بسبب تصريحات أطلقها أثناء الحرب الإيطالية- الحبشية الثانية أبدى فيها عدم معارضته بعض جوانب المهمة التحديثية للنظام الفاشي.

أفوريك ، تيكلى

Afewerk, Tekle

(١٩٣٢-)

أحد أكثر الفنانين المحتفى بهم، وعُرف- على وجه الخصوص- برسوماته للموضوعات الأفريقية والمسيحية، إلى جانب الزجاج الملون. ولد فى أنكوبر، وشبّ فى وطن مزقته الحرب واحتله الفاشيون الإيطاليون أثناء الحرب العالمية الثانية. وفى عام ١٩٤٧ قرر أن عليه دورًا فى إعادة بناء إثيوبيا، فاختار الرحيل إلى إنجلترا لدراسة هندسة التعدين. وقبل السفر وآخرين للدراسة بالخارج التقى معهم الإمبراطور هيلا سيلاسى، وخاطبهم: "يجب أن تعملوا بجد، وحينما تعودون للوطن لا تحدثونا عن البنايات الشاهقة التى رأيتموها فى أوروبا، ولا عن اتساع شوارعها، وإنما تأكدوا من عودتكم مسلحين بالمهارات والعقليات اللازمة لإعادة بناء إثيوبيا".

أحمد، محمود

Ahmed, Mahmoud

ظل لأكثر من ٣٠ عامًا يمزج بمهارة بين الموسيقى الأمهرية التقليدية فى إثيوبيا (خاصة من السلم الخماسى الذى يميز غناء الجاز) بأنماط إيقاعية مركبة تعطى الموسيقى حسًا مميزًا مع تأثيرات البوب والجاز. أصبح نجمًا فى إثيوبيا منذ أن بدأ يسجل موسيقاه تقريبًا. ينسب إليه الفضل فى الأسلوب الذى يصهر الماضى مع الحاضر.

على ، يشيمبت

Ali, Yeshimebet

ابنة ويزيرو (إما- هوى فيما بعد) وليت جيورجس وعلى أبّا جعفر. كانت زوجة راس ماكونين، وأم الإمبراطور هيلا سيلاسى. ماتت أثناء طفولة سيلاسى. تولت أمها مع أختها ويزيرو ماميت تربية الولد حتى البلوغ.

أمدا- سيون الأول ، الإمبراطور

Amda-Seyon I, Emperor

حاكم إثيوبى (١٣١٣- ١٣٤٤) أعاد السيادة على الممالك الإسلامية فى الأقاليم الساحلية المنخفضة. وحسب إدوارد أوليندورف "كان أحد أبرز ملوك إثيوبيا فى كل العصور، وشخصية فريدة استطاع السيطرة على القرن الأفريقى فى القرن ١٤". كُتبت فى عهده بعض أقدم الأعمال الأدبية الإثيوبية، ومن أشهرها "كتاب مجد الملوك" الذى ترجم من العربية بطلب من يبيكا إجزى حاكم إندرتا. ومن الأعمال الأخرى فى تلك الفترة: "كتاب أسرار السماء والأرض" الذى كتبه إسحق من دبرى جول، "تاريخ الإسكندر الأكبر" وهو قصة يصبح فيها الإسكندر قديسًا مسيحيًا. كما صيغت فى عصر الإمبراطور أمدا- سيون أربعة من أناشيد الجند التى تعتبر أقدم النماذج الموجودة من اللغة الأمهرية.

أملاك ، يكونو ، الإمبراطور

Amlak, Yekuno, Emperor

(اسمه على العرش: تاسفا ياسوس)

ملك ملوك إثيوبيا فى الفترة ١٢٧٠- ١٢٨٥. أسس (والبعض يقول: استعاد) السلالة الملكية السليمانية. أرجع أصوله من أبيه، تاسفا ياسوس، إلى ديل ناود آخر ملوك أكسيوم. يخبر التاريخ المأثور أن ملك الزغاوة ذا المكنون قد سجنه فى مالوت، لكنه تمكن من الهرب. حصل على تأييد مناطق الأمهرة وشيوا، وعلى رأس جيش من أنصاره هزم ملك الزغاوة. أمر ببناء كنيسة جينيت مريم بالقرب من لالبيلا، والتى تحتوى على أقدم رسومات جدارية متبقية فى إثيوبيا.

أصفاو، منين، الإمبراطورة

Asfaw, Menen, Empress

(اسم المعمودية: وليتى جيورجس)

(١٨٨٩- ١٩٦٢)

زوجة الإمبراطور هيلا سيلاسى الأول. ابنة أصفاو، جانتيرار، سليل مباشر للإمبراطور ليبنا دينجل. نشطت فى القضايا النسائية، وراعية الصليب الأحمر الإثيوبى، ومنظمة نساء إثيوبيا الخيرية. توفيت عام ١٩٦١ ودفنت فى كاتدرائية الثالوث المقدس بأديس أبابا إلى جانب قبور أطفالها.

أشينافى، سينيت

Ashenafi, Senait

(١٩٦٦-)

ممثلة بالولايات المتحدة، ولدت فى إثيوبيا. لعبت دور كيشا وارد فى مسلسل "المستشفى العام" فى الفترة من ١٩٩٤ حتى ١٩٩٨. كما عملت راقصة ومغنية وموديلاً. انتقلت وأسرتها إلى الولايات المتحدة حيث درست فى جامعة ولاية فلوريدا. تنخرط فى أنشطة وقضايا الشتات الإثيوبى منذ هذا الوقت.

أستاتكى، مولاتو

Astatke, Mulatu

(١٩٤٣-)

مؤلف وموزع موسيقى. يعرف بلقب "أبى الجاز الإثيوبي". ولد عام ١٩٤٣ فى مدينة جيما غرب إثيوبيا. تلقى تدريبه الموسيقى فى لندن ونيويورك وبوسطن، حيث كان أول

طالب أفريقى يلتحق بكلية بيركلى للموسيقى. قام بمزج الجاز مع المؤثرات الموسيقية اللاتينية والموسيقى الإثيوبية التقليدية. ظهرت موسيقاه عام ٢٠٠٥ بوصفه واضع الموسيقى التصويرية لفيلم جيم جارموش "زهور محطمة".

أويكى، أستر

Aweke, Aster

(١٩٦١-)

من جوندار، المدينة الصغيرة بجوار بحيرة تانا. واحدة من أحب الفنانين الإثيوبيين. نشأت فى أديس أبابا، ابنة لموظف حكومى كبير، بدأت احتراف الغناء أواخر العقد الثانى من عمرها فى نوادى وفنادق العاصمة مع فرق مثل كونتننتال باند، أوتيل دافريك باند، شبيلى باند، وإبيكس باند. ثم بدأت فى الغناء المنفرد، لكن ضجرت بسبب غياب الحرية السياسية والفنية فى الوطن، فذهبت إلى الولايات المتحدة واستقرت فى واشنطن. عادت إلى عملها القديم بالغناء فى المطاعم الإثيوبية على طريق بناء شعبيتها. قامت فيما بعد بجولة فنية عام ١٩٨٥ فى أوروبا والولايات المتحدة. وهى تتمتع الآن بالشهرة فى أنحاء مختلفة من العالم، حيث وُصِفت بأنها صوت شعبها وربما المغنية الأشهر فى إثيوبيا.

بايانا، ألاماوارق

Bayyana, Alamawarq

طبيب بيطرى، تعلم فى بريطانيا، ورئيس "الأسود السوداء" وهى حركة مقاومة سياسية ضد الغزو الفاشى لإثيوبيا عام ١٩٣٥. كان مثقفًا محافظًا وإن كان من المنشغلين بالتطور السياسى فى إثيوبيا. توفى بعد فترة وجيزة من تحرير إثيوبيا.

بيداسو ، أرجاو

Bedaso, Aragaw

(١٩٣٤-)

مغنٍ تقليدى إثيوبى منذ وقت طويل، نال كثيرًا من المديح عن أغانى جوراج. وأشهر أغانيه هىَ "أليم بيري". بدأ الغناء عام ١٩٥٧، وما زال نشيطًا فى المشهد الغنائى الإثيوبي.

بينتى ، تافاري

Benti, Tafari

(١٩٢١- ١٩٧٧)

رئيس إثيوبيا فى الفترة من ٢٨ نوفمبر ١٩٧٤ إلى ٣ فبراير ١٩٧٧. اشترك مع أمان ميكايل أندوم ومنجستو هيلا ماريام فى قيادة الانقلاب العسكرى الذى أطاح بالإمبراطور هيلا سيلاسى يوم ١٢ سبتمبر ١٩٧٤. أصبح الرئيس فى أعقاب وفاة أندوم بعد ذلك بشهرين، وعشرة أيام تولى فيها منجستو الرئاسة. اغتيل فيما بعد بأمر من منجستو الذى خلفه فى القيادة وأكمل تحول إثيوبيا إلى دولة ماركسية حتى سقوط النظام العسكرى عام ١٩٩١.

بيتول ، تايتو ، الإمبراطورة

Betul, Taytu, Empress

(توفيت ١١ فبراير ١٩١٨)

تزوجت ساهلى ماريام ملك شيوا الذى أصبح فيما بعد إمبراطور إثيوبيا منليك الثانى. عُرِفت بممارسة سلطة سياسية كبيرة كزوجة لمنليك، سواء قبل أم بعد تتويجهما إمبراطورًا وإمبراطورة عام ١٨٨٩. قادت الجناح المحافظ فى البلاط وقاومت الحداثيين

والتقدميين الذين أرادوا تطوير إثيوبيا على الأسس الغربية. وبسبب شكوكها العميقة في النوايا الأوروبية تجاه إثيوبيا، أصبحت لاعبًا رئيسيًا فى الصراع بشأن معاهدة ويتشالى مع إيطاليا، والتى ورد فى نسختها الإيطالية جعل إثيوبيا محمية إيطالية، رغم عدم ورود هذا النص فى النسخة الأمهرية من المعاهدة. اتخذت الإمبراطورة موقفًا متشددًا من الإيطاليين، وحينما انهارت المباحثات وقامت إيطاليا بغزو الإمبراطورية من إريتريا المستعمرة، تحركت شمالاً مع الإمبراطور والجيش الإمبراطورى، وتولت قيادة قوة مدفعية فى معركة عدوة التاريخية التى أوقعت هزيمة مذلة بالإيطاليين فى مارس ١٨٩٤. ويُعتقد أن تايتو قد اشتركت إلى حد ما فى المؤامرة التى أزاحت الإمبراطور ياسو الخامس عن العرش عام ١٩١٦ ووضعت مكانه ابنة زوجها الإمبراطورة زوديتو. عاشت بقية حياتها فى كنيسة إنتوتو ماريام بالقرب من أديس أبابا. ودفنت بجوار زوجها.

بيكيلا ، أبيبي

Bikila, Abebe

(١٩٣٢– أكتوبر ١٩٧٣)

ولد فى بلدة جاتو التى تبعد ١٣٠ كيلو مترًا من أديس أبابا. تقول الروايات الشفاهية إنه قضى معظم طفولته راعيًا للأغنام وتلميذًا. وفى سن الثانية عشرة أكمل تعليمه، وقد استطاع بالكاد طرح نفسه بوصفه رياضيًا فى العَدْو. انضم للحرس الإمبراطورى عام ١٩٥٢، وشارك فى المسابقات الدولية. قضى سنوات طويلة فى الحرس الإمبراطورى مع بروزه فى المجال الرياضى. كانت قدوته الرياضيون الذين مثلوا إثيوبيا فى الدورات الأوليمبية، فعزم أن يكون منهم. وفى سنة ١٩ حينما كان عمره ٢٤ عامًا، اشترك فى البطولات التى تجريها القوات المسلحة على المستوى الوطنى، حيث فاز بسهولة، واستطاع تحطيم الرقم الوطنى المسجل باسم إثيوبى آخر لسباقى ٥ آلاف و١٠ آلاف متر. أصبح أسطورة بعد تسجيله رقمًا قياسيًا عالميًا جديدًا فى أوليمبياد روما ١٩٦٠

ليصبح أول أفريقى يفوز بميدالية أوليمبية[1]. بعد هذا بأربع سنوات فى أوليمبياد طوكيو تغلب على مرضه بالتهاب الزائدة الدودية واستطاع الفوز بعد مرور ستة أسابيع فقط على الجراحة. وفى أوليمبياد المكسيك اضطر للانسحاب من السباق بعد ١٥ كيلومترًا بسبب سوء حالته الصحية، ومع ذلك فقد فاز بالسباق مواطنه مامو وُلدى. وقد اشترك أبيبى فى أكثر من ٢٦ ماراثون فى سجله الحافل، خاصة فى الفترة ١٩٦٠- ١٩٦٢. تعرض لحادث سيارة عام ١٩٦٨ تسبب فى شلل نصفه الأسفل، وخضع للعلاج المكثف لمدة ٩ أشهر فى إثيوبيا والخارج. وحتى وهو على كرسى المقعدين لم تتوقف رغبته فى رفع علم بلاده، فاشترك عام ١٩٧٠ فى سباق للتزلج بالنرويج حصل فيه على الميدالية الذهبية. دفن فى كنيسة القديس يوسف بحضور الإمبراطور سيلاسى وحشد كبير.

بوغوسيان. ألكسندر "سكندر"

Boghossian, Alexander Skunder

(١٩٣٧- ٢٠٠٣)

مواطن إثيوبى قام بالزيارة الأولى للغرب عام ١٩٥٥ للدراسة بمنحة حكومية. ثم انتقل إلى باريس حيث ظل بها لمدة ٩ سنوات. وهناك تواصل مع الفنانين والمثقفين الأفارقة المنضوين فى حركة الزنوجة، كما احتك بالسورياليين الفرنسيين. ومن الفنانين الذين أثروا فيه: بول كلى، روبرتو ماتا، والفنان الكوبي- الأفريقى ويلفريدو لام. عُيِّن عام ١٩٧٢. عضو هيئة تدريس بجامعة هوارد فى واشنطن. وُصِفت أعماله بأنه "احتفاء دائم بتنوع اللون الأسود"، وعُرِضت فى أماكن مختلفة من العالم مثل المتحف الوطنى للفن الأفريقى التابع لمؤسسة سميثونيان. بعد وفاته صرح مدير المتحف: "قبل أيام فقط كان سكندر معنا، يحيط به رفاقه الفنانون، وزملاؤه فى جامعة هوارد، وأعضاء

---

(1) للأسف المعلومة خاطئة. وربما كان من الأفضل الحديث عن سباقات العدو فحسب. فقد سبقه فى الحصول على ميداليات أوليمبية ذهبية من المصريين فقط الرباع السيد نصير فى أوليمبياد أمستردام ١٩٢٨. والمصارع إبراهيم مصطفى فى الدورة ذاتها. والرباع أنور مصباح فى أوليمبياد برلين ١٩٣٦. والرباع خضر التونى فى ذات الدورة. والرباع محمود فياض فى أولمبياد لندن ١٩٤٨. ناهيك عمن حصلوا على ميداليات فضية وبرونزية- المترجم.

الجالية الإثيوبية، وأصدقاء من المتحف الوطنى للفن الأفريقى، للاحتفال بافتتاح "ممرات إثيوبية: حوارات الشتات". كم كنا سعداء بمشاركته فى المعرض. إنه شخصية رئيسية فى تاريخ الفن الأفريقى الحديث، وقد فتح الطريق أمام الآخرين ليتبعوه، وترك لنا أعمالاً مهمة كثيرة. ستظل روحه خالدة فى متحفنا".

مولوجيتا ، بولي

Buli, Mulugeta

ميجور جنرال، كبير معلمى مدرسة هولاتا الحربية، وقائد الحرس الإمبراطورى من ١٩٤١ حتى ١٩٥٥. تمتع بشعبية كبيرة، وقد اختاره منظمو انقلاب ١٩٦٠ رئيسًا لأركان القوات المسلحة، لكنه قُتِل فيما بعد بأمر البريجادير جنرال منجستو نيواى قائد الانقلاب الفاشل.

تشولى ، إشيتو

Chole, Eshetu

(١٩٤٥ - ١٩٩٨)

اقتصادى كبير. شملت أعماله طائفة عريضة واستثنائية من الموضوعات: الزراعة، التنمية الاقتصادية والاجتماعية، السياسة المالية، الاقتصادان الكلى والجزئى. والتنمية البشرية على جميع المستويات. كما كتب الشعر. ولد فى نجيلى بورينا، وتلقى فيها تعليمه الابتدائى. أكمل تعليمه الثانوى فى مدرسة الجنرال ونجت بأديس أبابا. ثم التحق بقسم الاقتصاد بكلية جامعة أديس أبابا (جامعة هيلا سيلاسى الأول فيما بعد، ثم جامعة أديس أبابا حاليًا) وحصل على درجته العلمية الأولى فى الاقتصاد عام ١٩٦٦ ونال الميدالية الذهبية من عميد كلية الآداب. بعد تعيينه بالقسم حصل على الماجستير من جامعة إلينوى بالولايات المتحدة عام ١٩٦٨، والدكتوراه عام ١٩٧٣ من جامعة سيراكوز. وصفه رئيس الوزراء ميليس زيناوى فى كلمة افتتاحية بندوة عقدت تكريما لإشيتو بـ "الأكاديمى والعالم

ذى القدرة الفريدة" ورجل "الإنجازات الفكرية الكبيرة". وأضاف رئيس الوزراء: "إن حقيقة عدم اتفاق بعضنا معه فى عدد من القضايا الأساسية لا تقلل من احترامنا لفكره وتقديرنا لإنجازاته". وبالإضافة إلى نشاطه بوصفه اقتصاديًا، كان مناضلاً أيضًا من أجل العدالة الاجتماعية والديمقراطية. وقال عنه متحدث آخر فى ذات الندوة إنه يمثل جيلاً من الإثيوبيين الملتزمين بمحاربة الفقر وتسريع التنمية الاجتماعية والاقتصادية فى إثيوبيا، بوصفه ناشطًا ومعلمًا وعالمًا أسهم أسهم فى إنتاج الجيل الحالى من الاقتصاديين.

دامتاو، دستاو، راس

Damtaw, Dastaw, Ras

زوج ابنة الإمبراطور هيلا سيلاسى. عضو بالعشيرة الأرستقراطية ومُنح حكم مقاطعة سيدامو. كان هو والأميرة تنجنورك أبوين لأميرين أمها وإسكنر ديستا (أدميرال فيما بعد) وأربع بنات هن الأميرات عايدا، سيبلى، صوفيا، وهيروت. عُيّن حاكمًا عامًا فى كافا وليمو ثم فى سيدامو. حينما غزا الإيطاليون الفاشيون إثيوبيا عام ١٩٣٥ واضطرت العائلة الإمبراطورية للهرب، بقى هو فى قيادة القوات الإمبراطورية التى تحارب فى جنوب البلاد. وبعدما قاتل ببسالة أسَرَتَه القوات الفاشية وأعدمته.

داندرادى، أنطونيو

d'Andrade, Antonio

ولد لأب برتغالى وأم إثيوبية. لعب دورًا أساسيًا فى إنشاء الدراسات الإثيوبية. عضو فى جماعة إثيوبية صغيرة من الكهنة والعلماء فى الفاتيكان. قام مع إخباريين إثيوبيين آخرين مثل أبا جورجوريوس (رجل دين كاثوليكى منفى من ميكانى سيلاسى فى أمهرة) بمساعدة المستشرقين الألمان مثل هيوب لودولف الذى كان كتابه "تاريخ إثيوبيا" عام ١٦٨١ وأعمال أخرى بداية رائدة فى البحث الإثنولوجى الحديث. وقد أرسى هؤلاء الأساس الذى أكملته أجيال تالية أكثر استقلالية من علماء الأدبيات الدينية مثل دابيترا كيلفى جيورجس، أبا أبرهام، أونيسيموس نسيب.

دنجيل ، سارسا

Dengel, Sarsa

("برعم العذراء" بالأمهرية، اسم التتويج: ملاك ساجاد الأول)

(١٥٥٠- أكتوبر ١٥٩٧)

ملك ملوك إثيوبيا فى الفترة ١٥٦٣- ١٥٩٧، ابن ميناس ومن أعضاء السلالة السليمانية. أول إمبراطور إثيوبى يواجه تمرد أورومو وهزم نور بن مجاهد. وفى العام العاشر من حكمه (١٥٧٣) هزم الأورومو فى معركة بالقرب من بحيرة زواى. كما حاربهم عامى ١٥٧٨ و١٥٨٨. وشن حملات ضد الفالاشا فى سيمين عام ١٥٨٠، ثم فى ١٥٨٥، وواجه الأجوا فى ١٥٨١ و١٥٨٥. كذلك شن فى ١٥٩٠ حملات على الجامبو القاطنين فى الأراضى غرب مستنقعات كومان. كما قاد حملة تأديبية ضد الأتراك العثمانيين عام ١٥٨٨ ردًا على غاراتهم فى المقاطعات الشمالية، وكذلك حملات فى إناريا عامى ١٥٨٦ و١٥٩٧.

ديستا ، جبرى كريتوس

Desta, Gebre Kristos

(١٩٣٢- ١٩٨١)

فنان تشكيلى وصفت رسوماته باللافتة للاهتمام، ليس فقط لمنجزها التكنيكى الشكلى، وإنما أيضًا لقوتها الرمزية ورؤيتها السيكولوجية الثاقبة. عايش وعلق على الصراعات السياسية الإثيوبية بأسلوب تعبيرى رمزى. يعتبر واحدًا ممن أدخلوا الفن الرمزى والتجريدى إلى إثيوبيا. أعماله مثل "الأم والطفل"، "ليس بعيدًا عن مسرح أمباسادور"، "درب الآلام"، "الأطفال ذوو الأحذية اللامعة"، و"الموسيقى السوداء".. تناولت التاريخ الوطنى الإثيوبى، القصص الدينى، الأساطير، القضايا الثقافية، والمشكلات الاجتماعية، كما عكست المناخ السياسى فى البلاد. فرّ من إثيوبيا عام ١٩٧٩ أثناء حكم الدرج، وتوفى بالولايات المتحدة بعد أقل من عامين على لجوئه السياسى فى لوتون بأوكلاهوما.

دينسامو، بيلاينه

Dinsamo, Belayneh

(١٩٦٥-)

نال شهرة دولية بعدما حقق رقمًا عالميًا جديدًا فى سباق الماراثون بروتردام، هولندا، فى ١٧ أبريل ١٩٨٨. وظل الرقم صامدًا حتى عام ١٩٩٨.

إجيجايهو شيبابوا، أو جيجي

Ejigayehu Shibabaw, or Gigi

مشهورة عالميًا ضمن أنجح المغنين الإثيوبيين المعاصرين. جاءت من التقاليد القديمة للأغنية المنبثقة من الكنيسة الإثيوبية، وجلبت للموسيقى الإثيوبية تقديرًا واسعًا، وطورتها بالجمع بين أنماط عديدة. عملت وزوجها بيل لاسويل مع أساطير الجاز الأمريكى مثل هيربى هانكوك، واين شورتر، وفاروه ساندرز.

إندلكاتشيو، ماكونين ليدج

Endalkachew, Makonnen Lij

(١٩٢٧- ٢٤ نوفمبر ١٩٧٤)

سياسى إثيوبى. ولد فى أديس أبابا لأبيه راس بيتوديد ماكونين إندلكاتشيو الذى تولى رئاسة وزراء إثيوبيا فى الخمسينيات. عضو فى عشيرة أديسجى الأرستقراطية التى ظلت ذات نفوذ كبير فى الجزء الأخير من عمر الملكية فى إثيوبيا. آخر رئيس وزراء إمبراطورى، حيث عينه الإمبراطور هيلا سيلاسى فى هذا المنصب فى ٢٨ فبراير ١٩٧٤ حتى ٢٢ يوليو من العام نفسه. تعرضت الحكومة الإمبراطورية خلال فترته للهجوم من جانب الطلاب والعمال المضربين الذين طالبوا بالتحقيق فى الفساد فى أعلى مستويات

الحكم، وإدخال إصلاحات فى مسألة حيازة الأرض، إلى جانب الإصلاحات السياسية. حاول التعامل مع هذه المطالب بتقديم إصلاحات بدأت فى تغيير طبيعة الحكم الملكى. وبالحاح منه عرفت إثيوبيا التجربة الأولى لحرية الصحافة، وإن كانت قصيرة. غير أنه، وقبل أى إصلاح دستورى آخر، قام الدرج (لجنة عسكرية لمكافحة الفساد) بالقبض عليه يوم ٢٢ يوليو ١٩٧٤ باعتباره كان عضوًا فى الحكومة السابقة برئاسة تسفاى تيزاز أكليلو هابتي- ولد، وكلف ليدج ميكائيل بتولى منصب رئيس الوزراء. وفى سبتمبر ١٩٧٤ أطاح انقلاب عسكرى للدرج بالإمبراطور هيلا سيلاسى، وتم إعدامه ضمن ٦١ من مسئولى الحكومات الإمبراطورية، يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٧٤.

إندلكاتشيو، بيتوديد ماكونين، راس

Endalkachew, Betwoded Makonnen, Ras

(١٨٩٠- ١٩٦٣)

من النبلاء ومسئول رفيع فى نظام الإمبراطور هيلا سيلاسى. كان على رأس عشيرة أديسجى الأرستقراطية القوية. صاحب هيلا سيلاسى فى رحلته إلى أوروبا فى الفترة من ١٦ أبريل إلى ٤ سبتمبر ١٩٢٤. حارب الغزو الإيطالى عام ١٩٣٦ ثم أنفق بعض الوقت بالقدس فى الفترة من ١٩٣٦ حتى ١٩٤١، ثم عاد إلى جانب الإمبراطور بعد التحرير الكامل للبلاد. أول رئيس لوزراء إثيوبيا بعدما أنشأ هيلا سيلاسى هذا المنصب عام ١٩٤٢ بعد وقت قصير من استعادة السلطة بعد الغزو الإيطالى. بقى فى المنصب حتى تقاعد فى الأول من نوفمبر ١٩٥٧. ترأس الوفد الذى مثل إثيوبيا فى مؤتمر سان فرنسيسكو الذى أنشأ الأمم المتحدة. أيضًا كان مؤلفًا فى الموضوعات التاريخية والروايات.

إيشاتى ، حكيم ورقينه

Eshate, Hakim Warqenah

(الدكتور تشارلز مارتن)

جراح ومعلم وحاكم مقاطعة والوزير المفوض الإثيوبى إلى لندن عند اندلاع الحرب الإيطالية- الإثيوبية عام ١٩٣٥. كانت آراؤه تقدمية اجتماعيًا وسياسيًا. عين مسئولاً عام ١٩٢٤ عن إصلاح الرق الإقطاعى.

إشيتى ، أليمايهو

Eshete, Alemayehu

مواطن من أديس أبابا. برع حينما كان شابًا فى تقليد مشاهير المطربين، واكتسب اسم الشهرة "أليمايهو إلفيس". أسس منذ ١٩٦١ العديد من الفرق الحديثة التى كانت تقدم عروضها فى نوادى وفنادق الدرجة الأولى. سجل أغانى رومانسية وسياسية وقفت ضد المظالم المحلية والعالمية. ما زالت موسيقاه تتمتع بالانتشار والشعبية فى إثيوبيا الحديثة. حصل عام ١٩٨٤ على جائزة تشايكوفسكى فى مهرجان الموسيقى العالمية بدرسدن، ألمانيا.

فاسيلداس أو باسيليديس ، الإمبراطور

Fasilidas or Basilides, Emperor

(١٦٠٣- ١٨ أكتوبر ١٦٦٧)

ولد فى مجازاز شيو. ملك ملوك إثيوبيا فى الفترة ١٦٣٢- ١٨ أكتوبر ١٦٦٧، وعضو فى السلالة الملكية السليمانية. ابن سيسينيوس والإمبراطورة سلطانة موجاسًا، وأصبح وريثها المعلن فى ١٤ يونيو ١٦٢٤. تُوِّج إمبراطورًا عام ١٦٣٠ (ومنح اسم ألام

ساجاد) أثناء تمرد قاده سيرسا كريستوس، لكنه لم يصل إلى العرش فعليًا إلا فى عام ١٦٣٢، وحاول على الفور استعادة السلطة التقليدية للكنيسة الأرثوذكسية. صادر أراضى الجيزويت فى دانكاز وغيرها، وأبعدهم مرة أخرى إلى فيرمونا. أسس المدينة التى عرفت فيما بعد باسم جوندار عام ١٦٣٦ واتخذ منها عاصمة له. دفن فى دير سانت ستيفن بجزيرة داجا فى بحيرة تانا.

فيرمناتوس أو فرومينتيوس تيري

Fremnatos or Frumentius of Tyre

(توفى عام ١٣٨٣)

أشهر قديس مسيحى فى إثيوبيا. مؤسس الكنيسة الإثيوبية وأول أساقفة أكسيوم، وينسب له إدخال المسيحية إلى إثيوبيا. وحسب روفينوس مؤرخ القرن الرابع، اصطحب فرومينتيوس وإديسيوس عمهما متروبيوسَ فى رحلة إلى إثيوبيا. وحينما رست سفينتهم على أحد موانى البحر الأحمر قام السكان بذبح الطاقم بأكمله فيما عدا الولدين اللذين أُخذا بوصفهما عبدين إلى ملك أكسيوم. وسرعان ما أصبحا مفضّلين عند الملك وموضع ثقته، ومنحهما حريتهما قبل وفاته. غير أن الملكة أرملته أجبرتهما على البقاء فى البلاط لمساعدتها فى تنشئة وريثها الصغير إرازانيس، وفى إدارة المملكة. استخدم الشقيقان نفوذهما فى نشر المسيحية، وإن كان فرومينتيوس قد لعب فى هذا دورًا أكثر محورية. فشجعا التجار المسيحيين على القدوم للبلاد وممارسة شعائرهم فى العلن، كما قاما فيما بعد بتنصير بعض الجماعات المحلية. وتحتفل الكنيسة الكاثوليكية الرومانية بعيد فروميتيوس فى ٢٧ أكتوبر، وكنيسة التوحيد الأرثوذكسية الشرقية فى ٣٠ نوفمبر، والكنيسة القبطية فى ١٨ ديسمبر. ينسب التقليد الإثيوبى له الترجمة الإثيوبية الأولى الجديد .

جبرى – ميدهن، تسيجاي

Gabre-Medhin, Tsegaye

(١٩٣٦ – ٢٠٠٥)

شاعر ومؤلف مسرحى وكاتب ومدير فني. ولد فى أمبو بإثيوبيا، وتخرج فى مدرسة بلاكستون للقانون فى شيكاجو عام ١٩٥٩، وفى عام ١٩٦٠ درس المسرح التجريبى فى مسرح رويال كورت بلندن، والكوميدى فرانسيز بباريس. عمل على مدى الفترة ١٩٦١– ١٩٧١ مديرًا فنيًا للمسرح الوطنى الإثيوبى، وفى أواخر السبعينيات أسس قسم المسرح بجامعة أديس أبابا. تعرض للسجن إبان حكم الدرج فى السبعينيات، والذى حظر كتاباته أيضًا. كتب الكثير من الأشعار والمسرحيات والمقالات والأغانى، خاصة باللغة الأمهرية. ينظر إليه كثير من الإثيوبيين على أنه "شكسبيرهم". ترجم مسرحيات شكسبير (وأشهرها هاملت وعطيل) وترجم لموليير "تارتوف" و"طبيب رغم أنفه"، ولبريخت "الأم شجاعة". توفى فى منهاتن التى كان قد انتقل إليها عام ١٩٩٨ للعلاج من مرض الكلى. دفن فى الكاتدرائية الوطنية بأديس أبابا حيث يرقد جثمان هيلا سيلاسي.

جيبرو، سنيدو

Gebru, Senedu

مثقفة إثيوبية، درست فى سويسرا أثناء الاحتلال الفاشى، واحتجزت لفترة فى إيطاليا. انضمت لحركة مقاومة الفاشية فى غرب إثيوبيا. ارتدت وأخريات زيًا موحدًا وقبعات عليها علامة الصيب الأحمر وخدمن بوصفهن "وحدات تلقائية للصليب الأحمر"، حيث عالجن المقاتلين والمدنيين المصابين بالرصاص والحروق والغازات السامة. واعتبر عملها المنشور فى ١٩٤٩– ١٩٥٠ القطعة الأدبية الأولى المهمة التى تطبع فى أديس أبابا عن تلك التجربة.

جيريما ، هيلي

Gerima, Haile

(ولد ٤ مارس ١٩٤٦)

مخرج سينمائى إثيوبى جاء إلى الولايات المتحدة عام ١٩٦٨ وأصبح من الأعضاء المهمين بمدرسة لوس أنجلوس لمخرجى السينما. أصبح أستاذًا للسينما فى جامعة هوارد بواشنطن منذ ١٩٧٥. أشهر أفلامه "سانكوفا" (١٩٩٣) ويدور حول الرق.

جوجسا ييجو

Gugsa of Yejju

(توفى ٢٣ مايو ١٨٢٥).

راس (أو أمير) بيجمدر من عام ١٧٨٩ حتى وفاته، والوصى على الإمبراطور. ابن ميرسو بارنتو أخت راس أليجاز. زوّج إحدى بناته لدجزماتش ميرو من بيت فينجا، وتزوجت أخرى من من دزجماتش هيلى ماريام. عندما أصبح وصيًا قوّى السلطة المركزية للإمبراطورية (وإن أبقى على الإمبراطور فى وضع صوري) قام بتجريد طبقة النبلاء من ممتلكاتهم فى أجزاء إثيوبيا تحت سيطرته. وقد حقق هذا بأن أعلن عام ١٨٠٠ وباسم الإمبراطور تحويل ملكية الأراضى من الملكية الحرة إلى ملكية الدولة. رحب الفلاحون فى البداية بهذا الإجراء معتقدين أنهم المستفيدون من خسارة سادتهم. لكن مع توسعه نزع ملكيات الأسر الكبيرة عامًا بعد الآخر لهذا السبب أو ذاك، وجد الفلاحون أنهم قد فقدوا آخر المدافعين عنهم. دفن بكنيسة ياسوس فى ديبرى تابور.

جوتو، واقو

Gutu, Waqo

(١٩٢٤- ٢٠٠٦)

متمرد إثيوبى، وجنرال حربى، وقائد قوات تحرير أورومو منذ الستينيات فى بالى، أورومو الجنوبية، إثيوبيا. انتُخِب قائدًا عامًا لهذه القوات عام ٢٠٠٠. نجح خلال الفترة من ١٩٦٣ إلى ١٩٧٠ فى تحرير بالى من الاحتلال الإمبراطورى، لكنه استسلم لقوات سيلاسى لمنع وقوع مذبحة لشعبه، حسبما تقول روايات أورومو. سيطرت قوات العصابات التى يقودها على عدة بلدات فى أورومو خلال الفترة من ١٩٧٥ إلى ١٩٩١. زار العديد من البلدان، بما فيها الصومال، لجمع الأموال والسلاح لتصعيد النضال. وفى عام ١٩٨٩ أسس الجبهة المتحدة لتحرير شعب أورومو للاشتراك فى النضال ضد منجستو هيلى ماريام. وانضم فيما بعد لتحالف جبهة تحرير تيجرى برئاسة ميليس زيناوى والذى أطاح بمنجستو، لكنه عاد إلى الأحراش مرة أخرى عام ١٩٩٢ متهمًا الحكام الجدد بالخيانة. توفى فى نيروبي.

جوانجول، أبا سيرو

Gwangul, Abba Seru

(توفى ١٧٧٨)

كان زعيمًا قبليًا لبيجى أورومو، وهى جماعة عرقية فى إثيوبيا. زعم أنه حفيد عربى اسمه عمر خدم فى جيوش أحمد جران. اشتهر بلقاء وتزويد المستكشف الاسكتلندى جيمس بروس بالمعلومات عام ١٧٧٠ والتى ضمّنها فى وصفه لرحلاته فى إثيوبيا.

هابتى - ولد ، أكليلو

Habte-Wold, Aklilu

(١٩١٢ - ١٩٧٤)

سياسى إثيوبى فى عهد الإمبراطور هيلا سيلاسى. شغل منصب وزير خارجية إثيوبيا فى الفترة من ١٩٤٧ حتى ١٩٥٨، ورئاسة الوزراء من ١٩٦١ حتى قبيل وفاته بوقت قصير. استفاد مع أخويه (ماكونين وأكاليورك) من رعاية الإمبراطور هيلا سيلاسى لتعليمهما فى الداخل والخارج فى إطار مساعيه لبناء طبقة جديدة من الإنتلجنسيا والمهنيين المتعلمين تعليمًا غربيًا. تعلم فى فرنسا، وكان من بين من رافقوا الإمبراطور فى منفاه بعد اندلاع الحرب الإيطالية- الحبشية الثانية. نشط فى جمع الأموال لجماعة المنفى وللمقاومة داخل إثيوبيا. عينه الإمبراطور عام ١٩٥٨ مستشارًا له ومنحه لقب "تسيهافى تيزاز". وحينما تطورت الاحتجاجات الطلابية وتمردات الجنود بسبب التدهور الاقتصادى الناجم عن حظر النفط عام ١٩٧٣ إلى انتفاضة شعبية ضد الحكومة، ارتفعت الدعوات المطالبة بعزله. وحينما قام المجلس العسكرى الماركسى بإزاحة الإمبراطور سيلاسى عام ١٩٧٤ تم إعدامه مع أخويه دون محاكمة فى نوفمبر ١٩٧٤ ضمن ٦٠ مسئولاً آخر.

هيمانوت ، أبونا تكلا

Haymanot, Abune Takla

ثالث بطريرك للكنيسة الأرثوذكسية الإثيوبية. جلس على كرسى البطريركية ليخلف البطريرك أبونا تيوفيلوس الذى خلعه نظام الدرج الماركسى عام ١٩٧٧. فبعد اعتقال البطريرك أمر الدرج بعقد مجمع رجال الدين والعلمانيين مع السينود المقدس لانتخاب بطريرك جديد. ولم يكن جميع الأساقفة مؤهلين لأن يُنتخَبوا بسبب قربهم الشديد من البطريرك المعزول، ودُفِع مجمع الكنيسة كى ينتخب راهبًا ناسكًا عُرِف باسم أبا مِلاكو ليكون البطريرك القادم. ولما كان قد نال القليل من التعليم الرسمى والإلمام بالشئون الدنيوية، فقد قضى أبا ملاكو معظم حياته بوصفه ناسكًا يصلى فى معزله، ويعظ الناس

فى مقاطعة ولايتا. ويُعتقد أن الدرج أمل فى أن يكون هذا الرجل سهل القياد. وبعدما جلس على الكرسى عين فى عامه الأول ١٤ أسقفًا جديدًا محل الأساقفة القدامى الذين كانوا قريبين من حكومة الإمبراطور هيلا سيلاسى. كما وُضِع مدير عينته الحكومة للتأكد من بقاء الكنيسة تحت هيمنة الدرج. قضت حكومة الدرج من الناحية العملية على أبونا تيوفيلوس، لكن الكنيسة القبطية رفضت الاعتراف بعزله وأعلنت أنه سيظل البطريرك الشرعى فى إثيوبيا المعترف به من جانبها. ظل أبونا تكلا هيمانوت على رأس الكنيسة فى حقبة مضطربة من تاريخ إثيوبيا. فإلى جانب حكم الدرج السيئ عانت إثيوبيا سلسلة من الكوارث الطبيعية، ومعها جسد أبونا هيمانوت وقار الكنيسة وكرامتها، حتى أصبح الأكثر شعبية بين كل من جلسوا على كرسى البطريركية فى إثيوبيا. بمجرد تنصيبه رفض ارتداء العباءات السوداء التقليدية لكبار رجال الكنيسة الأرثوذكسية، وأدخل بدلاً منها عباءات صفراء ناصعة، لون رهبان باهيتاوى، وأيضًا هو اللون الرامز للكفارة والمعاناة فى التقليد الإثيوبى. وفى الحقيقة أنفق البطريرك كل سنوات عهده الإحدى عشرة تقريبًا فى كفارة مستمرة. كان يصلى باستمرار ولا يأكل سوى القليل من الحبوب والبقول المسلوقة أو المشوية، وينام على الأرض العارية، ويرتدى أرخص الصنادل، فى حالة متصلة من كبح الجسد. كان ينفق راتبه الشخصى على تعليم مجموعة من أيتام المجاعة. وعلى الرغم من أنه لم يتواجه مع الحكومة الشيوعية بشكل مباشر خشية زيادة ملاحقة أتباعه، فقد كان يعظ الناس بأن يكونوا أقوياء وأن يصلوا. وقد بينت بعض المصادر أنه قد أبدى فيما بعد معارضة لأعمال العنف التى يرتكبها الدرج. عانى البطريك من سوء حالته الصحية جراء صيامه وكفارته المتواصلين. وتوقف عن الظهور العام سوى حضور القداسات فى الكنيسة. كان ظهوره الأخير عند افتتاح كنيسة جديدة فى ولايتا حيث زار المعزل الذى سبق أن عاش فيه. وعاد إلى أديس أبابا حيث أدخل إلى المستشفى فى الحال ليلفظ أنفاسه الأخيرة فى مايو ١٩٨٨. وأمرت الحكومة بجنازة رسمية كاملة له، بفرقة عسكرية والتحية بالسلاح وتنكيس الأعلام فى أنحاء إثيوبيا. وحُمل النعش المكشوف من كنيسة سانت مارى فى البطريركية إلى كاتدرائية الثالوث المقدس على العربة نفسها التى كان يستخدمها النظام الإمبراطورى السابق فى الجنازات الملكية. وضع على رأس الجثمان تاج البطريركية وكان مرتديًا عباءته الرسمية، وملفوفًا بعلم إثيوبيا.

هيروى، إميلاف

Heruy, Emailaf

فنان من بدايات القرن ٢٠، وواحد من أوائل من استخدموا الفوتوغرافيا على نطاق واسع لرسم بورتريهات أكثر دقة. تعلم الرسم، حسب الممارسة الإثيوبية التقليدية، بمساعدة والده فى كنيسة ماريام إنتوتو. قام فيما بعد بتزيين كنيستى سيلاسى وجيورجس فى أديس أبابا، وكنيسة سيلاسى فى أسابوت، إلى جانب قصر منليك والبرلمان الذى افتتحه الإمبراطور عام ١٩٣١. تشمل رسوماته فى هذه البنايات بورتريهات على نمط القرن ١٩ وأوائل القرن ٢٠ لحكام إثيوبيا وللإمبراطور محاطًا بكبار الحاشية والوزراء.

إمرو، هيلى سيلاسى، راس

Imru, Haile Selassie, Ras

(١٨٩٢- ١٩٨٠)

ابن عم الإمبراطور هيلا سيلاسى وحاكم هرر المعين عام ١٩١٦.عينه الإمبراطور وصيًا على الأمير فى غيابه. رحل وأسرته إلى جيبوتى فى ٢ مايو ١٩٣٦ أثناء الحرب الإيطالية- الإثيوبية، وشكل حكومة سرية فى غرب وليجا. عُيِّن فيما بعد سفيرًا لإثيوبيا فى الولايات المتحدة.

إمرو، يوديت

Imru, Yodit

(١٩٤٣-)

أول امرأة تعيّن سفيرة إلى الولايات المتحدة فى السنوات الأخيرة من حكم هيلا سيلاسى. كما سبق أن عُين والدها راس إمرو فى المنصب ذاته. شقيقة رئيس الوزراء

الأسبق راس ميكائيل إمرو. قامت بحملات نشطة ضد الإدارة فيما بعد سقوط الإمبراطورية، في إطار ما وصف بمحاولات تحسين أوضاع حقوق الإنسان والإصلاح السياسي. حصلت قضيتها على بعض التأييد الدولي حينما اعتقلت ووضعت تحت الحراسة العسكرية مع شقيقتيها: هيروت إمرو المدرسة الجامعية، ومامي إمرو المهندسة المعمارية.

ياسو الخامس، وأيضًا: ليدج ياسو

Iyasu V, also known as Lij Iyasu

(٤ فبراير ١٨٨٧– ٢٥ نوفمبر ١٩٣٥)

لم يُتوج إمبراطورًا رغم التوصية له بهذا (١٩١٣– ١٩١٦). اسمه بالمعمودية: كيلفي يعقوب. "ليدج" تعني "مولود بدم ملكي". هو حفيد منليك الثاني[1] من ابنته شواريجا التي كانت أخت غير شقيقة لابنته الكبرى زوديتو. ولأنه لم يتم تتويجه قط بوصفه إمبراطورًا كان يشار إليه بـ "ليدج ياسو". حال حرمانه سابقًا من الكنيسة دون الإشارة إليه باسم ياسو. يكتب اسمه أحيانًا "إياسو"، وهو المرادف الأمهري لاسم يوشع. أعلن كولي للعهد عام ١٩٠٩. أطيح به عام ١٩١٦ لصالح الإمبراطورة زوديتو، لكنه واجه العزل بمقاومة حربية. تم أسره عام ١٩٢١، واستخدمته القوات الإيطالية أثناء غزوها إثيوبيا عام ١٩٣٥. ألقت الطائرات الإيطالية منشورات تدعو السكان للتمرد على هيلا سيلاسي وتأييد "الإمبراطور إياسو الخامس". يصف المؤرخون عهد إياسو بالمثير والمتناقض. فقد سمحت له أمه بأن يدعي في وقت واحد بأنه ينحدر من سلالة الملك سليمان وملكة سبأ. وبأنه ينحدر– من خلال أبيه– من سلالة النبي محمد (ص). وهو ما أدى بكثير من أنصاره لهجره، كما ساعد هذا الادعاء معارضيه في اتهامه بخيانة العقيدة المسيحية القبطية. ويرى بعض المؤرخين في إصلاحية إياسو استمرارًا لبرنامج منليك للتحديث، إذ اعتبروا برامج مثل إنشاء أول قوة شرطة في أديس أبابا، ومبادراته تجاه المسلمين تمهيدًا للجهود التي بذلت بعد الثورة للتأكيد على التعددية الثقافية للبنية الإثيوبية.

---

(١) لم ينجب منليك الثاني ذكورا – المترجم.

لاليبلا ، الإمبراطور

Lalibela, Emperor

إمبراطور فى القرن ١٣ عرف ببناء كنائس لاستا (لاليبيلا فيما بعد) الشهيرة المنحوتة فى الصخر. نجاشي(ملك) لإثيوبيا وعضو فى سلالة زغيوى. تعتبره الكنيسة الإثيوبية من القديسين. وقد فقدت التفاصيل الخاصة بكيفية بناء تلك الكنائس، لكن جاء فى "سير القديسين" أنه نحت الكنائس فى الصخر بعون من الملائكة وحدهم.

لامًا ، منجستو

Lamma, Mangistu

كاتب مسرحى إثيوبى عرف أساسًا بكتابة "زواج غير متكافئ".

لوتشا ، جيرما ولدي- جيورجس

Lucha, Girma Wolde-Giorgis

(ديسمبر ١٩٢٤-)

رئيس إثيوبيا. انتخب رئيسًا فى ٨ أكتوبر ٢٠٠١ بإجماع أصوات البرلمان الإثيوبى. والرئاسة الإثيوبية منصب رمزى ذو سلطات قليلة وينتخب الرئيس لفترة مدتها ٦ سنوات. خدم فى الجيش وفى السياسة إبان عهد الإمبراطور هيلا سيلاسى، ثم انتخب رئيسًا لمجلس النواب. عمل بعد عزل الإمبراطور ضمن نظام الدرج العسكرى خاصة فى إريتريا، كممثل الصليب الأحمر المحلى. وبعد الإطاحة بحكم منجستو عام ١٩٩١ تحول إلى رجل أعمال، كما عاد إلى البرلمان.

ماكونين ، راس

Makonnen, Ras

(٨ مايو ١٨٥٢ - ٢١ مارس ١٩٠٦)

جنرال وحاكم مقاطعة هرر. والد تافارى ماكونين الذى أصبح فيما بعد الإمبراطور هيلا سيلاسى الأول. وأبو ماكونين هو فيتوارى ولدميكائيل جوديسا، وماكونين هو أيضًا حفيد الملك سهلى سيلاسى فى شوا عن طريق الأم: الأميرة تيناجنورك سهلى سيلاسى. ومن ثم هو ابن عم الإمبراطور منليك الثانى وعضو فى السلالة الملكية السليمانية. حصل على حاكمية هرر بعد أن ضمها ابن عمه للإمبراطورية الإثيوبية. شغل راس ماكونين مناصب أخرى منها: الحاكم العام لتيجرى بعد عزل المتمرد راس مينجيشا يوحنس، وجنرال فى حملات عسكرية مختلفة بما فى ذلك فترة الحرب الإيطالية الإثيوبية، ودبلوماسى ووزير الخارجية الفعلى. له دور قيادى فى معركة عدوة التى هزم فيها الأحباش الإيطاليين.

ماريام ، منجستو هيلى ، ليفتنانت كولونيل

Mariam, Mengistu Haile Lt. Col.

(١٩٣٧-)

رئيس الدولة فى الفترة من ١٩٧٧ إلى ١٩٩١. انتزع رئاسة الدولة والدرج عام ١٩٧٧ رغم أنه ظل يمارس السلطة الفعلية وراء الستار قبل هذا بوقت طويل ومنذ قيادته لانقلاب ١٩٧٤. استطاع انتزاع الرئاسة بعد إعدام اثنين سبقاه فى إدارة الدولة. حصلت إثيوبيا فى عهده على دعم الاتحاد السوفيتى ودول حلف وارسو الأخرى، بالإضافة إلى كوبا. شهد عاما ١٩٧٧ و١٩٧٨ تمردًا ضد الحكومة لكن تم إخماده بخسائر بشرية كبيرة. وردًا على حرب العصابات التى خاضها الحزب الثورى الشعبى ضد منجستو أعلن الأخير أن الحزب بدأ حملة "إرهاب أبيض". غير أن القوى المعادية له اتهمت حزبه (حزب العمال) بشن حملة "إرهاب أحمر". أصبح منجستو رئيسًا مدنيًا فى ١٠ سبتمبر ١٩٨٧ وتحت دستور جديد، وأعيدت تسمية البلاد لتصبح جمهورية إثيوبيا الديمقراطية الشعبية. واجه حكم

منجستو صعوبات هائلة خلال الثمانينيات، بدءًا من الجفاف وتفشى المجاعات (خاصة المجاعة الكبرى ١٩٨٤– ١٩٨٥) وحركات التمرد المسلح خاصة فى إقليمى تيجرى وإريتريا الشماليين. وفى عام ١٩٨٩ اندمجت الجبهة الشعبية لتحرير تيجرى مع حركات عرقية أخرى معارضة، لتتشكل الجبهة الديمقراطية الثورية الشعبية. وفى مايو ١٩٩١ زحفت قوات الجبهة نحو أديس أبابا. أرجع منجستو انهيار حكومته إلى تسبب ميخائيل جورباتشوف فى انهيار الاتحاد السوفيتى، ومن ثم انقطاع المساعدات عن إثيوبيا. هرب منجستو من البلاد ومعه خمسون من أفراد أسرته ونفر من أعضاء الدرج. منحته زيمبابوى اللجوء بصفته "ضيفًا" رسميًا على الرئيس روبرت موجابى. ترك وراءه معظم عضوية الدرج الأصلى وقيادة حزب العمال، والذين اعتقلن على الفور وحوكموا بمجرد استقرار سلطة الجبهة. ما زال يقيم فى زيمبابوى على الرغم من محاولات إثيوبيا إقناع زيمبابوى بتسليمه لمحاكمته. وقد صدرت أحكام بالإعدام غيابيًا على العديد من أعضاء الدرج السابقين. بدأت محاكمة منجستو غيابيًا عام [1]٢٠٠٦.

متى، لوسين إس جيه

Matte, Lucien s.j.

ولد فى مدينة كويبك الكندية عام ١٩٠٧ والتحق بجامعتى مونتريال ولافال حيث حصل على درجاته العلمية فى الفلسفة والعلم الطبيعى واللاهوت والتربية. انضم لسلك الجيزويت ورسم كاهنًا عام ١٩٣٨. عين رئيسًا لجامعة سدبورى بكندا عام ١٩٦٢. كان المحرك الرئيسى لإنشاء كلية سدبورى للمعلمين بجامعة لورينتيان. كانت التربية موضع اهتمامه الأساسى. فى عام ١٩٤٥ طلب منه الإمبراطور سيلاسى إعادة تنظيم النظم المدرسية الإثيوبية، حيث رغب الإمبراطور فى تطبيق النظام الكندى. أعاد متى تنظيم المدارس الابتدائية والثانوية وأسس جامعة أديس أبابا عام ١٩٥٤، وفى عام ١٩٦١ أصبح

---

(١) من أسباب رفض زيمبابوى تسليم منجستو تقديرها للدور الذى أداه ونظامه فى مساعدة تحرير زيمبابوى من الاستعمار والعنصرية. وقد صدر على منجستو حكم غيابى بالسجن المؤبد، ثم استؤنف ليصبح الحكم بالإعدام. وقد صدرت أحكام إعدام بالفعل على عدد من أركان نظامه – المترجم.

رئيس الجامعة التى أصبح اسمها جامعة هيلا سيلاسى. واعترافًا بدوره الكبير فى خدمة إثيوبيا تبرع الإمبراطور بمبلغ ١٠ آلاف جنيه إسترلينى لصالح صندوق بناء جامعة سدبوري.

ميناس، الإمبراطور (الاسم على العرش: أدماس ساجاد الأول)

Menas, Emperor

ملك ملوك إثيوبيا (١٥٥٩- أول فبراير ١٥٦٣) وعضو السلالة الملكية السليمانية. شقيق جيلاديوس. تم أسره أثناء غزو أحمد بن إبراهيم الغازى لإثيوبيا، وعومل معاملة حسنة بوصفه أسيرًا عالى القيمة. والغازى (١٥٠٧- ٢١ فبراير ١٥٤٣) هو إمام صومالى وقائد حربى تمكن من هزيمة عدد من أباطرة إثيوبيا وألحق الكثير من الدمار بالبلاد. وقد عُرف أيضًا بأحمد جران (أو: جوري) أى الأعسر. غير أن الرأفة بميناس توقفت عام ١٥٤٢ حينما شعر الإمام باليأس من نجدة زملائه المسلمين، فأدخل أسيره ميناس ضمن تشكيلة من الهدايا الباهظة لسلطان اليمن مقابل أن يمد له يد المساعدة الحربية. غير أن ابن الإمام أحمد نفسه تعرض للأسر بعد معركة واينا داجا، فاستخدم جيلاوديوس أسيره لاستعادة أخيه ميناس. وبعدما بلغ ميناس أوج قوته شن حملة على الفالاشا فى سيمينر. وطرد أسقف الجيزويت أندريه أوفيدو وصحبه إلى قرية بين أكسيوم وعدوة تدعى مايجوجا، وغير الجيزويت اسم القرية على سبيل التفاؤل إلى فريمونا، نسبة إلى المبشر فرومنتيوس. وبعد عام من حكم ميناس قاد بهر نيجوس اسحق تمردًا فى تيجرى، وأعلن تازكارو (الابن غير الشرعى لابن يعقوب شقيق الإمبراطور ميناس) نجاشيًا. وشغل هذا التمرد اهتمام ميناس بقية فترة حكمه القصيرة، بل ومات وهو يحاول تجميع القوات استعدادًا للهجوم على النجاشى المتمرد.

منليك الأول، الإمبراطور

Menelik I, Emperor

يُعتقد تقليديًا أنه ابن الملك سليمان ملك إسرائيل، وماكيدا ملكة شيبا (سبأ). وتقول الأساطير الإثيوبية إنه ولد فى هماسين بإريتريا. وتمجده التقاليد بأنه من أحضر تابوت العهد إلى إثيوبيا، بعد زيارة للقدس التقى فيها أباه عندما وصل مرحلة البلوغ. وحسب كتاب مجد الملوك (كيبرا نجاست)، انتوى الملك سليمان إرسال ابن لكل واحد من النبلاء، وابن لكل كاهن فى المعبد، مع منليك إلى مملكة أمه، إثيوبيا. وكان من المرتب أن يحمل معه نسخة مقلدة من تابوت العهد، لكن ابن زادوك كبير الكهنة بدَّل المنسوخ بالحقيقى وحمله معه إلى إثيوبيا، حيث يقال إنه باقٍ حتى اليوم فى بلدة أكسيوم القديمة. ويضيف المأثور إنه قد اعتلى العرش بعد وفاة الملكة ماكيدا بلقب الإمبراطور وملك ملوك إثيوبيا، وأنه قد أسس السلالة السليمانية الإثيوبية التى حكمت البلاد- مع انقطاعات قليلة- لمدة تقارب ٣ آلاف عام، و٢٢٥ جيلاً، وانتهت بسقوط الإمبراطور هيلا سيلاسى عام ١٩٧٤.

منليك الثانى، الإمبراطور

Menelik II, Emperor

(١٨٤٤- ١٩١٣)

يعتبر مؤسس إثيوبيا الحديثة. عين يوحنس الرابع قبيل وفاته عام ١٨٨٤، ابنه راس منجيشا يوحنس، وريثًا للعرش. وعلى الرغم من أن مجموعة من نبلاء تيجرى بقيادة راس ألولا حاولت منازعة منجيشا فإن الكثير من أقارب الإمبراطور المتوفى أيضًا رفضوا الوصية وذهبوا إلى التمرد العلنى على منجيشا. وتمزقت تيجرى بسبب تمرد أفراد عديدين من أسرة الإمبراطور، فضلاً الصراعات بينهم أنفسهم. انتهز منليك شيوا الفوضى الضاربة فى تيجرى، وبعد السماح لإيطاليا باحتلال مقاطعات هماسين، سيراى، وأكالى جوزاى الموالية ليوحنس الرابع، أعلن إمبراطورًا على إثيوبيا باسم منليك الثانى.

منتواب ، الإمبراطورة

Mentewab, Empress

(ولدت ١٧٠٦ فى قوارا، توفيت ٢٧ يونيو ١٧٧٣ بقصر قوسقوام)

إمبراطورة إثيوبيا، قرينة الإمبراطور باكافّا، أم إياسو الثانى، وجدة إيواس الأول. عُرِفت رسميًا باسم المعمودية ويليتى جيورجس (أي: "ابنة القديس جيورجس"). تمتعت بسلطة كبيرة طوال حكم ابنها ثم حفيدها. شيد العديد من البنايات المهمة فى جوندار، بما فيها حصنها فى المربع الإمبراطورى وقاعة واسعة للاحتفالات. والأهم بناؤها كنيسة "العذراء مريم فى قسقام"[1] (نسبة إلى موقع فى مصر مكثت فيه العائلة المقدسة أثناء منفاها) على الجبال خارج جوندار. وفى عام ١٧٣٠ تُوجت الإمبراطورة منتواب بوصفهم حاكم شريك بعد تنصيب ابنها (وهى سابقة أولى للمرأة فى إثيوبيا) وحازت على سلطات واسعة فى الحكم، وهى تنحدر من أباطرة حكموا لقرنين قبلها. لكن محاولتها الاستمرار فى الحكم بعد موت ابنها عام ١٧٥٥ تسببت فى صراع بينها وبين أرملته وُبيت (ويليتى بيرسابي)حيث اعتقدت منتواب أن دورها قد جاء للترأس بلاط ابنها إيواس.

نيجا ، بيرهانو

Nega, Berhanu

(١٩٥٨-)

انتخب عمدة لأديس أبابا عام ٢٠٠٥ فى انتخابات عامة. رئيس ومؤسس "حركة قوس قزح إثيوبيا: من أجل الديمقراطية والعدالة الاجتماعية". نائب رئيس ائتلاف الوحدة والديمقراطية CUD ورئيس حملتها الانتخابية. التحق بجامعة أديس أبابا حيث اشترك

---

(١) بلدة مصرية اندثرت، وحيث يوجد الآن جبل المحرق على بعد ١٢ كيلومترًا من مدينة القوصية بمحافظة أسيوط، و٣٢٧ كيلومترًا من القاهرة. يقال إن العائلة المقدسة مكثت هناك ستة أشهر وعشرة أيام، وتحديدًا فى المغارة التى أصبحت فيما بعد هيكلاً لكنيسة السيدة العذراء فى الجهة الغربية من الدير - المترجم.

فى الحركة الطلابية ضد حكم الدرج منذ سنته الدراسية الأولى. وحينما شنت الحكومة حملتها ضد المنشقين سياسيًا عام ١٩٧٧ هرب ومجموعة من الطلاب الراديكاليين إلى جبل أسيمبا شمال إثيوبيا. وبعد حدوث انقسام داخل الحزب الثورى الشعبى تم اعتقاله بتهمة الانتقاد العلنى لعمليات القتل داخل الحزب، لكن أطلق آسروه سراحه بعد أشهر قليلة فعبر الحدود إلى السودان وظل هناك لمدة عامين حتى حصل على اللجوء السياسى فى الولايات المتحدة. عاد إلى إثيوبيا عام ١٩٩٤ وأصبح رجل أعمال وأكاديميًا. أصبح رئيسًا للجمعية الاقتصادية الإثيوبية فى الفترة من ١٩٩٦ إلى ٢٠٠٠. شغل أيضًا منصب رئيس المركز الإثيوبى لبحوث السياسات الاقتصادية، وهو منظمة غير ربحية ساعد فى تأسيسها. عمل أيضًا مستشارًا لهيئات متعددة منها لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية لأفريقيا **ECA**. اشترك أثناء انتخابات ٢٠٠٥ فى الحركة المعارضة لميليس زيناوى خاصة فى المناظرات الانتخابية مع ممثلى الحزب الحاكم، حيث كان أداؤه مميزًا. وعلى الرغم من العقد السياسية التى أعقبت الانتخابات اجتمع ائتلاف الوحدة والديمقراطية واختاره عمدة لأديس أبابا، كما انتخب الدكتور أدماسو جيبيهو وآصيفا هابتيولد بوصفه نائبًا للعمدة ومتحدثًا باسم جمعية المدينة على التوالى.

نيبواى، جارمامي

Neway, Garmame

شقيق منجستو نيواى، المتعلم فى الولايات المتحدة والقائد الفكرى الراديكالى لانقلاب ١٩٦٠. حصل على البكالوريوس فى الآداب من جامعة وسكونسن، والماجستير من جامعة كولومبيا. يُنظر إليه على نطاق واسع بوصفه مصلحًا اجتماعيًا تقدميًا سابق لعصره مهتمًا بالمسألة القومية وإصلاح الرفاه الاجتماعى. عُرف عنه تجنيده لشقيقه ليلتحق بالمحاولة الانقلابية للإطاحة بسيلاسى. قُتل وهو يقاوم القوات الموالية للإمبراطور المنتصر.

نيواى، منجستو

Neway, Mangestu

قائد الحرس الشخصى الإمبراطورى الذى اشترك مع شقيقه جارمامى فى قيادة انقلاب فاشل ضد الإمبراطور هيلا سيلاسى عام ١٩٦٠. أصيب وتم أسره، وحوكم فيما بعد وشُنِق.

بانكهرست، ريتشارد

Pankhurst, Richard

(١٩٢٧-)

ولد فى لندن. ابن الناشطة الشهيرة سيلفيا إى بانكهرست التى كانت من أعلى الأصوات المناهضة للفاشية فى أوروبا خلال العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضى، وقادها نشاطه هذا إلى الاهتمام بإثيوبيا. أما الدكتور بانكهرست فيعيش ويعمل فى إثيوبيا بوصفه مؤرخًا لها وقد دخل نشاطه هذا عقده الخامس. كسب احترام وإعجاب الكثيرين فى إثيوبيا وخارجها لدفاعه الدائم عن القضايا الإثيوبية. وعلى ضوء مشاركته الفاعلة فى اللجنة الوطنية لاستعادة مسلة أكسيوم، عمل مع مجموعة من المثقفين المهتمين بتكوين لجنة وطنية لاستعادة الكنوز التى نهبتها القوات البريطانية التى أُرسِلت لتحرير السجناء البريطانيين من ماجدالا عام ١٨٦٨.

بانكهرست، سيلفيا إستيل

Pankhurst, Sylvia Estelle

(٥ مايو ١٨٨٢- ٢٧ سبتمبر ١٩٦٠)

منظِّمة حملات فى الحركة المطالبة بحق النساء فى الانتخاب فى المملكة المتحدة، ومن القيادات الشيوعية اليسارية. ولدت فى مانشستر، إنجلترا، لأبويها الدكتور

ريتشارد بانكهرست وإميلين بانكهرست، عضوى حزب العمال المستقل. كانت معنية أساسًا بحقوق النساء، وكذلك شقيقتها كرستابل. بدأت العمل بوصفه متفرغة فى الاتحاد السياسى والاجتماعى للنساء مع شقيقتها وأمهما. لكنها على العكس منهما ظلت مهتمة بالحركة العمالية. أخذت فى الابتعاد عن الحزب لتهتم أكثر بمناهضة الفاشية والاستعمار. وردًا على الغزو الإيطالى لإثيوبيا أعادت تسمية الصحيفة التى تشرف عليها لتصبح فى عام ١٩٣٦ "نيو تايمز وأنباء إثيوبيا"، وأصبحت من مؤيدى هيلا سيلاسى. جمعت الأموال لبناء أول مستشفى تعليمى فى إثيوبيا، وكتبت كثيرًا عن الثقافة والفن الإثيوبى، ونشرت أبحاثها فى هذا المجال تحت عنوان "إثيوبيا، تاريخ ثقافي" (لندن ١٩٥٥). انتقلت مع ابنها ريتشارد بانكهيرست إلى أديس أبابا عام ١٩٥٦ حتى أسست مجلة شهرية باسم "إثيوبيا أوبزرفر" التى نشرت موضوعات كثيرة عن الحياة والتطور فى إثيوبيا. دفنت أمام كاتدرائية ترينتى فى أديس أبابا.

بولس ، أبونا

Paulos, Abune

(ولد ١٩٣٥ باسم جبرى ولدى يوحنس) بطريرك كنيسة التوحيد الأرثوذكسية الإثيوبية (١٩٩٢-)[1]. ولد فى عدوة بمقاطعة تيجرى شمال إثيوبيا. ارتبطت أسرته منذ زمن بدير أبونا جرميا بالقرب من البلدة، ودخل الدير وهو طفل صغير بوصفه شماسًا متدربًا، لينضم عمليًا إلى سلك الرهبنة ويرسم كاهنًا فيما بعد. واصل التعلم فى كلية الثالوث المقدس للاهوت بأديس أبابا تحت رعاية البطريرك أبونا تيوفيلوس. أُرسِل للدراسة فى إكليريكية القديس فلاديمير الأرثوذكسية بالولايات المتحدة، وبعد ذلك انضم إلى برنامج الدكتوراه بكلية برنستون للاهوت. انقطع تعليمه عام ١٩٧٤ باستدعاء من البطريرك أبونا تيوفيلوس. وعاد إلى أديس أبابا بعد وقت قصير من الثورة التى أطاحت بالإمبراطور هيلا سيلاسى. تم رسمه بوصفه أسقفًا مع أربعة آخرين، وحصل على اسم أبونا بولس،

(١) توفى فى ١٦ أغسطس ٢٠١٢، وخلفه أبونا متياس - المترجم.

وتولى مسئولية الشئون المسكونية. ولكن بسبب تعيين البطريرك للأساقفة الجدد دون إذن من حكومة الدرج، ألقى القبض على الخمسة، بل وقضى عمليًا على البطريرك نفسه. ظل الأساقفة الخمسة بالسجن حتى عام ١٩٨٣. وفى العام التالى عاد أبونا بولس إلى برنستون ليكمل دراسة الدكتوراه ويبدأ حياة المنفى. رقاه البطريرك أبونا تكلا هيمانوت إلى رتبة كبير الأساقفة عام ١٩٨٦ وهو ما زال فى المنفى. انتخب فى مايو ٢٠٠٦ كأحد الرؤساء السبعة لمجلس الكنائس العالمى فى مؤتمر بالبرازيل.

روبا، فاتوما

Roba, Fatuma

(١٩٧٣-)

حائزة على ميدالية ذهبية الماراثون بأوليمبياد ١٩٩٦ وتحتل مكانة خاصة فى قلوب الإثيوبيين. بدأت رياضة العدْو منذ كانت بالمدرسة الابتدائية فى إقليم أرسى، أى الإقليم ذاته الذى كان موطن اثنين آخرين حصلا أيضًا على الميدالية الذهبية وهما ديرارتو تولو وجبيرى سيلاسى. وفى ١٩٩٧ كانت أول أفريقية تفوز بماراثون بوسطن، وكررت الإنجاز فى العامين التاليين، وحصلت على المركز الثانى فى محاولتها الرابعة. تعتبر مثلاً أعلى لملايين الرياضيين فى إثيوبيا.

صافو، دزجماتش بالتشا (أبّا نيفسو)

Saffo, Dejazmatch Balcha (Abba Nefso)

جنرال موالٍ لمنليك. عُيِّن حاكمًا على هرر، ثم مقاطعة سيدامو الغنية. خصم محافظ للإمبراطور هيلا سيلاسى الذى وضعه فى السجن. وأفرج عنه الإمبراطور أثناء الغزو الإيطالى ليشكل قوة خاضت حرب عصابات بطولية ضد الإيطاليين حتى لقى حتفه. ينظر إليه بوصفه شهيدًا وأحد أبطال تاريخ إثيوبيا الحديث.

سلومون الثانى أو سليمان الثانى ، الإمبراطور

Salomon II or Solomon II, Emperor

(ملك ملوك إثيوبيا، ١٣ أبريل ١٧٧٧– ٢٠ يوليو ١٧٧٩)

ابن أبيتو أديجو. ربما يكون مطابقًا للإمبراطور الذى أدرجه الرحالة هنرى سولت حينما زار إثيوبيا ١٨٠٩– ١٨١٠. نصبه إمبراطورًا كل من راس جوشو ووناد بيوسن بعدما أطاحا بتكلا هيمانوت الثانى. نسب إليه ريتشارد بانكهيرست إنشاء كنيسة القديس فاسيليدس فى جوندار.

سباستيانوس

Sebestyanos

(١٧٠٣– ٦ مارس ١٧١٩)

حاكم شيوا. من نبلاء الأمهرة المهمين، وأحد أبناء نجاشى كريستوس. أسس عاصمته فى دوقاقيت. قُتِل فى ٦ مارس ١٧١٩.

سيجيد ، ووسين

Seged, Wossen

(١٨٠٨– ١٨١٣)

أمير إثيوبى مهم. الابن الأكبر لأصفا ووسين من امرأة من السلالة السليمانية. أول حاكم لشيوا يدعى لنفسه رتبة أعلى "راس". استقرت أحوال المقاطعة فى عهده. ولما كان أصفا قد أنجب أولادًا من زوجة ثانية تنتمى لأرستقراطية مينز، خشى سيجيد من أن يطاح به لصالح أخيه الأصغر غير الشقيق، فتمرد على أبيه. لكنه فشل فى الحصول على التأييد اللازم فهُزِم وسُجِن. غير أن أصفا ووسين المسنّ عاد وتصالح معه، ولم يكتفِ بأن

نصبه حاكمًا على أنتيزوكيا شمال شيوا، بل وجعله خليفته أيضًا. ويذكر أبير رواية تقول إنه أثناء المعركة مع ييجو أورومو تعرض للأسر على يد الرئيس جوجى حفيد جوانجول، لكن تم تحريره بفدية من رأس كنيسة شيوا الذى تنكر فى هيئة شيخ مسلم ودخل منطقة ييجو دون أن يتعرف عليه أحد. وبعدما تمكن سيجيد من السيطرة على شيوا تحالف مع راس وُلدى سيلاسى فى تيجرى ليغزو مناطق راس جوجسا فى ييجو. وبدأ حملته لبناء الكنائس، واستعاد كنيسة الثالوث فى ديبرى بيرهان وكنيسة العذراء فى ديرى ليبانوس، كما بنى كنيسة جديدة فى سيلا دنجاى. وعلى الرغم من هذه الأعمال لم يكن بعض أعضاء الكنيسة الإثيوبية راضين عنه بسبب سياسة التسامح الدينى التى اتبعها تجاه المسلمين.

سيلاسى، أمها، الإمبراطور

Selassie, Amha, Emperor

(١٩١٦- ١٩٩٧)

آخر أباطرة إثيوبيا. تم تنصيبه بعد إزاحة أبيه هيلا سيلاسى. انتهت فترة حكمه القصيرة بالنفى بعد إلغاء النظام الملكى فى مارس ١٩٧٥. ولد باسم أصفاو ووسين تافارى فى مدينة هرر المُسَوَّرة فى أغسطس ١٩١٦، لأبيه دجيزماتش تافارى ماكونين حاكم هرر وقتها وإمبراطور إثيوبيا فى المستقبل، وأمه مينين أصفاو. أصبح وليًا للعهد باسم أمير التاج أصفاو ووسين، بالتوازى مع تنصيب أبيه إمبراطورًا فى ٢ نوفمبر ١٩٣٠. وفى أبريل ١٩٦٠ قام الحرس الإمبراطور بانقلاب واستولى على السلطة بينما كان الإمبراطور فى زيارة للبرازيل. أجبر قادة الانقلاب ولى العهد على قراءة بيان عبر الإذاعة أعلن فيه قبول التاج بدلاً من والده وتشكيل حكومة الإصلاح. غير أن الجيش النظامى والكنيسة الأرثوذكسية الإثيوبية رفضا القبول بالحكومة الجديدة، وأصدر رأس الكنيسة البطريرك أبونا باسيليوس تحريمًا بحق كل من يتعاون مع قادة الانقلاب. وحينما عاد الإمبراطور إلى إثيوبيا اقتحم الجيش القصر، واعتقل الحرس الإمبراطورى أعضاء الحكومة. وفى ١٩٧٣ أصابت جلطة دماغية أمير التاج فتم ترحيله إلى سويسرا للعلاج تصحبه زوجته وبناته. وفى أبريل ١٩٨٩ أعلن بوصفه "إمبراطور على إثيوبيا" فى المنفى بمنزله فى

لندن وبحضور المنفيين الإثيوبيين، ومنح اسم أمها سيلاسى الأول. توفى يوم ١٧ فبراير ١٩٩٧ بعد معاناة طويلة من المرض فى فرجينيا بالولايات المتحدة، حيث لم يكتمل شفاؤه قط منذ ١٩٧٣. عاد جثمانه إلى إثيوبيا ودفن بمدافن الأسرة الإمبراطورية.

سيلاسى، هيلى جبري

Selassie, Haile Gebre

(١٩٧٣-)

يعتبر عالميًا أفضل عداء فى التاريخ. ولد فى مقاطعة أرسى بوسط إثيوبيا، وكان مثله الأعلى أبيبى بيكيلا وميروتس يفتر. يقال إنه حينما كان طفلاً كان يعدو ٢٠ كيلومترًا يوميًا فى الذهاب والعودة من المدرسة. وفى سن السادسة عشرة اشترك (دون أى تدريب رسمي) فى ماراثون أديس أبابا وحقق رقم ساعتين واثنتين وأربعين دقيقة. اكتسب شهرة عالمية عام ١٩٩٢ حينما فاز ببطولة العالم للشباب فى سباقى ٥ و١٠ آلاف متر. حصل على الميدالية الذهبية عن السباقين ذاتيهما فى بطولة العالم بشتوتجارت عام ١٩٩٣. سُجل أول رقم عالمى باسمه عام ١٩٩٤ بتحطيم الرقم المسجل باسم المغربى سعيد عويطة قبل ست سنوات. وكان عام ١٩٩٥ هو العام الذى اعتبر فيه عداء المسافات الطويلة الذى لا يبارى. فقد حطم الرقم العالمى المسجل باسم موسى كيبتانوى فى سباق الميلين، وبعد هذا بأسبوع واحد حطم رقمًا عالميًا آخر. كما حقق فوزًا عالميًا آخر بالحصول على الميدالية الذهبية فى سباق ١٠ آلاف متر ببطولة العالم. وحطم رابع رقم عالمى له فى زيورخ بسويسرا. أما فى دورة أتلانتا ١٩٩٦ فقد فاز بسباق ١٠ آلاف متر محققًا رقمًا أوليمبيًا جديدًا. وسجل رقمًا عالميًا جديدًا فى سباق ١٥٠٠ متر بشتوتجارت فى فبراير ١٩٩٧. وسجل سابع رقم قياسى عالمى له فى ستوكهولم بالسويد فى مسابقة بعام ١٩٩٧ ونال جائزة قيمتها مليون دولار. وفى ٤ يوليو ١٩٩٧ بأوسلو فى النرويج فاز بفارق كبير على منافسيه فى سباق ١٠ آلاف متر مسجلاً رقمًا عالميًا جديدًا مرة أخرى. وفى الشهر التالى فاز ببطولة أخرى فى سباق ١٠ آلاف متر، وأتبعها ببطولة أخرى فى أغسطس ١٩٩٧ حين فاز بسباق ٥ آلاف متر محققًا رقمًا قياسيًا جديدًا. وفى عام ٢٠٠٠ نال ميداليته

الذهبية الأوليمبية الثانية فى سباق ١٠ آلاف متر بدورة سيدنى بأستراليا. وفى عام ٢٠٠٤ ذهب إلى الأوليمبياد ساعيًا لأن يصبح أول رجل فى التاريخ يفوز بالميدالية الذهبية ثلاث دورات أوليمبية متتالية فى سباق و١٠ آلاف متر. لكنه لم يستطع تحقيق حلمه وحقق المركز الخامس فى السباق الذى فاز به مواطنه وتلميذه كنينسا بيكيلي.

سيلاسى ، سهلي

Selassie, Sahle

(١٧٩٥- ٢٢ أكتوبر ١٨٤٧)

كان ميردزماتش ثم نجاشى شيوا فى الفترة ١٨١٣- ١٩٤٧. نبيل أمهرى مهم. الابن الأصغر لووسين سيجيد.

سيلاسى ، سهلي

Selassie, Sahle

(١٩٣٦-)

كاتب إثيوبى، له أربعة كتب، أفضلها "أفيرساتا" (١٩٦٩) فى سلسلة الكتاب الأفارقة.

سيلاسى الأول ، هيلا ، الإمبراطور

Selassie I, Haile, Emperor

(١٨٩٢- ١٩٧٥)

اسم المعمودية ليدج تافارى ماكونين. شغل منصب الإمبراطور الإثيوبى فى الفترة ١٩٣٠ إلى ١٩٧٤. عُرف بقدراته بوصفه رجل دولة، أدخل الكثير من الإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. رمز دينى لتجسيد الرب عند حركة راستافارى.

شاؤل، هيلو (أيضًا: شاول وشويل)

Shawul, Hailu

ولد فى شمال شيوا عام ١٩٣٦. مهندس إثيوبى ورئيس ائتلاف الوحدة والديمقراطية. فرضت عليه السلطة الإقامة الجبرية فى منزله فى أعقاب الاحتجاجات التى أعقبت الانتخابات العامة فى مايو ٢٠٠٥. وحينما قاد الائتلاف احتجاجًا سلميًا فى أكتوبر ألقى القبض عليه مع ٢٣ من قادة الائتلاف.

شيبا (سبأ)، الملكة

Sheba, Queen

شغلت موقع حاكم شيبا (مملكة قديمة يختلف علماء الآثار فى مكانها، إثيوبيا أم اليمن). عرفت أيضًا باسم ماكيدا، وفى التقليد الإسلامى باسم بلقيس. كما أعطيت أسماء أخرى بديلة مثل نيكولى ونيكولا. يتداول مسيحيو إثيوبيا قصة سليمان مع ملكة شيبا، وأن الملكة كانت حاكمة إثيوبية مستقلة تدعى ماكيدا (أو ماجده) وأنها قد عادت من رحلتها إلى بلاط سليمان فى القدس بابنها من الملك المسمى داود والذى أصبح أول ملك لإثيوبيا باسم منليك الأول. تروى قصتها بالتفصيل فى كتاب مجد الملوك.

سيسينيوس، الإمبراطور (ملاك ساجد الثالث)

Sissinios, Emperor

ولد ١٥٧٢ وأصبح ملك ملوك إثيوبيا عام ١٦٠٧ حتى ٧ سبتمبر ١٦٣٢. أبوه: أبيتو (الأمير) فاسيليديس المضطرب من شيوا، حفيد داويت الثانى. يعتبره بعض الثقات سليل الخط السليمانى. يعتبره آخرون مؤسس خط جوندار فى السلالة.

سليمان الملك

Solomon, King

(١٠٠٠ قبل الميلاد) ملك حكيم لإمبراطورية فى العصر التوراتى. لم ينافسه أى عرش آخر فى العظمة والفخامة. عُرِف بحكمته وأمثاله. كان يأتى إليه الناس، بمن فيهم الملكة ماكيدا أو بلقيس، ليسمعوا الحكمة منه. يقول التقليد الإثيوبى إن ابن الملك سليمان وملكة سبأ قد أصبح أول إمبراطور فى تاريخ إثيوبيا، باسم منليك الأول.

تيودروس الثانى، الإمبراطور (أيضًا: تيودور الثاني)

Tewodros II, Empero

(١٨١٨- ١٨٦٨)

إمبراطور إثيوبيا، جلس على العرش فى الفترة ١٨٥٥ إلى ١٨٦٨. اسم الميلاد: كاسّا هيلى جيورجيس، لكن عرف غالبًا باسم كاسّا هيلو. كان حكمه علامة على بدء إثيوبيا الحديثة، وانتهاء عصر الأمراء المتنازعين. نقل العاصمة من جوندار إلى ديبرى تابور ثم إلى مجدالا. أنهى تقسيم إثيوبيا بين أمراء الحرب الإقليميين الذى استمر قرابة قرنين. استطاع بالقوة أن يعيد إلى إدارة العرش الإمبراطورى أقاليم جوجام، شيوا، وولو. انتابه الخوف من القوى المتواجدة فى الشمال، فأرسل خطابًا إلى الملكة فكتوريا طالبًا منها المساعدة البريطانية فى الإقليم. ولم يتلق ردًا على طلبه لمدة عامين، فحبس عددًا من الرعايا البريطانيين فى محاولة للفت انتباه الملكة فكتوريا. تسبب هذا فى وقوع الغزو البريطانى بقيادة روبرت نابير، الذى استطاع هزيمة الجيش الإثيوبى بمساعدة العديد من أمراء الحرب الذين أنفق تيودروس حياته فى محاربتهم، وفى النهاية أقدم على الانتحار فى ١٣ أبريل ١٨٦٨.

تولو، ديرارتو

Tulu, Derartu

(١٩٧٢-)

عداءة إثيوبية للمسافات الطويلة واختراق الضاحية. ولدت فى بوكوجى بمقاطعة أريسى، وهى قرية العداء الشهر نفسها كنينسا بيكيلى. أول امرأة إثيوبية، ومن أفريقيا جنوب الصحراء، تفوز بميدالية فى الألعاب الأوليمبية. صعدت على سلم الشهرة حينما فازت بسباق ١٠ آلاف متر فى أوليمبياد برشلونة عام ١٩٩٢. وبعد ولادة طفلين عامى ١٩٩٨ و١٩٩٩ عادت عام ٢٠٠٠ فى أقوى صورة لتفوز بالميدالية الذهبية للمرة الثانية، وهى الوحيدة فى التاريخ التى حقت هذا الإنجاز. يبلغ مجموع ما حصلت عليه ٦ ميداليات ذهبية عالمية وأوليمبية. كما فازت بميدالية برونزية عام ٢٠٠٤ والكثير من الميداليات الأخرى فى المنافسات الدولية. تعتبر من رموز الحركة الأوليمبية، حيث يتذكر الكثيرون الانتصار الذى حققته عام ١٩٩٢ مع زميلتها الجنوب أفريقية البيضاء إلينا ماير، فيما بدا احتفالاً رمزيًا بنصر أفريقى وقرب نهاية الفصل العنصري.

والى، جوجسا، راس

Wale, Gugsa, Ras

(١٨٧٧- ١٩٣٠)

ولد فى مارتو بياجو. حاكم بجامدير من ١٩١٦ إلى ١٩٢٨، وياجو من ١٩٢٨ إلى ١٩٣٠. ابن شقيق الإمبراطورة تايتو، وتزوج من الوصية على العرش زوديتو. عارض فيما بعد مركزة السياسات وتنصيب هيلا سيلاسى. هُزِم وقتل فى معركة أنشيم عام ١٩٣٠ على أيدى القوات الموالية للإمبراطور.

وُلدى، مامو

Wolde, Mamo

(١٩٣١ - ٢٦ مايو ٢٠٠٢)

ولد فى قرية درى ديلى على بعد ٦٠ كيلومترًا من أديس أبابا. نشأ نشأة تقليدية، وقضى معظم طفولته فى القرية. التحق بالحرس الإمبراطورى عام ١٩٥١، وأثناء انضمامه لهذه القوة المتميزة استطاع إكمال تعليمه. وحينما كان فى الكتيبة الثانية من الحرس الإمبراطورى أرسل إلى كوريا عام ١٩٥٣ ضمن بعثة الأمم المتحدة لحفظ السلام. قضى عامين فى كوريا أدى فيهما أداءً ممتازًا. وبعد العودة لإثيوبيا تزوج ومضى فى طريق النشاط الرياضى. تأهل ليكون ضمن الفريق الأوليمبى الإثيوبى المشارك فى دورة ملبورن بأستراليا عام ١٩٦٢، وحقق أكبر إنجاز وطنى وقتذاك باحتلال المركز الرابع فى سباق ١٥٠٠ متر. وفى عام ١٩٦٨ دخل سباق ١٠ آلاف متر مع المتسابقين الكينيين المتميزين كيب كينو ونفتالى تيمو، ونال ميداليته الأوليمبية الفضية الأولى. كما تغلب على المتسابقين من ٤٤ بلدًا ليحصل على الميدالية الذهبية فى ماراثون إثيوبيا. وفى عام ١٩٧٢، وحين كان عمره ٣٩ عامًا، اشترك فى أوليمبياد ميونخ، وفاز بالميدالية البرونزية فى سباق ١٠ آلاف متر. وبلغ إجمالى البطولات التى اشترك فيها ٦٢ بطولة.

وُلدماريام، ميسفين (أيضًا: ولدى ماريام)

Woldemariam, Mesfin

(١٩٣٠-)

من نشطاء السلام الإثيوبيين، لعب دورًا نشيطًا فى عهد ميليس زيناوى. عضو مؤسس للمجلس الإثيوبى لحقوق الإنسان، ومؤسس فيما بعد لحركة قوس قزح إثيوبيا: حركة الديمقراطية والعدالة الاجتماعية. ولد فى أديس أبابا وحصل على البكالوريوس فى الآداب من جامعة بونجاب بالهند عام ١٩٥٥ والماجستير من جامعة كلارك بالولايات المتحدة عام ١٩٥٧. كان أستاذا للجغرافيا بجامعة هيلا سيلاسى (جامعة أديس أبابا الآن) وترأس

قسم الجغرافيا بالجامعة لبعض الوقت. اعتقلته الحكومة عام ٢٠٠٥ مع عدد من قيادات ائتلاف الوحدة والديمقراطية بتهم الخيانة والإبادة الجماعية والعمل ضد الدستور.

وُركو، أسناكيتش

Worku, Asnakech

(١٩٣٥-)

مغنية وعازفة إثيوبية محبوبة. اشتهرت بالعزف على الكرار، وهى آلة وترية تقليدية تشبه القيثارة.

ووسين، أصفا

Wossen, Asfa

(١٧٧٠- ١٨٠٨)

أحد نبلاء الأمهرة المهمين فى شيوا، والذى استطاع فرض سيطرتها على الكيانات التابعة لها. قيل إنه كان يعتنق مذهب "سوست ليديت" على أسس سياسية ودينية، ويقول هذا المذهب بولادات ثلاث للمسيح، الأولى من خلق الأب، والثانية طبيعية من العذراء مريم، والثالثة من الروح القدس عند التعميد. عُرف عنه أنه كان مقاتلاً شجاعًا وإداريًا موهوبًا أدخل إصلاحات ضريبية وقوّى الصلات مع كل المناطق التابعة له.

ياريد

Yared

موسيقى من القرن ١٥، أدخل الديجوا أو الموسيقى الطقسية فى الكنيسة الإثيوبية.

يجازّو ، مولوجيتا ، راس

Yeggazu, Mulugeta, Ras

وزير المالية فى عهد الإمبراطور منليك الثانى، وأصبح فيما بعد وزيرًا للحرب وقائد القوات الإمبراطورية أثناء الغزو الإيطالى. قتل أثناء شن هجوم مضاد على الإيطاليين عام ١٩٣٦.

يفراشيوا ، جيرما

Yifrashewa, Girma

(١٥ أكتوبر ١٩٦٧-)

أول عازف بيانو كلاسيكى إثيوبى معروف على نطاق واسع فى أفريقيا. عزف كونشرتات أيضًا فى أوروبا وأستراليا. متزوج وأب لطفل واحد. يعيش فى أديس أبابا.

يفتر ، ميروتس

Yifter, Miruts

(١٩٣٨-)

ولد فى مقاطعة أديجرات بإقليم تيجرى شمال إثيوبيا. عمل فى شبابه بمصانع مختلفة، وسائق شاحنات. لوحظت موهبته بوصفه عداء للمسافات الطويلة حينما أدى أداءً مبهرًا فى سباقات ١٥٠٠ و٥ آلاف و١٠ آلاف متر فى بطولة أقيمت بأسمرة شمال إثيوبيا. تقول الروايات الشعبية إنه رأى متسابقين من سلاح الجو الإثيوبى يتسابقون فى شوارع أديس أبابا فرجا قائد الفريق أن يسمح له بالاشتراك، وبالفعل أحرز المركز الثالث. وبناءً على طلبه سُمِح له بالاشتراك فى استعدادات الفريق الوطنى لأوليمبياد ١٩٦٨ بالمكسيك. تنافس مع متسابقين أقوياء من أفريقيا وآسيا والأمريكتين وأوروبا، وحقق نتائج جيدة فى

سباقى ٥ و١٠ آلاف متر. اشتهر بقدرته على الانطلاق بقوة من وراء العدائين الآخرين فى المائتى متر الأخيرة. وبسبب هذا الانبعاث غير العادى للطاقة استطاع تحقيق انتصارات عديدة جلبت له اسم الشهرة: "ميروتس قالب السباق". حصل على الميدالية البرونزية عن الأول فى سباق ١٠ آلاف متر بأوليمبياد ميونخ ١٩٧٢، لكنه جاء متأخرًا جدًا فى نهائى سباق ٥ آلاف متر. أحرز لإثيوبيا ميداليتين ذهبيتين فى أوليمبياد موسكو ١٩٨٠، وهو ما أكسبه احترامًا وإعجابًا كبيرًا فى بلده الذى كان يتطلع إلى استعادة الإنجازات الأسطورية لأبيبى بيكيلا ومامو ولدى. وكان من الممكن له أن يحرز ميدالية ذهبية فى أوليمبياد مونتريال بكندا لكن إثيوبيا قاطعت المشاركة مع بلدان أفريقية أخرى احتجاجًا على اشتراك جنوب أفريقيا. شارك عبر مسيرته الرياضية الطويلة فى ٢٥٢ سباقًا، وأحرز الميدالية الذهبية فى ٢٢١ منها. وتقديرًا لإنجازه حصل على جائزة "الحذاء الذهبى" من الاتحاد العالمى للصحفيين الرياضيين.

يوحنيس، مينجيشا

Yohannes, Mengesha

(١٨٦٨– ١٩٠٦)

الابن الشرعى للإمبراطور يوحنيس الرابع. راس تيجرى، حاصل على لقب أمير وأحد المطالبين بالعرش الإمبراطورى، وكان من المنتظر أن يتحقق له هذا بوصفه وريثًا أوصى له والده وهو على فراش الموت بعد معركة ميتيما. تسبب القتال بين أقارب الإمبراطور الصريع فى انشقاق معسكر مينجيشا الأمر الذى حال دون اعتلائه العرش الذى ناله منليك من شيوا، فرفض الاستسلام لمنليك بل وتودد للإيطاليين فى مستعمرة إريتريا، على أمل أن يدعموا تمرده ضد الإمبراطور منليك. غير أن انتهاكات الإيطاليين حتى فى تيجرى، وعداءهم السابق لأبيه، وإدراكه أن هدفهم النهائى هو إخضاع إثيوبيا، دفعته لأن يسلّم أخيرًا لمنليك ويقاتل إلى جانبه فى معركة عدوة ضد الإيطاليين.

يوحنيس الرابع ، الإمبراطور (أيضًا : يوحنا الرابع)

Yohannes IV, Emperor

(١٨٣١- ١٠ مارس ١٨٨٩)

ولد كدجزماتش كاسّاى، أو كاسّا. ملك ملوك إثيوبيا فى الفترة ١٨٧٢- ١٨٨٩. كان عدوًا لدودًا للإمبراطور تيودروس الثانى، وقدم الدعم اللوجستى والسياسى للقوات البريطانية التى وصلت لهزيمة تيودروس عام ١٨٦٨. وعرفانًا بالجميل منحه البريطانيون عددًا من الأسلحة النارية الحديثة قبل انسحابهم بعد النصر الذى حققوه فى مجدالا. وهو ما ساعده فى السيطرة على تيجرى، وأصبح أحد ثلاثة أمراء أقوياء فى إثيوبيا (الآخران هما: واجشوم جوبيزى من لاستا وواج، الإمبراطور القادم تكلا جيورجس الثانى. والآخر هو ساهلى ماريام ملك شيوا، الإمبراطور المستقبلى منليك الثاني) وقد تحرق كل منهم لأن يصبح حاكمًا منفردًا، بادعاء التحدر من ملوك السلالة السليمانية. لقى مصرعه بينما كان يتعامل مع غزو آخر قام به أنصار عبد الله بن محمد، خليفة محمد أحمد المهدى، فى معركة ميتيما بتاريخ ٩ مارس ١٨٨٩.

زرء يعقوب ، الإمبراطور

Zar' a-Ya'qob, Emperor

(١٤٣٤- ١٤٦٨)

حاكم إثيوبى اشتهر بإدارته الممتازة وإيمانه الدينى العميق. شهد عهده طفرة كبيرة فى الأدب الإثيوبى.

زُوديتو ، الإمبراطورة (أيضًا : زاوديتو أو زِوديتو)

Zauditu, Empress

(٢٩ أبريل ١٨٧٦- ٢ أبريل ١٩٣٠)

إمبراطورة إثيوبيا فى الفترة من ١٩١٦ إلى ١٩٣٠. عُرفت بمعارضة إصلاحات تافارى ماكونين (الإمبراطور هيلا سيلاسى فيما بعد) وبإيمانها الدينى القوى.

زيناوى، ليجيسّى ("ميليس")

Zenawi, Legesse ("Meles")

(١٩٥٥- ٢٠١٢)

رئيس وزراء إثيوبيا. ولد فى عدوة من أم إريترية وأب تيجرانى. أصبح رئيسًا للوزراء فى ٢٢ أغسطس ١٩٩٥ بعد سيطرة حزبه على البرلمان بسبب مقاطعة المعارضة. سبق له أن كان رئيس إثيوبيا الانتقالى فى الفترة من ٢٨ مايو ١٩٩١ حتى ٢٢ أغسطس ١٩٩٥. كان رئيسًا لمنظمة الوحدة الأفريقية فى الفترة من يونيو ١٩٩٥ إلى يونيو ١٩٩٦. كما ترأس الائتلاف العالمى من أجل أفريقيا، ونشط بفاعلية فى جهود منظمة الإيجاد لإنهاء الصراعات فى السودان والصومال، والمبادرات الأفريقية لحل أزمة بوروندى. حصل على ماجستير إدارة الأعمال بمرتبة الشرف الأولى من الجامعة المفتوحة فى المملكة المتحدة عام ١٩٩٥، وماجستير العلوم فى الاقتصاد من جامعة إرازموس فى هولندا عام ٢٠٠٤.

زِوْدى، باهرو

Zewde, Bahru

مؤرخ شهير لإثيوبيا وأفريقيا. حصل على درجته الجامعية الأولى من جامعة هيلا سيلاسى (١٩٧٠) ودكتوراه الفلسفة من جامعة لندن (١٩٧٦). قام بالتدريس فى جامعة أديس أبابا (إثيوبيا) وجامعة إلينوى- أوربانا (الولايات المتحدة) وجامعة هامبورج (ألمانيا). عمل مديرًا لمعهد الدراسات الإثيوبية بجامعة أديس أبابا. محرر فى "مجلة الدراسات الإثيوبية"، "مجلة بحوث العلم الاجتماعى فى شرق أفريقيا"، مجلة الكتب الأفريقية. عضو المجلس الاستشارى الدولى لـ "مجلة التاريخ الأفريقي". رئيس جمعية المؤرخين الإثيوبيين. القائم بأعمال رئيس منظمة بحوث العلم الاجتماعى فى شرق وجنوبى أفريقيا. أول نائب لرئيس جمعية المؤرخين الأفارقة. المدير التنفيذى لمنتدى

الدراسات الاجتماعية (إثيوبيا) وعضو هيئة تحرير تراست آفريكا. ألف العديد من الكتب التى قوبلت باحتفاء، ومن بينها: تاريخ إثيوبيا الحديثة ١٨٥٥- ١٩٩١ (٢٠٠١)، رواد التغيير فى إثيوبيا: مفكرو الإصلاح أوائل القرن العشرين (٢٠٠٢). حرر كتاب: تاريخ إثيوبيا الدبلوماسى ١٨٧٦-١٨٩٦ (٢٠٠٢). تحرير مشترك: "إثيوبيا: تحديات الديمقراطية من أسفل (٢٠٠٢). ألف: موجز تاريخ إثيوبيا وشرق أفريقيا (١٩٩٨). له أكثر من ٣٠ مقالاً وفصلا فى كتاب.

المصادر والمراجع

الفصل الأول

Adera, Tadesse, and Ali Jimale Ahmed, eds. *Silence is Not Golden: A Critical Anthology of Ethiopian Literature.* Lawrenceville, NJ: Red Sea Press, 1994.

Boll, Verena, Kaplan Steven, and Andreu Martinez D'Alos-Moner, eds. *Ethiopia and the Missions: Historical and Anthropological Insights.* Germany: Lit Verlag, 2005.

Brooks, Miguel F., ed. *Kebra Nagast (The Glory of Kings): The True Ark of the Covenant.* Lawrenceville, NJ: Red Sea Press, 1995.

Chaillot, Christine. *Ethiopian Orthodox Tewahedo Church Tradition: A Brief Introduction to Its Life and Spirituality.* Paris: Inter-Orthodox Dialogue, 2002.

Chojnacki, Stanislaw, and Carolyn Gossage. *Ethiopian Icons: Catalogue of the Collection of the Institute of Ethiopian Studies.* Italy: Addis Abada University, 2000.

Hancock, Graham, Mohamed Amin, and Duncan Willetts, eds. *The Beauty of Addis Ababa: A Photographic Guide to Addis Ababa Highlighting the City's Architectural Heritage, Its Colourful Market Places and Historical Buildings.* Ethiopia: 1997.

Hancock, Graham, Richard Pankhurst, and Duncan Willetts. *Under Ethiopian Skies, A Photographic Introduction to Ethiopia Describing Aspects of Its Religions, Architecture, Natural World, and Its People.* Kenya: Camerapix, 1997.

Henze, Paul. *Layers of Time: A History of Ethiopia.* UK: Hurst & Co., 2000.

Kiros, Teodros, and Zara Yacob. *Rationality of the Human Heart*. Lawrenceville, NJ. Red Sea Press, 2005.

Lipsky, George A. *Ethiopia: Its People, Its Society, Its Culture.* New Haven, CT: Hraf Press, 1962.

Marcus, Harold G. *A History of Ethiopia.* Berkeley: University of California Press, 1994.

Markakis, John. *Ethiopia: Anatomy of a Traditional Polity.* Oxford: Clarendon Press, 1974.

Mathew, David. *Ethiopia: The Study of a Polity, 1540–1935.* London: Eyre & Spottiswoode, 1947.

Munro-Hay, Stuart. *Ethiopia, The Unknown Land: A Cultural and Historical Guide.* London: I B Tauris, 2002.

Pankhurst, Alula, and Dena Freeman, eds. *Peripheral People: The Excluded Minorities of Ethiopia.* UK: Hurst, 2003.

Pankhurst, Richard. *The Ethiopians.* Oxford: Blackwell Publishers: 1998.

Pankhurst, Richard, David Northrup, and Frederic A. Sharf. *Abyssinia, 1867–1868: Artists on Campaign.* CA; Tsehai Publishers and Distributors, 2003.

Trimingham, J. *Spencer Islam in Ethiopia.* UK: Cass, Frank, 1976.

Wendorf, Fred. *A Middle Stone Age Sequence from the Central Rift Valley.* Ethiopia, 1974.

الفصل الثانى

Adejumobi, Saheed A. "Ethiopia." In *Africa: Volume 1: African History Before 1885*, ed. Toyin Falola, 231–242. Durham, NC: Carolina Academic Press, 2000.

Baum, James E. *Savage Abyssinia*. London: Cassell, 1928.

Bredin, Miles. *Pale Abyssinian: The Life of James Bruce, African Explorer and Adventurer*. UK: HarperCollins Publishers, 2000.

Caulk, Richard, ed. *Between the Jaws of Hyenas: A Diplomatic History of Ethiopia (1876–1896)*. Germany, Harrassowitz: Verlag, 2002.

Crummey, Donald. "Initiatives and Objectives in Ethio-European Relations, 1827–1862." *The Journal of African History* 15, no. 3 (1974).

———. "Society and Ethnicity in the Politics of Christian Ethiopia during the Zamana Masafent." *The International Journal of African Historical Studies* 8, no. 2 (1975).

———. "Society, State and Nationality in the Recent Historiography of Ethiopia." *The Journal of African History* 31, no. 1 (1990): 103–19.

———. "Tewodros as Reformer and Modernizer." *The Journal of African History* 10, no. 3 (1969).

Harrington, Peter, Richard Pankhurst, and Frederic A. Sharf, eds. *Diary of a Journey to Abyssinia, 1868. With the Expedition of Sir Robert Napier, K.C.S.I. The diary and Observation of William Simpson*. CA: Tsehai Publishers and Distributors, 2002.

Lepsius, Richard. *Letters from Egypt, Ethiopia, and to Peninsula of Sinai*. London: H.G. Bohn, 1853.

Lewis, Herbert S. "Historical Problems in Ethiopia and the Horn of Africa." *Annals of the New York Academy of Sciences* 96, art. 2, 505.

Marcus, H. G. "The Black Men Who Turned White: European Attitudes Towards Ethiopians, 1850–1900." *Archiv. Orientalni*. no. 39 (1971).

Pankhurst, Richard. *The Ethiopia Borderlands: Essays in Regional History from Ancient Times to the End of the 18th Century*. Lawrenceville, NJ: Red Sea Press, 1997.

———. "Ethiopian Emperor Menelik II Repulsed Italian Invasion, 1895." *The Africa Reader: Colonial Africa*. Edited and with introductions by Wilfred Cartey and Martin Kilson. New York: Random House, 1970.

———. *The Ethiopians: A History*. UK: Blackwell, 2001.

———. "The Independence of Ethiopia and Her Import of Arms in the Nineteenth Century." *Presence Africaine* nos. 32/33 (1964).

———. *An Introduction to the Economic History of Ethiopia, From Early Times to 1800*. Lalibela House: 1961.

Ramos, Manuel Joao, and Isabel Boavida, eds. *The Indigenous and the Foreign in Christian Ethiopian Art: On Portuguese Ethiopian Contacts in the 16th 17th Centuries*. UK: Ashgate Publishers, 2004.

Rubenson, Sven, ed. *Correspondence and Treaties: 1800–1854*. Evanston, IL: Northwestern University Press, 1987.

Taiwo, Olufemi. "Prophets Without Honor: African Apostles of Modernity in the

Nineteenth Century." *West Africa Review* 3, No. 1 (2002).

الفصل الثالث

Adejumobi, Saheed A. "Northeast Africa." In *Africa: Volume 3: Colonial Africa 1885–1939*, ed. Toyin Falola, 397–411. Durham, NC: Carolina Academic Press, 2002.

Araia, Ghelawdewos. *Ethiopia: The Political Economy of Transition.* Lanham, MD: University Press of America, 1995.

Bulcha, Mekuria. *Making of the Oromo Diaspora: A Historical Sociology of Forced Migration.* Minneapolis, MN: Kirk House Publishers, 2002.

Caulk, R. A. "Armies as Predators: Ethiopia c. 1850–1935." *The International Journal of African Historical Studies* XI, no. 3 (1978): 472–78.

Donham, Donald L., and Wendy James, eds. *The Southern Marches of Imperial Ethiopia: Essays in History and Social Anthropology.* UK: James Currey Publishers, 2002.

Erlich, Haggai. *Ras Alula and the Scramble for Africa: A Political Biography.* Lawrenceville, NJ: Red Sea Press, 1996.

Greenfield, Richard. *Ethiopia: A New Political History.* New York: Frederick A. Praeger Publishers, 1965.

Hanchard, Michael. "Afro-Modernity: Temporality, Politics, and the African Diaspora." *Public Culture* 11 (1999): 245–268.

Hansberry, Leo. *Pillars in Ethiopian History: The William Leo Hansberry Notebook*, ed. Joseph E. Harris. Vol. 1. Washington, D.C.: Howard University Press, 1974.

Hayford, Casely J. E. *Ethiopia Unbound: Studies in Race Emancipation.* London: Cass, 1969.

Jalata, Asafa. *Oromia and Ethiopia: State Formation and Ethnonational Conflict, 1868–2004.* Lawrenceville, NJ: Red Sea Press, 2005.

Marcus, Harold G. *Haile Selassie, I: The Formative Years, 1892–1936.* NJ: Red Seas Press, 1995.

McCann, James. "The Political Economy of Rural Rebellion in Ethiopia: Northern Resistance to Imperial Expansion, 1925–1935." *The International Journal of African Historical Studies* 18, no. 4 (1985).

McClellan, Charles W. "Articulating Economic Modernization and National Integration at the Periphery: Addis Ababa and Sidamo's Provincial Centers." *African Studies Review* 33, no. 1 (April 1990).

Norberg, Viveca. *Halldin Swedes in Haile Selassie's Ethiopia, 1924–1952: A Study in Early Development Co-operation.* Uppsala: University of Stockholm; Almqvist & Wiksell International, distr., 1977.

Schaefer, Charles. "The Politics of Banking: The Bank of Abyssinia, 1905–1935." *The International Journal of African Historical Studies* 25, no. 2 (1992).

Taiwo, Olufemi. "Reading the Colonizer's Mind: Lord Lugard and the Philosophical Foundations of British Colonialism." In Susan E. Babbitt and Sue Campbell, eds., *Racism and Philosophy* Ithaca, NY: Cornell University Press, 1999.

Tibebu, Teshale. "Ethiopia: The 'Anomaly' and 'Paradox' of Africa." *Journal of Black Studies* 26, no. 4 (March 1996): 414–30.

Time Magazine, August 9, 1926.

Time Magazine, November 3, 1930.

Time Magazine, November 10, 1930.

Waugh, Evelyn. *Waugh Abroad: Collected Travel Writing/Evelyn Waugh*. Introduction by Nicholas Shakespeare. New York: Everyman's Library, 2003.

Zewde, Bahru. *Pioneers of Change in Ethiopia: The Reformist Intellectuals of the Early Twentieth Century*. UK: James Currey Publishers, 2002.

الفصـــل الرابـــع

Ben-Ghiat, Ruth. *Fascist Modernities: Italy, 1922–1945*. Los Angeles, CA: University of California Press, 2004.

Ben-Ghiat, Ruth, and Mia Fuller. *Italian Colonialism*. NY: Palgrave McMillan, 2005.

Clapham, Christopher. *Haile-Selassie's Government*. Foreword by Dame Margery Perham. New York: Praeger, 1969.

Davis, Mary Sylvia Pankhurst. *A Life in Radical Politics*. London: Pluto Press, 1999.

Del Boca, Angelo. *The Ethiopian War, 1935–1941*. Chicago: The University of Chicago Press, 1965.

Diggins, John P. *Mussolini and Fascism: The View from America*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1972.

DuBois, W.E.B. "Inter-racial Implications of the Ethiopian Crisis: A Negro View." *Foreign Affairs* 4, no. 1 (October 1935): 85–86.

Esedebe, Olisanwu. *Pan-Africanism: The Idea and Movement, 1776–1963*. Washington DC: Howard University Press, 1982.

Falola, Toyin. *Nationalism and African Intellectuals*. Rochester, NY: University of Rochester Press, 2001.

Gaines, Kevin K. *Black Expatriates and the Civil Rights Era: American Africans in Ghana* NC: The University of North Carolina Press, 2006.

Gallo, Patrick J. *Old Bread, New Wine: A Portrait of the Italian-Americans*. Chicago: Nelson-Hall, 1981.

Gebrekidan, Fikru Negash. *Bond Without Blood: A History of Ethiopian & New World Black Relations, 1896–1991*. NJ. Africa World Press, 2005.

Goldberg, David Theo. *The Racial State*. MA: Blackwell Publishers, 2002.

Goodman, Madeline Jane. "The Evolution of Ethnicity: Fascism and Anti-Fascism in the Italian-American Community." Ph.D. dissertation, Carnegie-Mellon University, 1993.

Harris, Joseph E. *African-American Reactions to War in Ethiopia, 1936–1941*. Baton Rouge: Louisiana State University Press, 1994.

Jackson, John G. *Ethiopia and the Origin of Civilization*. MA: Black Classic Press, 1978, originally published in 1939.

Kelley, Robin. *Freedom Dreams: The Black Radical Imagination*. MA: Beacon Press, 2002.

Larebo, Haile. *The Building of an Empire: Italian Land Policy and Practice in Ethiopia*. NJ: Africa World Press, 2006.

Magubane, Bernard Makhosezwe. 'The Significance of Ethiopia in Afro-American Consciousness.' In *The Ties That Bind: African-American Consciousness of Africa*, ed. Magubane. Africa World Press, Inc., 1987.

Moses, Wilson J. "The Poetics of Ethiopianism: W.E.B. DuBois and Literary Black Nationalism." *American Literature* 47, no. 3 (November 1975).

Pankhurst, Richard "Italian Fascist War Crimes in Ethiopia: A History of Their Discussion, from the League of Nations to the United Nations, (1936–1949)." *Northeast African Studies* 6, no. 1-2 (1999).

———. *Sylvia Pankhurst: Counsel for Ethiopia*. CA: Tseha, 2003.

Rankin, Nicholas. *Telegram from Guernica: The Extraordinary Life of George Steer, War Correspondent*. UK: Faber, 2003.

Rogers, J.A. *The Real Facts about Ethiopia*. Black Classic Press, 1982, originally published in 1936.

Sbacchi, Alberto. *Legacy of Bitterness: Ethiopia and Fascist Italy, 1935–1941*. Lawrenceville, NJ: The Red Sea Press, 1997.

Scott, William R. "Black Nationalism and the Italo-Ethiopian Conflict, 1934–1936." *The Journal of Negro History* 63, no. 2 (April 1978).

Shack, William A. "Ethiopia and Afro-Americans: Some Historical Notes, 1920–1970." *Phylon* 35, no. 2 (1974).

Time Magazine, October 28, 1935.

Ventresco, Fiorello B. "Italian Americans and the Ethiopian Crisis." *Italian Americana* 6, no. 1 (summer 1980): 4–27.

Von Eschen, Penny M. *Race Against Empire: Black Americans and Anticolonialism, 1937–1957*. Ithaca: Cornell University Press, 1997.

Zewde, Bahru. "The Ethiopian Intelligentsia and the Italo-Ethiopian War, 1935–1941." *The International Journal of African Historical Studies* 26, no. 2 (1993).

الفصل الخامس

Agyeman-Duah, Baffour. *The United States and Ethiopia: Military Assistance and the Quest for Security, 1953–1993*. Lanham, MD: University Press of America, 1994.

Bahrey, Almeida, Huntingford, and Beckingham. *History of the Galla (Oromo) of Ethiopia: With Ethnology and History of South West Ethiopia*. CA: African Sun Publishing, 1993.

Clapham, Christopher. "The Ethiopian Coup d'Etat of December 1960." *The Journal of Modern African Studies* 6, no. 4 (1968): 495–507.

———. "Imperial Leadership in Ethiopia." *African Affairs* 68, no. 271 (April 1969).

Gudina, Merera. *Ethiopia: Competing Ethnic Nationalisms and the Quest for Democ-*

racy, 1960–2000. Maastricht, Holland: N.P Shaker Publishing, 2003.
Iyob, Ruth. *The Eritrean Struggle for Independence: Domination, Resistance, Nationalism, 1941–1993*. Cambridge: Cambridge University Press, 2004.
———. "Regional Hegemony: Domination and Resistance in the Horn of Africa." *The Journal of Modern African Studies* 31, no. 2 (1993).
Kapuscinski, Ryzard. *The Emperor: Downfall of an Autocrat*. New York: Vintage, 1983.
Lefebvre, Jeffrey A. "The United States, Ethiopia and the 1963 Somali-Soviet Arms Deal: Containment and the Balance of Power Dilemma in the Horn of Africa." *The Journal of Modern African Studies* 36, no. 4 (December 1998).
Schwab, Peter. "Cold War on the Horn of Africa." *African Affairs* 77, no. 306 (January 1978).
Sellassie, Haile. *My Life and Ethiopia's Progress: The Autobiography of Emperor Haile Sellassie*. Translated from Amharic by Edward Ullendorff. 2 vols. New York: Frontline Books, 1999.
Tibebu, Teshale. *The Making of Modern Ethiopia: 1896–1974*. Lawrenceville, NJ: Red Sea Press, 1995.
Zewde, Bahru. *A History of Modern Ethiopia, 1855–1991*. 2nd ed. Athens: Ohio University Press, 2001.
———. "Intellectuals and Soldiers: The Socialist Experiment in the Horn of Africa." Paper prepared for CODESRIA 30th Anniversary Conference, Dakar, December 8–11, 2003.

الفصل السادس

Brind, Harry. "Soviet Policy in the Horn of Africa." *International Affairs* 60, no. 1 (Winter 1983–1984).
Chege, Michael. "The Revolution Betrayed: Ethiopia, 1974–79." *The Journal of Modern African Studies* 17, no. 3 (1979): 359–80.
Donham, Donald L. *History, Power, Ideology: Central Issues in Marxism and Anthropology*. CA: The University of California Press, 1999.
———. *Marxist Modern: An Ethnographic History of the Ethiopian Revolution*. Berkeley: University of California Press, 1999.
———. "Revolution and Modernity in Maale: Ethiopia, 1974 to 1987." *Comparative Studies in Society and History* 34, no. 1 (January 1992): 28–57.
———. *Work and Power in Maale, Ethiopia*. UK: Columbia University Press, 1979.
Harbeson, John W. "Socialism, Traditions and Revolutionary Politics in Contemporary Ethiopia." *Canadian Journal of African Studies* XI, no. 2 (1977): 217–34.
James, Wendy, Donald L. Donham, Eisei Kurimoto, and Alessandro Triulzi, eds. *Remapping Ethiopia: Socialism & After*. UK: James Currey Publishers, 2002.
Kebbede, Girma. *The State and Development in Ethiopia*. Atlantic Highlands, NJ: Humanities Press, 1992.
Keller, Edmond J. "Ethiopia: Revolution, Class, and the National Question." *Af-*

rican Affairs 80 (1981).
Keller, Edmond J., and Donald Rothchild, eds. *Afro-Marxist Regimes: Ideology and Public Policy*. Boulder & London: Lynne Rienner Publishers, 1987.
Marcus, Harold G. *History of Ethiopia*. CA: The University of California Press, 2002.
Ottaway, Marina, ed. *The Political Economy of Ethiopia*. New York: Praeger, 1990.
Pankhurst, Helen. *Gender, Development, and Identity: An Ethiopian Study*. London: Zed Books, 1992.
Pausewang, Siegfried, Kjetil Tronvoll, and Lovise Aalen, eds. *Ethiopia Since the Derg: A Decade of Democratic Pretensions and Performance*. London: Zed Books, 2002.
Tibebu, Teshale. *The Making of Modern Ethiopia, 1896–1974*. Lawrenceville, NJ: Red Sea Press, 1995.
Young, John. *Peasant Revolution in Ethiopia: The Tigray People's Liberation Front, 1975–1991*. Cambridge: Cambridge University Press, 1997.

الفصل السابع

Abraham, Kinfe. *Ethiopia: From Bullets to the Ballot Box: The Bumpy Road to Democracy and the Political Economy of Transition*. Lawrenceville, NJ: Red Sea Press, 1994.
Adejumobi, Saheed A. "African Intellectual History: Contradictions in the African Encounter with Modernity." In *Intellectual News: Review of the International Society for Intellectual* History no. 11 (Winter/Spring 2004): 38–55.
Africa Insight: Ethiopia: Challenges from the Past, Challenges for the Future, no. 321 (October 1981): 519–49.
Chole, Eshetu. *Underdevelopment in Ethiopia*. East Lansing: Michigan State University Press, 2004.
Easterly, William. *The White Man's Burden: Why the West's Efforts to Aid the Rest Have Done So Much Ill and So Little Good*. New York: Penguin Press, 2006.
Geda, Alemayehu. "Does Conflict Explain Ethiopia's Backwardness? Yes and Significantly." Paper presented at Making Peace Work Conference at WIDER, Helsinki, Finland, June 2004.
———. "Macroeconomic Performance in Post-Reform Ethiopia." *Journal of Northeast African Studies* 8 no. 1 (2005): 159–85.
———."The Political Economy of Growth in Ethiopia." *Cambride African Economic History* (forthcoming).
Gidron, B., P. Q. Ufford, and A. B. Kello. "NGOs dealing with refugee in Amsterdam." NIRP Research for Policy Series 12. Royal Tropical Institute. 2003.
Hammond, Jenny. *Fire from the Ashes: A Chronicle of the Revolution in Tigray, Ethiopia, 1975–1991*. Lawrenceville, NJ: Red Sea Press, 1999.
Harbeson, John W. *The Ethiopian Transformation: The Quest for the Post-Imperial State*. Boulder, CO: Westview Press, 1988.
Harney, Elizabeth. *Ethiopian Passages: Contemporary Art from the Diaspora*. New

York: Palgrave Macmillan, 2003.
International Journal of Ethiopian Studies 1, no.2 (winter/spring 2004).
Kebede, Messay. *Survival and Modernization: Ethiopia's Enigmatic Present: A Philosophical Discourse.* Lawrenceville, NJ: Red Sea Press, 1999.
Lata, Leenco. *The Ethiopian State at the Crossroads: Decolonization and Democratization or Disintegration?* Lawrenceville, NJ: Red Sea Press, 1999.
Levine, Donald N. *Greater Ethiopia: Evolution of a Multiethnic Society.* Chicago: University of Chicago Press, 2000.
Mengisteab, Kidane. "New Approaches to State Building in Africa: The Case of Ethiopia's Ethnic-Based Federalism." *African Studies Review* 40, no. 3 (December 1997).
Pankhurst, Richard. "An Ethiopian Hero: Tsegaye Gabre-Medhin (1936–2005)." Open Democracy: Free Thinking for the World. http://www.opendemocracy.net/xml/xhtml/articles/3347.html.
Parker, Ben, and Abraham Woldegiorgis. *Ethiopia.* UK: Oxfam Publications, 2003.
Pausewang, Siegfried, Kjetil Tronvoll, and Lovise Aalen, eds. *Ethiopia Since the Derg: A Decade of Democratic Pretension and Performance.* London: Zed Books, 2002.
Poluha, Eva. *The Power of Continuity: Ethiopia Through the Eyes of Its Children.* Sweden Nordic Africa Institute, 2004.
Sachs, Jeffrey. *The End of Poverty: Economic Possibilities for Our Time.* New York: Penguin Press, 2005.
Sorenson, John. *Imagining Ethiopia: Struggles for History and Identity in the Horn of Africa.* New Brunswick, NJ: Rutgers University Press, 1993.
Stiglitz, Joseph E. *Globalization and Its Discontents.* New York: W.W. Norton & Co., 2002.
Taiwo, Olufemi. "Colonialism and its Aftermath: The Crisis of Knowledge Production." *Callaloo* 16, No. 3 (1993).
Taiwo, Olufemi. "Globalization: Doing It Right this Time Around." Forthcoming.
Turton, David, ed. *Ethnic Federalism: The Ethiopian Experience in Comparative Perspective.* Athens: Ohio University Press, 2006.
www.Wikipedia.com. Ethiopian people stubs is a popular resource for capsule information on select Ethiopian historical figures.
Von Eschen, Penny M. *Satchmo Blows Up the World: Jazz Ambassadors Play the Cold War.* Boston: Harvard University Press, 2004.
Zewde, Bahru. "What did we dream? What did we achieve? And where are we heading?" *Africa Insight: Ethiopia: Challenges from the Past, Challenges for the Future* no. 321 (October 1981).
Zewde, Bahru, and Siegfried Pausewang, eds. *Ethiopia: The Challenge of Democracy From Below, Alternative Voices.* Sweden: Nordic Africa Institute, 2002.

المؤلف فى سطور

ساهيد أديجوموبى

متخصص فى الدراسات التاريخية خاصة التاريخ الأفريقى وتاريخ الأمريكيين من أصل أفريقى والتاريخ الفكرى والثقافى الحديث بالقارة، حصل على الماجستير من جامعة أوريجون عام ١٩٩٤ عن الفكر الوحدوى الأفريقى عند ديبوا ونكروما، والدكتوراه من جامعة تكساس عن جماعة اليوروبا فى غرب أفريقيا وسياسة التعليم والإصلاح الاجتماعى فى نيجيريا.

يشغل حاليًا منصب مدير البرنامج العالمى للدراسات الأفريقية بجامعة سياتل بالولايات المتحدة، وهو أيضًا أستاذ مشارك بقسم التاريخ بالجامعة، وذلك بعد سيرة حافلة من الإنجازات الأكاديمية، من بينها عشرات المقالات الأكاديمية، وتحرير الكتب، فضلاً عن الاشتراك فى تحرير موسوعات مهمة مثل موسوعة الفولكلور الأفريقي- الأمريكى، موسوعة التاريخ الأفريقى، موسوعة دراسات مابعد الاستعمار.

المترجم فى سطور:

مصطفى مجدى الجمال

- أحد مؤسسى وعضو مجلس إدارة مركز البحوث العربية والأفريقية بالقاهرة.
- باحث وكاتب ومترجم.
- مدير تحرير مجلة أفريقية / عربية.
- مدير تحرير الطبعات العربية من المنشورات الأكاديمية للمجلس الأفريقى لتنمية بحوث العلوم الاجتماعية (كوديسريا)
- أهم الكتب:

- أزمة الوطنية المصرية (١٩٨٦)
- مستقبل تنظيمات الجنوب (٢٠٠٠).
- شافيز: جدل الثورة والكاريزما (٢٠٠٦).

- أهم الكتب المترجمة :

- التحرر الوطنى فى الشرق (١٩٨٠)
- قضايا الثورة الفيتنامية (١٩٨٨)
- أفريقيا والتنمية المستعصية (١٩٩١)
- الحركات العمالية وصنع السياسات فى أفريقيا (١٩٩٢)
- من تجارب الديمقراطية فى أفريقيا والوطن العربى (١٩٩٥)
- المسألة الثقافية فى أفريقيا (١٩٩٦)

- لفوفة النوبة من الجبال إلى السهول (١٩٩٩)
- ليبرالية سياسية أم انتقال ديمقراطى (١٩٩٩)
- تاريخ الأنثروبولوجيا والتنمية فى السودان (٢٠٠٢)
- العولمة والتنمية والديمقراطية فى أفريقيا (٢٠٠٥)
- قضايا السلم المنشود فى أفريقيا (٢٠٠٧)
- التشكيلات الاجتماعية فى أفريقيا (٢٠٠٧)
- أحوال الصين (٢٠٠٩)
- الحركات الاجتماعية والمجتمع المدنى فى أفريقيا (٢٠١٠)
- تاريخ السودان الحديث (٢٠١٠)
- القيم والتاريخ والديمقراطية فى أفريقيا (٢٠١١)
- تركيا الأمة الغاضبة (٢٠١٢)
- حقيقة الديمقراطيات الرأسمالية (٢٠١٢)
- تطويرمفهوم المنافع العامة إلى الصالح العام للإنسانية (٢٠١٣)
- إمكانية الدولة التنموية الديمقراطية فى بلدان الجنوب (٢٠١٥)